كتاب المقامات

للشيخ العالم

ابي محمد القسم بن علي بن محمد بن عثمن الحريرى

طبع

في مطبع أردو گائيڈ في بندر

كلكته

باهتمام الفقير الحقير المقر بالتقصير

كبير الدين احمد

فى شهر ذي الحجه سنه ١٢٩٩ هجريه

سنه ١٨٨٢ع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الاجل الاوحد ابو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري برّد الله مضجعه

اللّهم انا نحمدك على ما علّمتَ من البيان * و الهمتَ من التبيان * كما نحمدك على ما اسبغت من العطاء * و اسبلت من الغطاء * و نعوذ بك من شِرَّة اللَّسَن و فضول الهذَر * كما نعوذ بك من معرَّة اللَّكَن و فضوح الحَصَر * و نستكفي بك الافتتانَ باطراء المادح * و إغضاء المسامح * كما نستكفي بك الانتصاب لازراء القادح * و هتك الفاضح * و نستغفرك من سَوق الشهوات * الى سُوق الشبهات * كما نستغفرك من نقل الخُطُوات * الى خِطَطِ الخَطِيئات * و نستوهب منك توفيقا قائدا الى الرشد * و قلبا متقلّبا مع الحق * و لسانا متحلّيا بالصدق * و نطقا مؤيَّدا بالحجّة * و اصابةً ذائدة عن الزيغ * و عزيمةً قاهرة هوىَ النفس * و بصيرةً ندرك بها عرفان القدر * و ان تُسعدنا بالهداية الى الدراية * و تعضُدنا بالاعانة على الابانة * و تعصمنا من(١) الغواية في الروايه * و تصرفنا عن السفاهة في الفكاهة * حتى نأمن حصائد الالسنة * و نكفى غوائل الزخرفة * فلا نرِد مورد مأثمة * و لا نقِف موقف مندمة * و لا نُرهَق بتَبِعة و لا معتبة * و لا نُلجأ

---

(١) عن *

الى معذرة عن بادرة * اللهم فحقّق لنا هذه المُنْية * و انلنا هذه البغيه * و لا تفضحنا عن ظلك السابغ * و لا تجعلنا مُضغةً للماضغ * فقد مددنا اليك يد المسئلة * و بَخَعْنا بالاستكانة لك و المسكنة(١) * و استنزلنا كرمك الجمّ * و منّك الذي عمّ * بضراعة الطلب و بضاعة الامل * ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر * و الشفيع المشفّع في المحشر * الذي ختمت به النبيّين * و اعليت درجَته في علّيين * و وصفتَه في كتابك المبين * فقلت و انت اصدقُ القائلين * انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مُطاعٍ ثم امين (٢) * اللّهم فصلِّ عليه و على آله الهادين * و اصحابه الذين شادوا الدين * و اجعلنا لهديه و هديهم متّبعين * و انفعنا بمحبته و محبتهم اجمعين * انك على كل شيء قدير * و بالاجابة جدير * و بعد فانه قدجرى ببعض اندية الادب الذي ركَدَتْ في هذا العصر ريحُه * و خبت مصابيحُه * ذكر المقامات التي ابتدعها بديعُ الزمان * و علامة هَمَدان * رحمه الله * و عزى الى ابي الفتح الاسكندري نشاءتها * و الى عيسى بن هشام روايَتها * و كلاهما مجهول لا يُعرَف * و نكرةٌ لا تتعرف * فاشار مَنْ اشارته حُكْم * و طاعته غُنْم * الى ان انشيء مقامات أتلو فيها تلوَ البديع * و ان لم يدرك الطالع شأوَ الضليع * فذاكرتُه بما قيل فيمن ألّف بين كلمتين * و نظم بيتا او بيتين * و استقلتُ من هذا المقام الذي فيه يحارُ الفهم * و يفرطُ الوهم * و يُسبَرُ به غورُ العقل * و تتبيّن فيه قيمة المرء * (٣) و يُضطَرُّ صاحبه الى ان يكون

---

(١) بالاستكانه و المسكنة - (٢) - فقلت و انت اصدق القائلين - و ما ارسلناك الا رحمة للعلمين - (٣) - المرء فى الفضل و يضطر *

كحاطب ليل * او جالب رَجْل و خيل * و قلّما سلم مكثار *
او اُقيل له عثار * فلما لم يُسعف بالاقالة * و لا أعفى عن المقالة *
لبّيتُ دعوته تلبيَة المطيع * و بذلت في مطاوعته جُهْدَ المستطيع *
و أنشأت على ما اعانيه من قريحة جامدة * و فطنة خامدة * و روية
ناضبة * و هموم ناصبة * خمسين مقامة تحتوي على جد القول و
هزله * و رقيق اللفظ و جزله * و غُرَر البيان و دُرَره * و مُلَح الادب
و نوادره * الى ما وشّحتُها به من الآيات * و محاسن الكنايات *
و رصّعته فيها من الامثال العربيّة * و اللطائف الادبيه * و الاحاجيّ
النحويه * و الفتاوي اللغوية * و الرسائل المبتكَرة * و الخُطَب
المحبّرة * و المواعظ المُبْكية * و الاضاحيك المُلهيَة * مما امليتُ
جميعه على لسان ابي زيد السَّروجي * و اسندتُّ روايته الى الحارث
بن همّام البصري * و ما قصدتُّ بالاحماض فيه الا تنشيطَ قارئيه *
و تكثير سواد طالبيه * و لم أُودِعه من الاشعار الاجنبية * الا بيتيّن
فذّين أسّسْت عليهما بِنْيَة المقامة الحُلوانيّة * و آخرَيْن توأمين
ضمّنتهما خواتم المقامة الكَرَجيّة * و ما عدا ذلك فخاطري ابو
عُذره * و مُقتضِبُ حُلوه و مُرّه * هذا مع اعترافي بان البديع رحمه الله
سبّاقُ غايات * و صاحب آيات * و ان المتصدّي بعده لانشاء
مقامة * و لو أوتي بلاغة قُدامَة * لا يغترف الا من فُضالته * و لا يسري
ذلك المسرى الا بدلالته * و لله در القائل * نظم

فلو قبلَ مَبكاها بكيتُ صبابة * بسُعدَى شفيتُ النفس قبل التندّم
و لكنْ بكت قبلي فهيّج لي البكا * بكاها فقلت الفضلُ للمتقدّم

و ارجوا ان لا اكون في الهذَر اوردتُه * و المورد الذي توردتُّه *
كالباحث عن حتفه بظلفه * و الجادع مارنَ انفه بكفه * فالحقَ بالاخسرين

اعمالا * الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يُحسنون صُنعا * على انّي و ان اغضّ لي الفطِنُ المتغابي * و نضح عنّي المحبّ المحابي * لا اكاد اخلصُ من غُمْرٍ جاهل * اوذي غِمْرٍ متجاهل * يضع منّي لهذا الوضع * و يندّد بانه من مناهي الشرع * و مَنْ نقد الاشياء بعين المعقول * و انعم النظر في مباني الاصول * نظم هذه المقامات في سلك الافادات * و سلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات و الجمادات * و لم يسمع بمن نبأ سمعهُ عن تلك الحكايات * و اثّم رواتها في وقت من الاوقات * ثم اذا كانت الاعمال بالنيات * و بها انعقادُ العقود الدينيات * فايُّ حرجٍ على من انشأ مُلَحا للتنبيه * لا للتمويه * و نحا بها منحى التهذيب * لا الاكاذيب * و هل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم * او هدى الى صراط مستقيم * شعر

على انّني راضٍ بان احمل الهوى * و اخلُصَ منه لا عليّ و لا ليا

و بالله اعتضد * فيما اعتمد * و اعتصم * مما يصم * و استرشد * الى ما يُرشد * فما المفزع الا اليه * و لا الاستعانة الا به * و لا التوفيق الا منه * و لا الموئل الا هو * عليه توكلت * و اليه انيب *

المقامة الاولى الصنعانية

حدّث الحارث بن همّام قال لمّا اقتعدتُ غارب الاغتراب * و انأتْني المتربة عن الاتراب * طوّحت بي طوائح الزمن * الى صنعاء اليمن * فدخلتها خاوي الوفاض * بادي الانفاض * لا املك بُلغة * و لا اجد في جرابي مُضغة * فطفقت اجوب طُرُقاتها مثل الهائم * و اجول في حوماتها جولان الحائم * و اَرودُ في مسارح لمحاتي *

و مسائح غَدَواتي و رَوَحاتي * كريما أَخلق له ديباجتي * و ابُوح
اليه بحاجتي * او اديبا تفرّج رؤيتُه غمّتي * و تروي روايته غُلّتي *
حتى ادّتني خاتمةُ المطاف * و هدّتني فاتحة الالطاف * الى نادٍ
رحيب * محتوٍ على زحام و نحيب * فولجْتُ غابة الجمع * لاَسْبُرَ
مَجلَبة الدمع * فرايت في بُهرة الحلقة * شخصا شَخْتَ الخلقة * عليه
اُهْبَة السياحة * و له رنّة النياحة * وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه *
و يقرَع الاسماعَ بزواجر وعظه * و قد احاطت به اخلاطُ الزُّمَر * احاطةَ
الهالة بالقمر * و الاكمام بالثمر * فدلَفْتُ اليه لاقتبِس من فوائده *
و التقِطَ بعضَ فرائده * فسمعته يقول حين خبَّ في مجاله * و هدرت
شقاشق ارتجاله * ايها السادر في غُلَوائه * السادلُ ثوب خُيَلائه * الجامحُ
في جَهالاته * الجانح الى خُزَعْبلاته * اِلاَم تستمرُّ على غيّك * و تستمرئ
مرعى بَغْيك * و حتّامَ تتناهى في زهوك * و لا تنتهي عن لهوك *
تُبارِز بمعصيتك * مالكَ ناصيتك * و تجترئ بقبحِ سيرتك * على
عالمِ سريرتك * و تتوارَى عن قريبك * و انت بمَرأى رقيبك *
و تستخفي من مملوكك * و ما تخفى خافيةٌ على مليكك * اتظُنُّ
ان ستنفعك حالُك * اذا آنَ ارتحالك * او ينقذك مالُك * حين تُوبِقُك
اعمالُك * او يغني عنك ندَمُك * اذا زلّت قدمك * او يعطف
عليك معشرَك * يومَ يضُمُّك محشرُك * هلا انتهجْتَ محجّةَ
اهتدائك * و عجّلت معالجةَ دائك * و فللتَ شباةَ اعتدائك *
وقدعت نفسك فهي اكبر اعدائك * اما الحمام ميعادك * فما
إعدادك * و بالمشيب انذارك * فما اعذارك * و في اللحد مقيلك * فما
قيلك * و الى الله مصيرك * فمنْ نصيرك * طالما ايقظك الدهر
فتناعستَ * و جذبك الوعظُ فتقاعستَ * و تجلّت لك العِبَر فتعاميتَ *

و حصحص لك الحق فما ريت * واذكرك الموت فتناسيت * و امكنك ان تُواسي فما آسيت * تؤثر فلسا توعيه * على ذكرٍ تعيه * و تختار قصرا تُعليه * على برّ توليه * و ترغب عن هاد تستهديه * الى زاد تستهديه * و تُغلّبُ حبَّ ثوبٍ تشتهيه * على ثواب تشتريه * يواقيت الصِّلات * اعلق بقلبك من مواقيت الصلاة * و مغالاة الصدُقات * آثرَ عندك من موالاة الصدقات * و صحاف الالوان * اشهى اليك من صحائف الاديان * و دُعابة الاقران * آنسُ لك من تلاوة القرآن * تأمر بالعُرف و تنتهك حماه * و تحمي عن النُّكر و لا تتحاماه * و تُزحزِح عن الظلم ثم تغشاه * و تخشى الناس و الله احقُّ ان تخشاه * ثم انشد نظم

تَبًّا لطالب دنيا * ثنّى اليها انصبابه
ما يستفيق غَراما * بها و فرطَ صَبابه
و لو درى لكفاه * مما يروم صُبابه

ثم انه لبَّد عَجاجتَهُ * و غيَّض مجاجتَهُ * و اعتضد شكوته * و تأبّط هراوته * فلما رنت الجماعة الى تحفّزه * و رأت تأهبه لمزايلة مركزه * ادخل كلُّ منهم يده في جيبه * فانعم له سَجْلا من سَيبه * و قال اصرِفْ هذا في نفقتك * او فرقّه على رُفْقتك * فقبِلَه منهم مُغْضيا * و انثنى عنهم مثنيا * و جعل يُوَدِّع من يُشيّعه * ليخفى عليهم مهيعه * و يُسرّبُ من يتبعه * لكي يُجهَل مربعه * قال الحارث بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني * و قفوتُ إثره من حيث لايراني * حتى انتهى الى مغارة * فانساب فيها على غرارة * فامهلته ريثما خلعَ نعلَيه * و غَسل رجليه * ثم هجمت عليه * فوجدته محاذيا لتلميذ * على خُبز سَمِيذ * و جديٍ

حنيذ * و قُبالتهما خابية نبيذ * فقلت (١) يا هذا ايكون ذاك خبرك * و هذا مَخْبَرك * فزفر زفرة القيظ * و كاد يتميَّز من الغيظ * و لم يزل يُحَمْلِق اليَّ * حتى خفت ان يسطو عليَّ * فلما ان خبت ناره * و توارى اُواره * انشد نظم

لبستُ الخميصة ابغي الخبيصه * و انشبت شِصّيَ في كل شيصه
و صيّرت وعظيَ اُحبولةً * اُريغُ القنيصَ بها و القنيصه
و الجاتي الدهرُ حتى ولجتُ * بلطف احتيالي على الليث عيصه
على انني لم اهَبْ صرفه * و لا نبضت ليَ منه فريصه
و لا شرعت بي على مَوْرِدٍ * يُدنِّس عِرضيَ نفسٌ حريصه
و لو انصف الدهر في حكمه * لما ملَّك الحكم اهل النقيصه

ثم قال لي ادنُ فكُلْ * و ان شئتَ فقم و قُلْ * فالتفتُّ الى تلميذه و قلت عزمتُ عليك بمن يُستدفَع به الاذى * لتُخبرني مَن ذا * فقال (٢) هذا ابو زيد السروجي سراج الغرباء * و تاج الادباء * فانصرفتُ من حيث اتيت * و قضيتُ العجب مما رأيت *

المقامة الثانية بالحلوانية

حكى الحارث بن همّامٍ قال كلفتُ مذ مِيطتْ عني التمائم * و نِيطتْ بي العمائم * بان اغشى مَعانَ الادب * و انضيَ اليه ركابَ الطلب * لاَعلق منه بما يكون لي زينةً بين الانام * و مُزنةً عند الاُوام * و كنت لفرط اللَّهج باقتباسه * و الطمع في تقمّص لباسه * اُباحث كل من جلَّ و قلّ * و استسقي الوبْلَ و الطلَّ * و اتعلّل بعسى و لعلَّ * فلما حلَلْت حُلوان * و قد بلوتُ الاخوان * و سبرت

---

(١) فقلت له (٢) فقال لي *

الاوزان * و خبرت ما شان و زان * الفيتُ بها ابا زيدٍ السروجيَّ يتقلب في قواليب الانتساب * و يخبط في اساليب الاكتساب * فيدَّعِي تارةً انه من آل ساسان * و يعتزي مرةً الى اَقيال غسَّان * و يبرز طورا في شعار الشعراء * و يلبس حينا كِبْرَ الكبراء * بيدَ انه مع تلون حاله * و تبيُّن مُحاله * يتحلَّى برواءٍ و رواية * و مداراةٍ و دراية * و بلاغةٍ رائعة * و بديهة مطاوعة * و آداب بارعة * و قدمٍ لاعلام العلوم فارعة * فكان لمحاسن آلاته * يُلْبَسُ على عِلاَّته * و لسعة روايته * يُصبى الى رؤيته * و لخلابة عارضته * يُرغَب عن معارضته * و لعذوبة ايراده * يُسعَف بمُراده * فتعلَّقت باَهْدابه * لخصائص آدابه * و نافستُ في مصافاته * لنفائس صفاته * شعر

فكنت به اجلُو هُمومي و اَجتلِي * زمانيَ طلْقَ الوجه مُلتمِع الضيا

اَرى قربهُ قربىً و مَغناه غُنيةً * و رؤيتَه رِيًّا و مَحياه لي حَيا

و لبثنا على ذلك بُرهة * يُنشئ لي كلَّ يوم نُزهة * و يدرأ عن قلبي شُبهة * الى ان جدَحَت له يدُ الاملاق * كأْس الفراق * و اغراه عدمُ العِراق * بتطليق العِراق * و لفظته معاوِزُ الارفاق * الى مفاوِز الآفاق * و نظَمه في سِلك الرفاق * خُفوق رأية الاخفاق * فشحَذ للرِّحلة غِرار عزمته * و ظعَن يقتاد القلبَ بازمَّته * نظم

فما راقني مَنْ لاقني بعد بُعده * و لا شاقني مَنْ ساقني لوصاله

و لا لاح لي مذ ندَّ ندٌّ لفضله * و لا ذو خِلالٍ حاز مثلَ خِلاله

و استسرَّ عني حينا * لا اعرف له عرينا * و لا اجد عنه مبينا * فلما اُبت من غُربتي * الى منبت شعبتي * حضرت دارَ كُتبها التي هي مُنتدى المتأدِّبين * و ملتقى القاطنين منهم و المتغرِّبين * فدخل ذو لحية كثَّةٍ * و هيأة رثَّةٍ * فسلَّم على الجُلَّاس * و جلس

في أُخريات الناس * ثم اخذ يُبدي ما في وِطابه * و يُعجِب الحاضرين بفصل خطابه * فقال لمن يليه * ما الكتاب الذي تنظر فيه * فقال ديوان ابي عُبادة * المشهود له بالاجادة * فقال هل عثرتَ فيما لمحتَه * على بديع استملحتَه * فقال نعم قوله شعر

كانما يبسمُ عن لؤلؤ * منضّد او بَرَد او اقاح

فانه ابدع في التشبيه * المودعِ فيه * فقال له يا للعجب * و لضيعة الادب * لقد استسمنْتَ يا هذا ذا وَرَم * و نفختَ في غير ضَرَم * اين انت من البيت الندْر * الجامع مشبّهات الثغر * و انشد نظم

نفسي الفداء لثغر راقَ مَبسمُهُ * و زانه شَنَبٌ ناهيك من شَنَب
يفترّ عن لؤلؤ رطبٍ و عن بَرَد * و عن اَقاحٍ و عن طلْعٍ و عن حَبَب

فاستجادهُ مَنْ حضَر و استحلاه * و استعاده منه و استملاه * و سُئل لمن هذا البيت * و هل حي قائله ام ميّت * فقال أيْمُ الله لَلحقُّ احق ان يُتّبع * و لَلصدق حقيق بان يُستَمع * انه ياقوم * لَنجيُّكم مُذ اليوم * قال فكانّ الجماعة ارتابت بعزوته * و ابتْ تصديقَ دعْوته * فتوجَّس ما هجَس في افكارهم * و فطن لما بطنَ من استنكارهم * و حاذر ان يفرُط اليه ذمٌّ * او يلحقه وصمٌ * فقرأ انّ بعض الظن إثمٌ * ثم قال يا رُواةَ القريض * و اُساة القول المريض * ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبْك * و يدُ الحق تصدَع رداء الشك * و قد قيل فيما غبر من الزمان * عند الامتحان * يُكرَم الرجل او يُهان * و ها انا قد عرّضت خبيئتي للاختبار * و عرَضْت حقيبتي على الاعتبار * فابتدر * احد مَنْ حضر * و قال اَعْرِف بيتا لم يُنسَج على منواله * ولا سمحت قريحة

بمثاله * فان آثرت اجتلاب القلوب * فانْظم على هذا الاسلوب * و انشد

شعر

فامطرتْ لؤلؤا من نرجس فسقتْ * وردا و عضّت على العُنّاب بالبَرَد

فلم يكن الا كلمح البصر او اقرب * حتي انشد و اغرب * نظم

سألتُها حين زارت نضوَ بُرقعها * القاني وايداعَ سمعي اطيب الخَبَر

فزحزحت شفقا غشّى سنا قمر * و ساقطت لؤلؤا من خاتم عَطِر

فحار الحاضرون لبداهته * و اعترفوا بنزاهته * فلما آنس استئناسهم

بكلامه * و انصبابَهم الى شعب اكرامه * اطرق كطرفة العين * ثم

قال و دونكم بيتين آخرين * و انشد * نظم

و اقبلت يوم جدّ البينُ فى حُلَلٍ * سودٍ تعضّ بنان النادم الحصر

فلاحَ ليلٌ على صبح اقلّهما * غصن و ضرّست البلّور بالدُرَر

فحينئذ استسنى القوم قيمته * و استغروا ديمته * و اجملوا

عشرته * و جمّلوا قشرته * قال المخبر بهذه الحكاية * فلما رايتُ تلهب

جذوته * و تألق جلوته * امعنتُ النظر في توسّمه * و سرّحت

الطرف في ميسمه * فاذا هو شيخنا السروجيُّ * و قد اقمر ليله

الدّجوجيُّ * فهنّأتُ نفسي بموردهِ * و ابتدرتُ استلامَ يده * و قُلت

له ما الذي احال صفتك * حتى جهلتُ معرفتك * واي شيء

شيّب لحيتك * حتى انكرتُ حليتك * فانشاء يقول * نظم

وقْع الشوائب شيّبْ * و الدهر بالناس قُلّبْ

ان دانَ يوما لشخص * ففي غد يتغلّب

فلا تثق بوميض * من برقه فهو خُلّب

و اصْبرْ اذا هو اضرى * بك الخطوبَ و الّب

فما على التبر عار * في النار حين يقلّب

ثم نَهض مفـــارقا موضعه * و مستصحـــبا القـــلوبَ معه *

المقامة الثالثة القيلية

روى الحارث بن همام * قال نظمني و اخدانا لي نادٍ * لم يخب فيه مناد * و لا كبا قدحُ زناد * و لا ذكت نارُ عناد * فبينا نحن نتجاذب اطراف الاناشيد * ونتوارد طُرَف الاسانيد * إذ وقف بنا شخص عليه سَمَل * و في مشيه قَزَل * فقال يا اخائر الذخائر * و بشائر العشائر * عِمُوا صباحا * و انعموا اصطباحا * و انظروا الى من كان ذا نديّ و ندًى * و جِدَةٍ وجدًى * و عَقار و قُرى * و مَقار و قِرى * فما زال به قطوب الخطوب * و حروب الكروب * و شرر شرّ الحسود * و انتياب النُّوَب السود * حتى صفِرت الراحة * و قرِعت الساحة * و غار المنبع * و نبأ المربع * و اقوى المجمع * و اقضّ المضجع * و استحالت الحال * و اعول العيال * وخلَت المرابط * و رحِم الغابط * و اودى الناطق و الصامت * و رثى لنا الحاسد و الشامت * و آلنا للدهر المُوقِع * والفقر المُدْقِع * الى أن احتذينا الوجى * و اغتذينا الشجى * و استبطنّا الجوى * و طوينا الاحشاء على الطوى * و اكتحلنا السهاد * و استوطنّا الوهاد * و استوطأْنا القتاد * و تناسينا الاقتاد * و استطبنا الحين المجتاح * و استبطانا اليوم المتاح * فهل من حرّ آس * او سمحٍ مُواس * فوالذي استخرجني من قَيْلة * لقد امسيت اخا عَيلة * لا املك بيت ليلة * قال الحارث بن همام فاويتُ لمفاقره * و لويتُ الى استنباط فِقَرِه * فابرزت له دينارا * و قلت له اختبارا * ان مدحته نظما * فهو لك حتما * فانبرى ينشد في الحال * من غير انتحال *

نظم

أَكْرِمْ بِهِ اصفَرَ راقتْ صُفرتُه * جوّابَ آفاقٍ ترامت سَفْرتُهُ

مأثورةٌ سمعتُه و شُهرتُه * قد اُودعت سِرَّ الغنى اسرّتُه

وقارنت نُجحَ المساعي خطرته * و حُبِّبَتْ الى الانام غرته

كأنما من القلوب نُقرته * به يصول من حوتْه صُرّته

وان تفانت او توانت عترته * يا حبّذا نُضارُه و نضرته

و حبذا مغناته و نصرته * كم آمر به استتبّتْ اِمرته

و مُترَفٍ لولاه دامت حسرته * و جيش همّ هزمته كرّته

و بدر تمّ انزلته بدرته * و مستشيطٍ تتلظى جمرته

اسرّ نجواه فلانت شرته * و كم اسيرٍ اسلمته اسرته

انقذه حتى صفت مسرته * و حق مولى ابدعته فطرته

لولا التقى لقلت جلّتْ قدرته

ثم بسط يده * بعد ما انشده * و قال أنجز حرٌّ ما وعد * و سحَّ خالٌ اذ رعد * فنبذت الدينار اليه * و قلت خذه غير ماسوف عليه * فوضعه في فيه * و قال بارك اللهم فيه * ثم شمر للانثناء * بعد توفية الثناء * فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام * سهّلتْ عليَّ ائتناف اغترام * فجردت (١) دينارا آخر و قلت هل لك في ان تذمّه * ثم تضمّه * فانشد مرتجلا * و شدا عجلا * نظم

تَبًّا له من خادع ممـاذق * أصفر ذي وجهين كالمنافق

يبدو بوصفين لعين الرامق * زينة معشوق و لون عاشق

و حبّه عند ذوي الحقائق * يدعو الى ارتكاب سخط الخالق

لولاه لم تُقطع يمينُ سارق * و لا بدت مظلمةٌ من فاسق

---

(١) - فجردت له *

و لا اشمأزّ باخل من طارق * و لا شكا الممطول مطل العائق
و لا استعيذ من حسود راشق * و شر ما فيه من الخلائق
أن ليس يغني عنك في المضائق * الا اذا فرّ فرار الأبق
واها لمن يقذفه من حالق * ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق * لا رأى في وصلك لي ففارق

فقلت له ما اغزر وبلك * فقال و الشرط املك * فنفحته بالدينار الثاني * وقلت له عوذهما بالمثاني * فالقاه في فمه * و قرنه بتوأمه * وانكفأ يحمد مغداه * و يمدح النادي و نداه * قال الحارث بن همام فناجاني قلبي بانه ابو زيد * و انّ تعارجه لكيد * فاستعدته و قلت له قد عرفت بوشيك * فاستقم في مشيك * فقال ان كنت ابن همام * فحُيّيت باكرام * وحَييت بين كرام * فقلت انا الحارث * فكيف حالك و الحوادث * فقال اتقلّب في الحالين بؤس و رَخاء * و انقلب مع الريحين زعزع و رُخاء * فقلت فكيف ادّعيت القزل * و ما مثلك من هزل * فاستسرّ بشره الذي كان تجلى * ثم انشد حين ولى * نظم

تعارجت لا رغبةً في العرج * و لكن لا قرع باب الفرَج
وألقيَ حبلي على غاربي * واسلك مسلك من قد مَرَج
فان لامني القوم قلت اعذروا * فليس على اعرج من حرج

المقامة الرابعة الدمياطية

اخبر الحارث بن همام * قال ظعنت الى دمياط * عام هياط و مياط * و انا يومئذ مرموق الرخاء * مرموق الاخاء * اسحب مطارف الثراء * و اجتلي معارف السرّاء * فرافقت صحبا

قد شقوا عصا الشقاق * و ارتضعوا افاويق الوفاق * حتى لاحوا كاسنان المشط فى الاستواء * و كالنفس الواحدة فى التيام الاهواء * و كنا مع ذلك نسير النجاء * و لا نرحل الا كل هوجاء * و اذا نزلنا منزلا * او وردنا منهلا * اختلسنا اللبث * و لم نُطل المكث * فعنّ لنا إعمالُ الركاب * في ليلة فتية الشباب * غُدافيّة الاهاب * فاسرينا الى ان نضا الليل شبابه * وسَلتَ الصبح خضابه * فحين مللنا السُّرى * و ملنا الى الكَرَى * صادفنا ارضا مخضَلّة الرُّبا * معتلّة الصبا * فتخيرناها مناخا للعيس * و محطّا للتعريس * فلما حلها الخليط * و هدأ بها الاطيط و الغطيط * سمعت مُتيّتاً من الرجال * يقول لسميره فى الرحال * كيف حكم سيرتك * مع جيلك و جيرتك * فقال ارعي الجار * و لو جار * و ابذلُ الوصال * لمن صال * و احتمل الخليط * و لو ابدى التخليط * و اود الحميم * و لو جرعني الحميم * و افضّل الشفيق * على الشقيق * و افي للعشير * و ان لم يكافي بالعشير * و استقل الجزيل * للنزيل * و اغمر الزميل * بالجميل * و أنزل سميري * منزلة اميري * و احلّ انيسي * محل رئيسي * و اودع معارفي * عوارفي * و اولي مُرافقي * مَرافقي * و ألين مقالي * للقالي * و أُديم تسآلي * عن السالي * و ارضى من الوفاء * بالّلفاء * و اقنع من الجزاء * باقل الاجزاء * و لا انظلّم * حين أُظلَم * و لا انقم * و لو لدغني الارقم * فقال له صاحبه ويك يا بُنيّ انما يُضَنّ بالضنين * و يُنافَس فى الثمين * لكن انا لا آتي * غير المواتي * و لا أسِمُ العاني * بمُراعاتي * و لا أُصافي * من يأبى انصافي * و لا أُواخي * من يلغي الاواخي * و لا أُمالي * من يخيّب آمالي * و لا أُبالي *

بمن صرم حبالي * و لا اداري * من جهل مقداري * و لا أعطى زمامي * من يخفر ذمامي * و لا ابذل ودادي * لاضدادي * و لا ادع ايعادي * لمعادي * و لا اغرس الايادي * في ارض الاعادي * و لا اسمح بمواساتي * لمن يفرح بمسآتي * و لا ارى التفاتي * الى من يشمت بوفاتي * و لا اخص بحبائي * الا احبائي * و لا استطب لدائي * غير اودائي * و لا املك خلتي * من لا يسد خلتي * و لا أصفى نيتي * لمن يتمنى منيتي * و لا اخلص دعائي * لمن لا ينفع وعائي * و لا أفرغ ثنائي * على من يفرغ انائي * و من حكم بان ابذل وتخزن * و آلين و تخشن * و اذوب و تجمد * و اذكو و تخمد * لا والله بل نتوازن في المقال * وزن المثقال * و نتحاذى في الفعال * حذو النعال * حتى نأمن التغابن * و نكفى التضاغن * والا فلم أعلك و تعلني * و أقلك و تستقلني * و أجترح لك و تجرحني * واسرح اليك و تسرحني * وكيف يجتلب انصاف بضيم * و انى تشرق شمس مع غيم * و متى اصحب ود بعسف * واي حر رضي بخطة خسف * ولله ابوك حيث يقول * نظم

جزيت من اعلق بي وده * جزاء من يبني على أسه
و كلت للخل كما كال لي * على وفاء الكيل او بخسه
ولم أخسره و شر الورى * من يومه أخسر من امسه
وكل من يطلب عندي جنى * فما له الا جنى غرسه
لا أبتغي الغبن و لا انثني * بصفقة المغبون في حسه
و لست بالموجب حقا لمن * لا يوجب الحق على نفسه
و رب مذاق الهوى خالني * اصدقه الود على لبسه

وما درى من جهله انني * اقضي غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى * وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة * لباس من يرغب عن انسه
ولا ترج الود ممن يرى * انك محتاج الى فلسه

قال الحارث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما * تقت الى ان اعرف عينهما * فلما لاح ابن ذكاء * والحف الجو الضياء * غدوت قبل استقلال الركاب * ولا اغتداء الغراب * وجعلت استقري صوب الصوت الليلي * واتوسم الوجوه بالنظر الجلي * الى ان لمحت ابا زيد وابنه يتحادثان * وعليهما بردان رثان * فعلمت انهما نجيا ليلتي * وصاحبا روايتي * فقصدتهما قصد كلف بدماثتهما راث * لرثاثتهما * وابتذلت لهما التحول الى رحلي * والتحكم في كثري وقلي * وطفقت اسير بين السيارة فضلهما * واهز الاعواد المثمرة لهما * حتى غمرا بالنحلان * واتخذا من الخلان * وكنا بمعرس تتبين منه بنيان القرى * تنور نيران القرى * ولما رأى ابو زيد امتلاء كيسه * وانجلاء بؤسه * قال لي ان بدني قد اتسخ * ودرني قد رسخ * افتأذن لي في قصد قرية لاستحم * واقضي هذا المهم * فقلت اذا شئت فالسرعة السرعة * والرجعة الرجعة - فقال ستجد مطلعي عليك * اسرع من ارتداد طرفك اليك * ثم استن استنان الجواد في المضمار * وقال لابنه بدار بدار * ولم نخل انه غر * وطلب المفر * فلبثنا نرقبه رقبة اهلة الاعياد * ونستطلعه بالطلائع والرواد * الى ان هرم النهار * وكاد جرف اليوم ينهار * فلما طال امد الانتظار * ولاحت الشمس في الاطمار * قلت لاصحابي قد تناهينا في المهلة *

و تمادينا في الرحلة * الى ان اضعنا الزمان * و بان ان الرجل مان * فتأهبوا للظعن * و لا تلووا على خضرآء الدمن * و نهضت لاحدج راحلتي * و احمل لرحلتي * فوجدت ابا زيد قد كتب على القتب * نظم

يا من غدا لي ساعدا * و مساعدا دون البشر

لا تحسبن انّي نأيـ * ـت عن ملال او اشر

لكنني مذ لم ازل * ممن اذا طعم انتشر

قال فاقرأت الجماعة القتب * ليعذره من كان عتب * فاعجبوا بخرافته * و تعوذوا من آفاته * ثم انا ظعنا * و لم ندر من اعتاض عنا *

المقامة الخامسة الكوفية

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة اديمها ذو لونين * و قمرها كتعويذ من لجين * مع رفقة غذوا بلبان البيان * و سحبوا على سحبان ذيل النسيان * ما فيهم الا من يحفظ عنه * و لا يتحفظ منه * و يميل الرفيق اليه و لا يميل عنه * فاستهوانا السمر * الى ان غرب القمر * و غلب السهر * فلما روق الليل البهيم * و لم يبق الا التهويم * سمعنا من الباب نبأة مستنبح * ثم تلتها صكة مستفتح * فقلنا من الملم * في الليل المدلهم *

فقال * نظم

يا اهل ذا المغنى وقيتم شرّا * و لا لقيتم ما بقيتم ضرّا

قد دفع الليل الذي اكفهرّا * الى ذراكم شعثا مغبرّا

اخا سفار طال و اسبطرّا * حتى انثنى محقوقفا مصفرّا

مثلَ هلالِ الافقِ حين افترّا * و قد سرا فداءكم معتـــراً
و امّكـــم دون الانـــام طُرّا * يبغي قرىً منكم و مُستقرّاً
فدونكم ضيفـــا قنوعا حُرّاً * يرضى بما احلولى و ما امرّا
و ينثني عنكم يُنثّ البِرّا *

قال الحارث بن همام فلما خُلبنا بعُذوبة نطقه * و علمنا ما وراء بَرْقه * ابتدرنا فتح الباب * و تلقيناه بالتّرحاب * و قلنا للغلام هَيّا هيّاً * و هلُمَّ ما تهيّا * فقال الضيف والذي احلني ذَرَاكم * لا تلمّظت بقِرَيكم * او تضمّنوا لي ان لا تتخذوني كلّا * و لا تجشّموا لاجلي أُكْلا * فرب اُكلةٍ هاضت الآكِل * و حرمته مآكِل * و شر الاضياف من سام التكليف * و آذى المضيف * و خصوصا اذىً يعتلِقُ بالاجسام * و يفضي الى الاسقام * و ما قيل في المثل الذي سار سايرُه * خيرُ العَشاء سوافره * الا ليعجل التعشّي * و يُجتنب اكلُ الليل الذي يعشّي * اللهم الا ان تقِد نار الجوع * و تحُوْل دون الهجوع * قال فكأنه اُطلع على إرادتنا * فرمى عن قوس عقيدتنا * لاجرم انا آنسناه بالتزام الشرط * و اثنيناه على خُلقه السبط * فلما احضر الغلام ما راج * و اذكى بيننا السراج * تأملته فاذا هو ابو زيد فقلت لصحبي لِيَهْنِكم الضيفُ الوارد * بل المغنم البارد * فان يكن اَفَل قمر الشّعرى فقد طلع قمر الشّعر * او استسرّ بدر النثرة فقد تبلّج بدر النثر * فسرت حُميّا المسرة فيهم * و طارت السِّنَة عن مآقيهم * و رفضوا الدعَة التي كانوا نووْها * و ثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طوَوْها * و ابو زيد مُكِبٌّ على اعمال يديه * حتى اذا استرفع ما لديه * قلت له اطرفنا بغريبة من غرائب

اسمارك * او عجيبة من عجائب اسفارك * فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون * و لارواه الراوون * و ان من اعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم * و مصيري الى بابكم * فاستخبرناه عن طُرفة مرآه * في مسرح مسراه * فقال ان مرامي الغربة لفظتني الى هذه التربة * و انا ذو مجاعة و بوسى * و جراب كفؤاد امّ موسى * فنهضت حين سجا الدجى * على ما بي من الوجى * لارتاد مُضيفا * او اقتاد رغيفا * فساقني حادي السغب * و القضاء المكنى ابا العجب * الى ان وقفت على باب دار * فقلت على بدار *

نظم

حُيِّيتُمُ يا اهل هذا المنزلِ * وعشتُمُ في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مُرمِلِ * نِضوِ سُرىً خابطِ ليلٍ أليل
جوى الحشى على الطوى مشتمل * ما ذاق مذ يومان طعمَ مأكل
و لا له في ارضكم من موئل * و قد دجى جنح الظلام المُسبَل
وهو من الحيرة في تململ * فهل بهذا الربع عذبُ المنهل
يقول لي الق عصاك و ادخل * ابشر ببِشْر و قِرىً معجل

قال فبرز اليَّ جُوذَر * و عليه شوذَر * و قال * نظم

و حرمة الشيخ الذي سنَّ القِرى * و اسَّس المحجوجَ في امّ القُرى
ما عندنا لطارق اذا عرى * سوى الحديث والمُناخ في الذَّرى
و كيف يقري من نفى عنه الكرى * طوي برى اعظُمَه لما انبرى

فما ترى فيما ذكرتُ ما ترى

فقلت ما اصنع بمنزل قفر * و مُنزل حِلفِ فَقْر * و لكن يا فتى ما اسمك * فقد فتنني فهمك * فقال اسمي زيد * و منشائي فيد * و وردت الى هذه المَدَرة امس * مع اخوالي من بني

عَيْصٍ * فقلت له زدني ايضاحا عِشْتَ * و نُعِشْتَ * فقال
اخبرتني أُمي بَرَّة * و هي كاسمها بَرَّة * انها نكحت عام الغارة
بماوان * رجلا من سَراة سَروج و غَسَّان * فلما آنس منها
الاثقال * و كان باقعةً على ما يقال * ظَعَن عنها سرا * و هلم جرًّا
فما يعرف أحَيٌّ هو فيُتوقَّع * ام أُودِعَ اللحدَ البلقع * قال ابو زيد
فعلمت بصحة العلامات أنه ولدي * و صَدَفني عن التعرف اليه
صَفَرُ يدي * ففصلت عنه بكبد مرضوضة * و دموع مفضوضة * فهل
سمعتم يا اولي الالباب * باعجب من هذا العُجاب * قلنا لا و من
عنده علم الكتاب * فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق * و خلّدوها
بطون الاوراق * فما سُيِّر مثلها في الآفاق * فاحضرنا الدواة و اساودها *
و رقشنا الحكاية على ما سردها * ثم استنبطناه عن مرتآه في استضمام
فتاه * فقال اذا ثقُل رُدني * خفّ عليّ ان اكفُل ابني * فقلنا
ان كان يكفيك نصاب من المال * ألّفناه لك في الحال * فقال
و كيف لا يُقنعُني نصاب * و هل يحتقر قدره اِلّا مصاب * قال
الراوي فالتزم منه كل منا قسطا * و كتب له به قِطًّا * فشكر
عند ذلك الصنع * و استنفد في الثناء الوسع * حتى اننا استطلنا
القول * و استقللنا الطول * ثم انه نشر من وشي السمر * ما ازرى
بالحِبَر * الى ان اظل التنوير * و جشر الصبح المنير * فقضيناها
ليلة غابت شوائبها * الى ان شابت ذوائبها * و كمل سُعودها *
الى ان انفطر عودها * و لما ذرّ قرن الغزالة * طمر طُمور الغزالة *
و قال انهض بنا لنقبض الصلات * و نستنضّ الاحالات * فقد
اسطارت صدوعُ كبدي * من الحنين الى ولدي * فوصلت
جناحه * حتى سَنَّيت نجاحه * فحين احرز العين في صرّته *

برقت اسارير مسرته * وقال لي جزيتَ خيرا عن خُطا قدميك * والله خليفتي عليك * فقلت أُريد ان اتبعك لاشاهد ولدك النجيب * وأُناوشه لئلا يجيب * فنظر اليَّ نظرةَ الخادع الى المخدوع * وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع * ثم انشد * نظم

يا من تظنَّى السراب ماء * لماَّ رَوَيتُ الذي رويتُ
ما خلت ان يستسرَّ مكري * وان يُخيلَ الذي عنيتُ
والله ما بـرَّة بعـرسي * ولا ليَ ابنٌ به اكتنيتُ
وانما لـي فنـونُ سحـر * ابدعتُ فيها وما اقتديتُ
لم يحكها الاصمعيُّ فيما * حكى ولا حاكها الكُمَيتُ
تخذتُها وُصْلةً والى ما * تجنيه كفّي متى اشتهيتُ
ولو تعافيتُهـا لحـالت * حالي ولم احوِ ما حويتُ
فمهّدِ العُـذرَ او فسـامح * ان كنتُ اجرمتُ اوجنيتُ

ثم انه ودعني ومضى * واودع قلبي جمرَ الغضا *

المقامة السادسة المراغية
وتعرف بالخيفاء

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة * وقد جرى به ذكرُ البلاغة * فاجمع من حضر من فرسان اليراعة * وارباب البراعة * على انه لم يبق من ينقّح الانشاء * ويتصرَّف فيه كيف شاء * ولا خلَف * بعد السلَف * من يبتدع طريقةً غرّاء * او يفترعُ رسالةً عذراء * وانَّ المفلقَ من كُتّاب هذا الاوان * المتمكّن من ازمة البيان * كالعيال على الاوائل * ولو ملك فصاحة سحبان

وائل * وكان بالمجلس * كهل جالس فى الحاشية * و عند مواقف الحاشية * فكان كلما شط القوم في شوطهم * ونثروا النجوة والفجوة من نوطهم * ينبى تخاوُر طرفه * و تشامُخ انفه * انه مُخْرنبق لينباع * ومُجْرمِزٌ سيمدّ الباع * و نابض يبرى النبال * و رابض يبغى النضال * فلما نُثلت الكنائن * و فاءت السكائن * و ركدت الذعازع * و كفّ المنازع * اقبل على الجماعة و قال لقد جئتم شيئاً اِدّاً * وجرتم عن القصد جدّاً * و عظمتم العظام الرفات * و افنتم فى الميل الى من فات * و غمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات * و معهم انعقدت المودات * انسيتم يا جهابذة النقد * و موابذة الحل و العقد * ما ابرزته طوارف القرائح * و بزّ فيه الجذع على القارح * من العبارات المهذبة * والاستعارات المستعذبة * و الرسائل الموشحة * و الاساجيع المستملحة * و هل للقدماء اذا انعم النظر * من حضر * غير المعانى المطروقة المورد * المعقولة الشوارد * المأثورة عنهم لتقادم الموالد * لا لتقدم الصادر على الوارد * و اني لاعرف الان من اِذا انشأ * وشّى * و اِذا عبّر * حبّر * و اذا اسهب اذهب * و اذا اوجز * اعجز * و ان بدّه * شدّه * و متى اخترع * خرع * فقال له ناظورة الديوان * و عين اولئك الاعيان * من قارعُ هذي الصَّفاة * و قريعُ هذه الصفات * قال انه قِرنُ مجالك * و قرين جدالك * و اذا شئت فرُضْ نجيبا * و ادع مُجيبا * لترى عجيبا * فقال له يا هذا ان البغاث بارضنا لاتستنسر * و التمييز عندنا بين الفضة و النضّة متيسّر * و قلّ من استهدف للنضال * فخلص من الداء العُضال * او استثار نقع الامتحان * فلم يقذ بالامتهان * فلا تعرض عرضك للمفاضح * و لا تعرض عن نصاحة الناصح * فقال كل

امرء اعرف بوسم قدحه * و سيتفرّى الليل عن صبحه * فتناجت
الجماعة فيما يُسبَّر به قليبه * و يعمد فيه تقليبُه * فقال احدهم
ذروه في حصّتي * لارميه بحجر قصتي * فانها عُضْلة العُقَد *
محكّ المنتقد * فقلّدوه في هذا الامر الزعامة * تقليد الخوارج
ابا نعامة * فاقبل على الكهل و قال اعلم انّى أُوالي * هذا
الوالي * و أُوضّح حالي * بالبيان الحالي * وكنت استعينُ على
تقويم أَوَدي * في بلدي * بسَّعَةِ ذاتِ يدي * مع قلة عددي *
فلما ثقل حاذي * و نفذ رذاذي * اممتُه من ارجائي * برَجائي *
و دعوته لاعادة رُوائي * و اروائي * فهش للموفادة و ارتاح * و غدا
بالافادة و راح * فلما استأذنته في المَراح * الى المُراح * على
كاهل المِراح * قال قد ازمعتُ ان لا ازودك بتاتا * و لا اجمع لك
شتاتا * او تُنشئَ امامَ ارتحالك * رسالةً تودعها شرح حالك *
حروف احدَى كلمتيها يعمُّها النَّقْطُ * و حروف الاخري لم يُعجمنَ
قطُّ * و قد استانيتُ بياني حولا * فما آحار قولا * و نبّهت
فكري سَنَةً * فما ازداد الا سِنَة * و استعنتُ بقاطبة الكُتَّاب * فكل
منهم قطَّبَ و تاب * فان كنتَ صدعت عن وصفك باليقين *
فأت بآية ان كنت من الصادقين * فقال له لقد استسعيت
يعبوبا * و استسقيت آسكوبا * و اعطيت القوس باريها * و
انزلت الدار بانيها * ثم فكَّر رَيْثَما استجمّ قريحتَهُ * و استدرّ لقحتَهُ *
و قال له الْق دَواتك * و خذ اداتك * و اكتب * (١)

الكرمُ ثبّت اللّهُ جيش سعودك يزين * و اللوُم غضَّ الدهرُ
جفنَ حسودك يَشين * و الاروعُ يُثيب * و المعورُ يخيب *

(١) ـ و اكتب * و من سوء الظن فتب *

و العاجل يضيف * و الماحل يخيف * و السمح يغذي * و المحك يقذي * و العطاء ينجي * و المطال يشجي * و الدعاء يقي * و المدح ينقي * و الحر يجزي * و الالطاط يخزي * و اطراح ذي الحرمة غي * و محرمة بني الامال بغى * و ما ضن الا غبين * و لا غبن الا ضنين * و لا خزن الا شقي * و لا قبض راحة نقي * و ما فتئ وعدك يفي * و آراؤك تشفي * و حملك يغضي * و هلالك يضئ * و آلاؤك تغذي * و اعداؤك تثني * و حسامك يفني * و سوددك يبني * و مواصلك يجتني * و مادحك يقتني * و سماحك يغيث * و سماؤك تغيث * و درك يفيض * و ردك يغيض * و مؤملك شيخ حكاه فيئ * و لم يبق له شئ * امك بظن حرصه ينب * و مدحك بنخب مهورها تجب * و مرامه يخف * و اوامره تشف * و اطراؤه يجتذب * و ملامه يجتنب * و وراءه ضفف * مسهم شظف * و حصهم جنف * و عمهم قشف * و هو في دمع يجيب * و وله يذيب * و هم تضيف * و كمد نيف * لمامول خيب * و اعمال شيب * و عدو ديب * و هدو تغيب * و لم يزغ وده فيغضب * و لا خبث عوده فيقضب * و لا نفث صدره فينفض * و لا نشز وصله فيبغض * و ما يقتضي كرمك نبذ حرمه * فبيض امله بتخفيف المه * ينث حمدك بين عالمه * بقيت لاماطة شجب * و اعطاء نشب * و مداوة شجن * و مراعاة يفن * موصولا بخفض * و سرور غض * ما غشي معهد غني * و خشي وشم غبي * و السلام * فلما فرغ من املاء رسالته * و جلى في هيجاء البلاغة عن بسالته * ارضته الجماعة فعلا و قولا * و اوسعته حفارة

وطولا * ثم سئل من اي الشعوب نجاره * و في اي الشعاب وجاره

فقال * نظم

غسّانُ أُسرتيَ الصميمه * و سَروجُ تربُتيَ القديمه
والبيت مثل الشمس اشـ * ـراقا و منـزلة جسيمه
و الربع كالفـردوس مَطْـ * ـيبةً و منزهة و قيمه
واهًا لعيش كان لي * فيهـا و لذات عميمه
ايام اسحبُ مُطـرفي * في روضها ماضى العزيمه
اختالُ في بُـردِ الشبا * ب واجتلي النعم الوسيمه
لا اتقـي نوب الزما * ن و لا حوادثه المُليمه
فلَوَ انّ كربا متلفٌ * لتلفتُ من كربي المقيمه
او يُفتدى عيش مضى * لفدّته مهجتيَ الكريمه
فالموت خير للفـتى * من عيشه عيش البهيمه
تقتـاده برّةُ الصغا * ر الى العظيمة و الهضيمه
و يرى السباع تنوشها * ايدى الضباع المستضيمه
و الذنب للايام لو * لا شومها لم تنبُ شيمه
و لو استقامت كانت الاحوال فيهـا مستقيمه

ثم ان خبرهَ نما الى الوالي * فملأ فاه بالّلالي * و سامه ان ينضوي الى آحشائه * و يَليَ ديوانَ انشائه * فاحسبه الحياء * و ظلفه عن الولاية الاباء * قال الراوي و كنت عرفت عود شجرته * قبل ايناع ثمرته * و كدت أُنبّهُ على علو قدره * قبل استنارة بدره * فاوحى اليّ بايماض جفنه * ان لا أُجرّد عضبه من جفنه * فلما خرج بطين الخُرْج * و فصل فائزا بالفَلْج * شيّعته قاضيا حق الرعاية * و لاحيا لمَن

على رَفْض الولاية * فاعرض متبسّما * و انشد مترنّما * نظم

لَجَوْبُ البلاد مع المتربة * احب الي من المرتبه
لان الولاة لهم نَبْـوة * و مَعتَبَة يا لهـا مَعتبه
و ما فيهم من يرُبّ الصنيع * ولا من يُشيّدُ ما رتّبه
فلا يخدعَنْك لُموعُ السّرا * ب ولاتأت امرا اذا ما اشتبه
وكم حالمٍ سره حُلمُـه * و ادركه الروعُ لما انتبه

المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال ازمعت الشخوص من بَرْقَعيد * وقد شِمتُ برقَ عيد * فكرهت الرحلة عن تلك المدينة * او اشهدبها يومَ الزينة * فلما اظلّ بفرضه و نفله * و اجلب بخيله و رَجله * اتبعتُ السنة في لُبس الجديد * و برزت مع من برز للتعييد * و حين التأمَ جمعُ المصلّى و انتظم * و اَخذ الزّحام بالكَظم * طلع شيخ في شَمْلَتين * محجوبُ المُقلتين * وقد اعتضد شبهَ المِخلاة * و استقاد لعجوز كالسّعلاة * فوقف وقفةَ مُتهافت * و حيّى تحيّة خافت * و لما فرغ من دعائه * اجال خَمْسَه في وعائه * فابرز منه رقاعا قد كُتبْنَ بالوان الاصباغ * في اوان الفَراغ * فناولهنّ عجوزه الحَيزبون و امرها ان تتوسّم الزبون * فمن آنست ندى يديه * القت ورقة منهن لديه * قال فاتاح لي القدر المعتوب * رقعة فيها مكتوب * نظم

لقد اصبحتُ موقوذا * باوجـاع و اوجال
و ممنُـوّا بمختـال * و محتال و مغتـال
و خَوّان من الاخـوا * ن قالٍ لي لاقلالي

و إعمال من العمـا * ل في تضليع اعمالي
فكم آملى باذحال * و امحال و ترحال
و كم اخطرُ في بال * ولا اخطُر في بال
فليتَ الدهر لمّا جا * ر لطفي بيَ اطفالي
فلو لا انّ اشبال * ي اغلالي و اعلالي
لما جهّزتُ آمالي * الى آل ولا وال
ولا جررت اذيالي * على مَسحَب اِذلالي
فمحرابيَ احرا بي * وأسماليَ اسمى لي
فهل حرٌّ يرى تخفيـ * ـف اثقالي بمثقالي
و يُطفي حر بلبالي * بسربال و سِروال

قال الحارث بن همام فلما استعرضت حلة الابيات تقت الى معرفة مُلحمها * و راقم عَلَمها * فناجاني الفكر بان الوُصْلة اليه العجوز * و افتاني بان حُلوانَ المعرف يجوز * فرصدتها و هي تستقرئ الصفوف صفًّا صفا * و تستَوكفُ الاكفَّ كفًّا كفا * و ما ان ينجح لها عناء * و لا يرشح على يدها اناء * فلما اكدى استعطافها * و كدّها مطافُها * عاذت بالاسترجاع * و مالت الى ارتجاع الرقاع * و انساها الشيطانُ ذكرَ رُقْعتي * فلم تعجْ الى بقعتي * وآبت الى الشيخ باكية للحرمان * شاكية تحامُل الزمان * فقال اِنّا لله * و اُفوّض امري الى الله *
ولا حول و لا قوة الا بالله * و انشد * نظم

لم يبق صافٍ ولا مصافٍ * و لا مَعينٌ و لا مُعينُ
و في المساوي بدا التساوي * فلا امينٌ و لا ثمينٌ

ثم قال لها مَنّي النفس وعِديها * و اجمعي الرِقاع و عُدّيها

فقالت لما عددتها لما استعدتها * فوجدت يد الضياع * قد غالت
احدى الرقاع * فقال تعساً لك يا لكاع * انحرم ويحك
القنص والحبالة * والقبس والذبالة * انها لضغث على ابالة *
فانصاعت تقتص مدرجها * وتنشد مدرجها - فلما دانتني قرنت
بالرقعة * درهما وقطعة * وقالت ان رغبت في المشوف المعلم *
واشرت الى الدرهم * فبوحي بالسر المبهم * وان ابيت ان تشرحي *
فخذي القطعة واسرحي * فمالت الى استخلاص البدر التم *
والابلج الهم * وقالت دع جدالك * وسل عما بدا لك *
فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته * والشعر وناسج بردته * فقالت
ان الشيخ من اهل سروج * وهو الذي وشى الشعر المنسوج *
ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق * ومرقت مروق السهم الراشق *
فخالج قلبي ان ابا زيد هو المشار اليه * وتاجج كربي لمصابه
بناظريه * وآثرت ان افاجيه وأناجيه * لاعجم عود فراستي
فيه * وما كنت لاصل اليه الا بتخطي رقاب الجمع * المنهي عنه
في الشرع * وعفت ان يتاذى بي قوم * او يسري الي
لوم * فسدكت بمكاني - وجعلت شخصه قيد عياني - الى ان
انقضت الخطبة * وحقت الوثبة * فخففت اليه * وتوسمته
على التحام جفنيه * فاذا ألمعيتي ألمعية ابن عباس * وفراستي
فراسة اياس * فعرفته حينئذ شخصي * وآثرته باحد قمصي * و
اهبت الى قرصي * لعارفتي فهش وعرفاني * ولبى دعوة رغفاني *
فانطلق ويدي زمامه * وظلي امامه * والحدو ثالثة الاثافي *
والرقيب الذي لا تخفى عليه خافي * ولما استحلس وكناتي *
واحضرته عجالة مكنتي * قال يا حارث * امعنا ثالث * فقلت

ليس الا العجوز * فقال ما دونها سر محجوز * ثم فتح كريمتيه * و رأرأ بتوأمتيه * فاذا سراجا وجهه يقدان * كانهما الفرقدان * فابتهجت بسلامة بصره * و عجبت من غرائب سيره * و لم يُلقني قرار * ولا طاوعني اصطبار * حتى سألته ما دعاك الى التعامي * مع سيرك في المعامي * و جوبك الموامي * و ايغالك في المرامي * فتظاهر باللكنة * وتشاغل باللهنة * حتى اذا قضى وطره * أثار الي نظره * و انشد * نظم

و لما تعامى الدهر و هو ابو الورى * عن الرشد في انحائه و مقاصده
تعاميت حتى قيل اني اخو عمى * و لا غرو ان يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض الى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف * و ينقي الكف * و ينعم البشرة * و يعطر النكهة * و يشد اللثة * و يقوي المعدة * و ليكن نظيف الظرف * اريج العرف * فتي الدق * ناعم السحق * يحسبه اللامس ذرا * و يخاله الناشق كافورا * و اقرن به خلالة نقية الاصل * محبوبة الوصل * انيقة الشكل * مدعاة الى الاكل لها نحافة الصب * و صقال العضب * و آلة الحرب * و لدونة الغصن الرطب * قال فنهضت فيما امر * لادرأ عنه الغمر * و لم اهم انه قصد ان يخدع * بادخالي المخدع * و لا تظنيت انه سخر من الرسول * في استدعاء الخلالة و الغسول * فلما عدت بالملتمس * في ربما من رجع النفس * وجدت الجو قد خلا : و الشيخ و الشيخة قد اجفلا * فاستشطت من مكره غضبا * و اوغلت في اثره طلبا * فكان كمن قمس في الماء * او عرج به الى عنان السماء *

المقامة الثامنة المعرية

اخبر الحارث بن همام قال رأيت من اعاجيب الزمان * ان تقدّم خصمان * الى قاضي مَعَرَّة النعمان * احدهما قد ذهب منه الاطيبان * والاخر كانه قضيب البان * فقال الشيخ ايّد الله القاضي * كما ايد به المتقاضي * انه كانت لي مملوكة رشيقة القد * اسيلة الخد * صبور على الكد * تخب احيانا كالنهد * و ترقُد اطوارا في المهد * و تجِد في تموزَ مَسَّ البرد * ذاتُ عقل و عِنان * و حد وسنان * وكف ببنان * و فم بلا اسنان * تلدغ بلسان نضناض * و ترفل في ذيل فضفاض * و تجلى في سواد و بياض * و تسقى و لكن من غير حياض * ناصحة خُدَعة * خُبَأة طُلَعة * مطبوعة على المنفعة * و مطواعة في الضيق و السَّعة * اذا قطعتْ وصلتْ * و متى فصَلْتها عنك انفصلتْ * و طالما خدمتْك فجمَّلت * و ربما جنت عليك فآلمت و مَلملت * و ان هذا الفتى استخدمنيها لغرض * فاخدمته اياها بلا عوض * على ان يجتني نفعها * و لا يكلفها الا وُسْعها * فاولج فيها متاعه * و اطال بها استمتاعه * ثم اعادها و قد افضاها * و بذل عنها قيمةً لا ارضاها * فقال الحدث اما الشيخ فاصدق من القَطا * و اما الافضاءُ ففرط عن خطاء * و قد رهنتهُ * عن أَرْش ما اوهنته * مملوكا لي متناسبَ الطرفين * منتسبا الى القَين * نقيًّا من الدرَن و الشين * يقارن محلّه سوادَ العين * يفشي الاحسان * و ينشئ الاستحسان * و يُغذي الانسان * و يتحامى اللسان * ان سوّد جاد * و ان وَسَم اجاد * و اذا زُوِّد وهب الزاد * و متى استُزيدَ زاد * لا يستقرُّ بمغنى * و قلّما ينكح الا مَثنى * يسخو بموجوده * و يسمو عند جوده *

و ينقاد مع قرينته * و ان لم تكن من طينته * و يستمتع بزينته * و ان لم يطمع في لينته * فقال لهما القاضي اما ان تبينا * و الا نبينا * فابتدر الغلام و قال * نظم

اعارني ابرةً لارفوَ اطـ * ـمارا عفاها البلى و سوّدها
فانخرمت في يدي على خطاء * مني لما جذبتُ مقودها
فلم ير الشيخ ان يسامحني * بارشها اذ رأى تأودها
بل قال هات ابرة تماثلها * او قيمة بعد ان تجودها
و اعتاق ميلي رهنا لديه و نا * هيك بها سبة تزودها
فالعين مرهى ارهنه و يدي * تقصُرعن ان تفُكَّ مِرودها
فاسبُر بذا الشرح غَورَمسكنتي * وارْثِ لمن لم يكن تعوّدها

فاقبل القاضي على الشيخ و قال ايه * بغير تمويه * فقال * نظم

أقسم بالمشعر الحرام و من * ضم من الناسكين خَيفُ منى
لو ساعفتني الايام لم ترني * مُرتهنا ميله الذي رَهَنا
و لا تصدّيتُ ابتغي بدلا * من إبرة غالها و لا ثمنا
لكنَّ قوسَ الخطوب ترشقُني * بمصميات من ها هنا وهنا
و خُبْر حالي كخُبر حالته * ضُرًّا و بوسًا وغربة و ضنى
قد عدل الدهر بيننا فانا * نظيره في الشقاء وهوانا
لا هو يستطيع فكّ مِروده * لما غدا في يديَّ مرتهنا
و لا مجالي لضيق ذاتِ يدي * فيه اتساع للعفو حين جنى
فهذه قصتي و قصتُه * فانظر الينا و بيننا و لنا

فلما وعى القاضي قصصهما * و تبين خصاصتهما و تخصصهما * ابرز لهما دينارا من تحت مصلاه * و قال اقطعا به الخصام و انفصلاه * فتلقفه الشيخ دون الحدث * و استخلصه على وجه الجدّ لا العبث *

وقال للحدث نصفه لي بسّهم مَبَرّتي * وسهمك لي عن آرش ابرتي
ولست عن الحق اميل - فقم وخذ الميل * فعرى الحدث * لما
حدث * اكتياب وجم له قلب القاضي * وهيّج اسفه على الدينار
الماضي * الا انه جبر بالَ الفتى وأباه * بدريهمات رضَخ بها له *
وقال لهما اجتنبا المعاملات * وادْرءا المخاصمات * ولا تحضراني
في المحاكمات * فما عندي كيس الغرامات * فنهضا من عنده *
فرحين برِفْده * مفصحين بحمده * والقاضي ما يخبو ضجرُهُ *
منذ بضَّ حجره * ولاينصُل كمَدُه * منذ رشح جَلْمدهُ * حتى اذا
افاق من غشيته * اقبل على غاشيته * وقال قد أشرِبَ حسّي *
ونبّأني حدْسي * انّهما صاحبا دهاء * لا خصما ادّعاء *
فكيف السبيل الى سَبْرهما * واستنباط سرّهما * فقال له نحرير
زمرته * وشرارة جمرته * انه لن يتمّ استخراج خبئهما * الا بهما *
نقفاهماعونا يرجعهما اليه * فلما مثلا بين يديه * فقال لهما اصدقاني
سِنّ بكركما * ولكما الامان من تبِعَة مكركما * فاحجم الحدثُ
واستقال * واقدم الشيخ وقال * نظم

انا السروجي وهذا ولدي * والشبل في المخبر مثلُ الاسد
وما تعدّت يدُه ولا يدي * في اِبرة يوما ولا في مِرود
وانماالدهرالمسيء المعتدي * مال بنا حتى غدونا نجتدي
كلَّ ندِي الراحة عذب المورد * وكلَّ جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكلِ مقصد * بالجد انْ اجدى والا بالدَّدِ
لنجلب الرشح الى الحظ الصدي * ونُنفد العمرَ بعيشٍ انكد
والموت من بعدُ لنا بالمرصد * ان لم يفاج اليوم فاجى في غد

فقال له القاضي لله درك فما اعذب نفثات فيك * وواهاً لك

لولا خداعٌ فيك * و إني لك لمن المنذرين * و عليك من المحذرين * فلا تماكر بعدها الحاكمين * و اتق سطوة المتحكمين * فما كل مسيطر يقيل * و لا كل آوان يسمع القيل * فعاهده الشيخ على اتباع مشورته * و الارتداع عن تلبيس صورته * و فصل عن جهته * و الخترُ يلمع من جبهته * قال الحارث بن همام فلم ارا اعجب منها في تصاريف الاسفار * و لا قرأت مثلها في تصانيف الاسفار *

المقامة التاسعة الاسكندرية

قال الحارث بن همام طحا بي مرح الشباب * و هوى الاكتساب * الى ان جبت مابين فرغانة * و غانة * اخوض الغمار * لاجني الثمار * و اقتحم الاخطار * لكي ادرك الاوطار * و كنت لقفت من افواه العلماء * و ثقفت من وصايا الحكماء * انه يلزم الاديب الاريب * اذا دخل البلد الغريب * ان يستميل قاضيه * و يستخلص مراضيه * ليشتد ظهره عند الخصام * و يأمن في الغربة جور الحكام * فاتخذت هذا الادب إماما * و جعلته لمصالحي زماما * فما دخلت مدينة * و لا ولجت عرينة * إلّا و امتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح * و تقويت بعنايته تقوّي الاجساد بالارواح * فبينما انا عند حاكم الاسكندرية * في عشية عرية * وقد احضر مال الصدقات * ليفضه على ذوي الفاقات * اذ دخل شيخ عفرية * تعتله امرأة مصبية * فقالت ايد الله القاضي * و ادام به التراضي * اني امرأة من اكرم جرثومة * و اطهر ارومة * و اشرف خؤولة و عمومة * ميسمي الصون * و شيمتي الهون * و خلقي نعم

العَون * و بيني و بين جاراتي بَون * و كان ابي اذا خطبني بناة المجد * وارباب الجَدّ * سكّتهم و بكّتهم * و عاف وُصلتهم و صلتهم * و احتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة * ان يصاهر غير ذي حرفة * فقيّض القدر لنَصبي و وَصبي * ان حضر هذا الخُدَعةُ نادي ابي * فاقسم بين رهطه * انه وفق شرطه * و ادعى انه طالما نظم درّة * فباعهما ببدرة * فاغترّ ابي بزخرفة مُحاله * و زوّجنيه قبل اختبار حاله * فلما استخرجني من كناسي * و رحّلني عن أُناسي * و نقلني الى كسره * و حصّلني تحت اسره * وجدته قُعدةً جُثمةً * و الفيته ضُجعةً نُوَمةً * و كنتُ صحبته برياش و زيّ * و اثاث و ريّ * فما برح يبيعه في سوق الهضم * و يُتلف ثمنه في الخَضم و القَضم * الى ان مزّق ما لي باسره * و انفق مالي في عسره * فلما انساني طَعْمَ الراحة * وغادر بيتي انقى من الراحة * قلت له يا هذا انه لا مخبأ بعد بؤس * و لا عِطْر بعدَ عَروس * فانهَضْ للاكتساب بصناعتك * و اجنني ثمرة براعتك * فزعَم ان صناعته قد رميت بالكساد * لما ظهر في الارض من الفساد * ولي منه سلالة * كانه خلالة * وكلانا ما ينال معه شُبعة * و لا ترقأ له من الطوى دَمْعة * و قد قُدته اليك * و احضرته لديك * لتعجُمَ عود دعواه * و تحكم بيننا بما آراك الله * فاقبل القاضي عليه و قال له لقد وعيت قَصص عِرسك * فبرهن عن نفسك * و الّا كشفتُ عن لَبْسك * و امرت بحبسك * فاطرق اطراق الافعوان * ثم شمّر للحرب العَوان * و قال * نظم

إسمع حديثي فانه عَجَبُ * يضحك من شرحه و ينتحب
انا امرؤٌ ليس في خصائصه * عيب و لا في فخاره ريب

سَروج داري التي وُلِدتُ بها * والاصل غَسّان حين انتسب
وشغلي الدرس والتبحر في الـ * ـعلم طِلابي وحبَّذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي * منه يُصاغ القريض والخطب
اغوص في لجة البيان فاخـ * ـتار اللالي منها وانتخب
واجتني اليانعَ الجَنيَّ من الـ * ـقول وغيري للعود محتطِب
وآخُذ اللفظ فضة فاذا * ما صُغْته قيل انه ذهب
وكنت من قبل امتري نَشَبا * بالادب المقتنى واحتلب
ويمتطي اخمَصي لحرمته * مراتبا ليس فوقها رُتَب
وطالما زُفَّت الصِّلات الى * رَبْعي فلم ارض كل من يهب
فاليوم من يعلَق الرجاء به * اكسَد شيء في سوقه الادب
لا عِرْضُ ابنائه يصان ولا * يُرقَب فيهم اِلٌّ ولا سبب
كانهم في عِراصهم جيف * يبعَد من نتنها ويُجتنَب
فحار لُبّي لما منيت به * من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي * وساورتني الهموم والكُرَب
وقادني دهري المليم الى * سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبقَ لي لَبَد * ولا بتات اليه انْقلب
وادَّنت حتى اثقلت كاهلي * بحمل دَيْن من دونه العَطَب
ثم طويت الحشا على سغَب * خمسا فلما امضَّني السغَب
لم ار الا جهازها عرضا * اجول في بيعه واضطرب
فجُلْت فيه والنفس كارهة * والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت اذ عبثت به * حدَّ التراضي فيَحدُث الغضب
فان يكن غاظها توهُّمها * ان بناني بالظلم تكتسب
او انني اذ عزَمْت خِطبتها * زخرفت قولي لينجح الارَب

فهو الذي سارت الرفاق الى * كعبته تستحثّها النُجُب
ما المكر بالمحصنات من خُلُقي * و لا شعاري التمويه و الكذب
و لا يدي مذ نشأتُ نيطُ بها * الا مواضي اليراع و الكُتُب
بل فكرتي تنظم القلائد لا * كفّي وشعري المنظوم لا السُخُب
فهذه الحرفة المشار الى * ما كنت احوي بها و اجتلب
فأذن لشرحي كما اذنت لها * و لا تراقب و احكم بما يجب

قال فلما احكم ما شاده * و اكمل انشاده * عطف القاضي الى الفتاة * بعد ان شُغِف بالابيات * و قال امّا انه قد ثبت عند جميع الحكام * و وُلاة الاحكام * انقراض جيل الكرام * و ميلُ الايام الى اللئام * و اني لَإخالُ بعلك صدوقا في الكلام * بريا من الملام * و ها هو قد اعترف لك بالقرض * و صرّح عن المحض * و بيّن مصداق النظم * و تبيّن انه معروق العظم * و اعنات المعذر ملامة * و حبس المعسر مأثمة * و كتمان الفقر زهادة * و انتظار الفَرَج بالصبر عبادة * فارجعي الى خدرك * و اعذري ابا عُذرك * ونهنهي من غَربك * وسلّمي لقضاء ربك * ثم انه فرض لهما في الصدقات حصة * و ناولهما من دراهمها قبصة * و قال لهما تعللا بهذه العُلالة * و تندّيا بهذه البُلالة * و اصبرا على كيد الزمان و كدّه * فعسى الله ان يأتي بالفتح او امرٍ من عنده * فنهضا و للشيخ فرحة الطَّلَق من الاسار * و هِزّة الموسِر بعد الاعسار * قال الراوي و كنت عرفت انه ابو زيد ساعة بزغت شمسه * و نزغت عِرسه * وكدت أفصح عن افتنانه * و اثمار افنانه * ثم اشفقت من عُثور القاضي على بهتانه * و تزويق لسانه * فلا يرى عند عرفانه * ان يُرشّحه لاحسانه * فاحجمت عن القول

اعجام المُرتاب * وطويت ذكره كطيّ السجلّ للكتاب * الا انّي قُلت بعد ما فصل * ووصل الى ما وصل * لو انّ لنا من ينطلق في اثره * لاتانا بقصّ خبره * وما ينشر من حبره * فاتبعه القاضي احد آمنائه * وامره بالتجسّس على انبائه * فما لبث ان رجع متدهدها * وقهقر مقهقها * فقال له القاضي مَهْيَم * يا ابا مريم * فقال لقد عاينت عجبا * وسمعت ما انشأ لي طربا * فقال له ما ذا رأيت * وما الذي وعيت * قال لم يزل الشيخ مذ خرج يُصفّق بيديه * ويُخالف بين رِجليه * ويُغرّد بملء شدْقيه * ويقول* نظم

كدت اصلى ببليه * من وَقاح شمّريّه

وازور السجن لولا * حاكم الاسكندريّة

فضحك القاضي حتى هوت دنّيّته * وذوت سكينته * قال فلما فآء الى الوقار * وعقّب الاستغراب بالاستغفار * قال اللهم بحرمة عبادك المقرّبين * حرِّم حبسي على المتأدّبين * ثم قال لذلك الامين عليّ به * فانطلق مجدّا في طلبه * ثم عاد بعد لَأْيٍ * مخبرا بنَأْيِه * فقال القاضي اما انه لو حضر * لكُفي الحذر * ثم لاوليته ما هو به اَولى * ولاريته ان الآخرة خير له من الاُولى * قال الحارث بن همام فلما رأيت صَغْوَ القاضي اليه * وفوت ثمرة التنبيه عليه * غشيتني ندامة الفرزْدق حين ابان النّوار * والكُسَعي لما استبان النهار *

المقامة العاشرة الرحبية

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق * الى رَحْبَة مالك بن طَوْق * فلبّيته ممتطيا شِملّة * ومنتضيا عزمة

مُشمعلّة * فلما القيت بها المراسي * و شددت امراسي * و بَرزت من
الحمام بعد سَبْت رأسي * رأيت غلاما أفرغ في قالب الجمال *
و أُلبس من الحسن حلة الكمال * و قد اعتلق شيخ بردنه * يدّعي
انه فتك بابنه * و الغلام يَنكر عِرفتَه * و يكبر قِرفته * و الخصام
بينهما متطائر الشّرار * و الزّحام عليهما يجمع بين الاخيار
و الاشرار * الى ان تراضيا بعد اشتطاط اللّدد * بالتنافر الى والي
البلد * و كان ممن يُزَنُّ بالهَنات * و يُغلّب حبَّ البنين
على البنات * فاسرَعا الى نَدْوته * كالسُّلَيك في عدوته *
فلما حضراه * جدَّد الشيخ دعواه * و استدعى عدواه * فاستنطق
الغلام و قد فتنه بمَحاسن غُرّته * و طَرَّ عقله بتصفيف طُرَّته *
فقال انها افيكة أفّاك * على غير سفاك * و عضيهة محتال *
على من ليس بمغتال * فقال الوالي للشيخ ان شهد لك عدلان
من المسلمين * و الا فاستوف منه اليمين * فقال الشيخ انه جَدّله
خاسيا * و افاح دمه خاليا * فانى لي شاهد * و لَم يكن ثم مشاهد *
و لكن ولّني تَلْقِيَة اليمين * ليبين لك أَيَصدَق ام يمين * فقال
له انت المالك لذلك * مع وجدك المتهالك * على ابنك
الهالك * فقال الشيخ للغلام قل و الذي زيّن الجباه بالطُّرَر * والعُيون
بالحَوَر * و الحواجب بالبَلَج * والمباسمَ بالفلج * و الجُفونَ بالسَّقَم *
و الأُنوف بالشمم * و الخدود باللهب * و الثغور بالشنب * و البنان
بالترف * و الخصور بالهيف * إنني ما قتلت ابنك سهوا و لا
عمدا * و لا جعلت هامَته لسيفي غِمْدا * و الا فرمى الله جفني
بالعَمَش * و خَدّي بالنَّمَش * و طُرَّتي بالجَلَح * و طلعي بالبلح *
و وردي بالبَهار * و مسكَتي بالبُخار * و بدري بالمُحاق * و فضتي

بالاحتراق * و شعاعي بالاظلام * و دواتي بالاقلام * فقال الغلام الاصطلاء بالبلية * و لا الايلاء بهذه الالية * و الانقياد للقود * ولا التحلف بما لم يحلف به احد * و ابى الشيخ الا تجرعه اليمين التي اخترعها * و أمقراه جُرَعَها * و لم يزل التلاحي بينهما يستعر * و محجة التراضي تعر * و الغلام في ضمن تأبّيه * يتخلب الوالي بتلويه * و يُطمعه في ان يُلبّيه * الى آن ران هواه على قلبه * و الب بلُبّه * و سوّل له الوجد الذي تيّمه * والطمع الذي توهّمه * ان يُخلّص الغلام و يستخلصه * و ان ينقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه * فقال للشيخ هل لك فيما هو الْيَق بالاقوى * و اقرب للتقوى * فقال الام تشير لاقتفيه * و لا آنف فيه * قال ارى ان تقصر عن القيل و القال * و تقتصر على مائة مثقال * لاتحمّل منها بعضا * و اجتبي لك الباقي عرضا * فقال الشيخ ما منّي خلاف * ولا يكن لوعدك اخلاف * فنقده الوالي عشرين * ووزّع على وَزَعته تكملة خمسين * ورقّ ثوب الاصيل * و انقطع لاجله صوب التحصيل * فقال له خذ ما راج * و دع اللجاج * و على في غدٍ ان اتوصّل* الى ان ينضّ لك الباقي و يتحصّل * فقال الشيخ افعل ذاك على ان أُلازمه ليلتي * و يرعاه انسان مقلتي * حتى اذا اعفى بعد اسفار الصبح * بما بقي من مال الصلح * تخاصت قائبة من قوب * و برئ برآءة الذئب من دم ابن يعقوب * فقال له الوالي ما اراك سُمْت شططا * و لا رمت فرطا * قال الحارث بن همام فلما رايت حُجَج الشيخ كالحجج السُّرْيجية * علمت انه علم السَّرُوجيه * فلبثت الى ان زهرت نجوم الظلام * و انتثرت عقود الزحام * ثم قصدتُ فناء الوالي * فاذا الشيخ للفتى كالي * فنشدته

الله اهو ابو زيد * فقال اي ومُحِلّ الصيد * وقلت من هذا الغلام * الذي هفت له الاحلام * فقال هو في النسب فَرْخي * وفي المَكْسب فَخّي * قلت فهلّا اكتفيت بمحاسن فطرته * وكفيت الوالي الافتتان بطُرّته * فقال لو لم تبرز جبهته السين * لما قنفشت الخمسين * ثم قال بت الليلة عندي لنُطفئ نار الجوى * ونُديل الهوى * من النوى * فقد اجمعت على ان انسلّ بسُحْرة * واُصْلي قلب الوالي نار حسرة * قال فقضيت الليلة معه في سمر * آنق من حديقة زهر * وخميلة شجر * حتى اذا لالا الأفق ذَنبُ السِرْحان * وآن انبلاج الفجر وحان * ركب متن الطريق * واذاق الوالي عذاب الحريق * وسلم اليّ ساعة الفراق * رقعة محكمة الالصاق * وقال ادفعها الى الوالي اذا سُلِب القرار * وتحقق منا الفرار * ففَضَضتُها فعل المُتملّس * من مثل صحيفة المتلمّس * فاذا فيها مكتوب * نظم

قل لوالٍ غادرته بعـد بيني * نادما سادما يعضّ اليـدَيْن
سلب الشيخ ماله وفتـاه * لُبَّه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين اعمى هواه * عينـه فانثنى بـلا عينيـن
خفّض الحزن يا معنّى فما يجـ*ـدي طلاب الآثار من بعد عين
ولئن جل ما عراك كما جـ*ـل لدى المسلمين رُزْء الحسين
فقد اعتضت منه فهْما وحَزْما * واللبيب الاريب يبغي ذين
فاعص من بعدها المطامع واعلم * ان صيـد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طائر يلج الفـ*ـخ ولو كان محدقا باللجين
ولكم من سعى ليصطاد فاصطيـ*ـد ولم يلق غيـر خفّي حنين
فتبصّـر ولا تشـم كل برق * رُبّ برق فيـه صواعق حين

واغضُض الطرف تسترح من غَرام * تكتسى فيه ثوبَ ذُلٍّ و شين
فبلاء الفتي اتباع هوى النفس و بذرُ الهوى طُموحُ العين
قال الراوي فمزقت رقعته شِذَر مِذَر * و لم اُبَلْ اَ عَذَل ام عَذَر *

المقامة الحادية عشرة الساوية

حدث الحارث بن همام قال آنست من قلبي القساوة * حين حللت ساوة * فاخذت بالخبر المأثور * في مداواتها بزيارة القبور * فلما صرت الى محلّة الاموات * و كِفات الرُّفات * رأيت جمعا على قبرٍ يُحفَر * و مَجْنوز يُقبَر * فانحزت اليهم متفكرا في المآل * و متذكرا مَن دَرَج من الآل * فلما الحدوا المَيْت * و فات قولُ ليت * اشرف شيخ من رَباوَة * متخصِّرًا بهراو * و قد لَفَّع وجهه بردائه * و نكّر شخصه لدهائه * فقال لمثل هذا فليعمل العاملون * فادَّكروا ايها الغافلون * و شمّروا ايها المقصرون * و احسنوا النظر ايها المتبصرون * ما لكم لايحزنكم دفن الاتراب * و لا يهولكم هيل التراب * و لا تعبأون بنوازل الاحداث * و لا تستعدون لنزول الاجداث * و لا تستعبرون لعين تدمع * و لا تعتبرون بنعي يُسمَع * و لا ترتاعون لالف يُفقَد * و لا تلتاعون لمُناحة تُعقَد * يُشيِّع احدُكم نعش المَيْت * و قلبه تلقاء البيت * و يشهد مواراة نسيبه * و فكره في استخلاص نصيبه * و يخلّي بين ودوده و دوده * ثم يخلو بمزماره و عوده * طالما اَسيتم على انثلام الحبّة * و تناسيتم اخترام الاحبة * و استكنتم لاعتراض العسرة * و استهنتم بانقراض الاُسرة * وضحكتم عند الدفن * و لا ضِحككم ساعة الزَّفن * و تبخترتم خلف الجنائز * و لا تبختُرَكم يوم قبض الجوائز * و اعرضتم عن

تمديد الذوائب * الى اعداد المآدب * و عن تحرق الثواكل * الى التأنق في المآكل * لا تبالون بمن هو بال * و لا تخطرون ذكر الموت ببال * حتى كأنكم قد علقتم من الحمام * بذمام * او حصلتم من الزمان * على امان * او وثقتم بسلامة الذات * و تحققتم مسالمة هادم اللذات * كلا ساء ما تتوهمون * ثم كلا سوف تعلمون *

ثم انشد * نظم

ايا من يدعي الفهم - الى كم يا اخا الوهم - تعبي الذنب و الذمّ
و تخطي الخطأ الجمّ

اما بان لك العيب - اما انذرك الشيب - و ما في نصحه ريب
و لا سمعك قد صم

اما نادى بك الموت - اما اسمعك الصوت - اما تخشى من الفوت
فتحتاط و تهتم

فكم تسدر في السهو - و تختال من الزهو - و تنصب الى اللهو
كان الموت ما عم

و حتام تجافيك - و ابطاء تلافيك - طباعا جمعت فيك
عيوبا شملها انضم

اذا اسخطت مولاك - فما تقلق من ذاک - و ان اخفق مسعاک
تلظيت من الهم

و ان لاح لك النقش - من الاصفر تهتش - و ان مر بك النعش
تغاممت و لا غم

تعاصي الناصح البرّ - و تعتاص و تزورّ - و تنقاد لمن غرّ
و من مان و من نم

و تسعى في هوى النفس - و تحتال على الفلس - و تنسى ظلمة الرمس

و لا تـــذكـــر ما ثم

و لو لاحظك الحَظُّ - لما طاح بك اللحظ - و لا كنت اذا الوعظ

جلا الاحزان تغتـــم

ستذري الدم لا الدمع - اذا عاينت لا جمع - يقي في عرصة الجمع

و لا خـــال و لا عـــم

كأني بك تنحط - الى اللحـــد و تنغطّ - و قد اسلمك الرهط

الى اضيـــق من سمّ

هناك الجسم ممدود - ليستأكلـــه الدود - الى ان ينخر العود

و يمسي العظم قد رم

و من بعد فـــلا بد - من العرض اذا اعتد - صراط جسـر ه مد

على النـــار لمـــن ام

فكم من مرشد ضلّ - و من ذي عزة ذلّ - وكم من عالم زلّ

و قال الخطب قد طم

فبادر ايهـــا الغمر - لما يحلـــو به المرّ - فقد كاد يهي العمر

و ما اقلعت عـــن ذم

و لا تركن الى الدهر - و ان لان و ان سر - فتلفى كمن اغتـــر

بافعىً تنفث السـم

و خفض من تراقيك - فان الموت لاقيك - و سارٍ في تراقيـك

و ما ينكُـل ان همّ

و جانب صَعَرَ الخد - اذا ساعدك الجـدّ - و زم اللفظ ان ندّ

فما اسعـد من زم

ونفّس عن اخي البثّ - و صدّقه اذا نثّ - و رُمّ العمل الرثّ

فقـد افلـح من رمّ

ورِشْ من ريشهِ انحصّ - بما عمّ و ما خصّ - و لا تأسَ على النقص
و لا تحرص على اللّم

و عادِ الخُلُق الرّذل - و عوّد كفّك البذل - و لا تستمع العذل
و نزهها عن الضم

و زوّد نفسك الخير - و دع ما يعقب الضير - و هيئ مركبَ السير
و خف من لجة اليم

بذا اوصيت يا صاح - و قد بُحتُ كمن باح - فطوبى لفتى راح
بآدابيَ يأتمّ

ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الاسر * قد شد عليه جبائر المكر لا الكسر * متعرضا للاستماحة * في معرض الوقاحة * فاختلب به اولئك الملأ * حتى اترع كمه و ملأ * ثم انحدر من الربوة * جذلا بالحبوة * قال الراوي فجاذبته من ورائه * حاشية ردائه * فالتفت اليّ مستسلما * و واجهني مسلّما * فاذا هو شيخنا ابو زيد بعينه * و مينه * فقلت له * شعر

الى كم يا ابا زيد - افانينُك في الكيد - لينحاش لك الصيد
و لا تعبأ بمن ذم

فاجاب من غير استحياء * و لا ارتياء * و قال * شعر

تبصر ودع اللوم - و قل لي هل ترى اليوم - فتى لا يقمر القوم
متى ما دسته تم

فقلت له بعدا لك يا شيخ النار * و زاملة العار * فما مثلك في طلاوة علانيتك * و خبثة نيتك * الا مثل روث مفضض * او كنيف مبيّض * ثم تفرقنا فأنطلقت ذات اليمين * و انطلق ذات الشمال * و نارحت مهب الجنوب * و ناوح مهب الشمال *

المقامة الثانية عشرة الدمشقية

حكى الحارث بن همام قال شخصت من العراق الى الغوطة * وانا ذو جُرْد مربوطة * و جِدَة مغبوطة * يلهيني خلو الذرع * ويَزدهيني حُفول الضرع * فلما بلغتُها بعد شق النفس * و انضاء العَنْس * الفيتها كما تصفها الالسن * و فيها ما تشتهى الانفس و تلذُّ الاعين * فشكرت يدَ النوى * و جريت طلقا مع الهوى * وطفقت افُضّ بها خُتوم الشهوات * و اجتني قُطوفَ اللذات * الى ان شرع سَفْرٌ فى الاعراق * و قد استفقت من الاغراق * فعادني عيد من تذكار الوطن * و الحنين الى العطن * فقوّضت خيام الغيبة * و اسرجت جواد الاوبة * و لما تأهّبتِ الرفاق * و استتبَّ الاتفاق * الحْذا من المسير * دون استصحاب الخفير * فرُدْناه من كل قبيلة * و اعملنا في تحصيله الف حيلة * فاعوز وجدانه فى الاحياء * حتى خلنا انه ليس من الاحياء * فحارت لعَوَزِه عزومُ السيارة * و انتدَوا بباب جَيْرونَ للاستشارة * فما زالوا بين عقد و حَلّ * و شَزْر و سَحْل * الى ان نفد التناجي * و قنط الراجي * و كان حِذتَهم شخص مِيسَمه ميسمُ الشُبّان * و لبُوسه لبُوس الرُهبان * و بيده سُبحة النسوان * و في عينيه ترجمة النَّشوان و قد قيدَّ لحظه بالجمع * و ارهف أذنه لاستراق السمع * فلما آنَ انكفاءهم * و قد برح له خَفاؤهم * قال لهم يا قوم ليُفرخ كربُكم * و ليأمن سِربُكم * فساخُفركم بما يسرُو روعَكم * و يبدو طوعكم * قال الراوي فاستطلعنا منه طلع الخُفارة * و أسنينا له الجعالة عن السِفّارة * فزعمّ انها كلمات لقّنها في المنام * ليحترس

بها من كيد الانام * فجعل بعضنا يومض الى بعضٍ * و يقلّب طرفيه بين لحظ و غض * وتبيّن لنا انّا استضعفنا الخبر * و استشعرنا الخَوَر * فقال ما لكم اتّخذتم جِدّي عبثًا * و جعلتم تبري خَبَثًا * و لطالما و الله جُبْتُ مخاوفَ الاقطار * و وَلَجتُ مقاحم الاخطار * فغنيت بها عن مصاحبة خفيرٍ * و استصحاب جفير * ثم اني سانفي ما رابكم * واستسِلّ الحذر الذي نابكم * بان اُوافقكم في البداوة * و ارافقكم في السماوة * فان صدقكم وعدي * فاجِدُّوا سعدي * و اسعدوا جدّي * و ان كذبكم فمي * فمزّقوا اديمي * و اريقوا دمي * قال الحارث بن همام فالهمنا تصديق رؤياه * و تحقيق ما رواه * فنزعنا عن مجادلته * و استهمنا على معادلته * و فصمنا بقوله عرى الربائث * و الغينا اتقاء العابث و العائث * و لما عُكِمَت الرحال * و آزِف الترحال * استنزلنا كلماته الراقية * لنجعلها الواقية الباقية * فقال ليقرأ كلٌّ منكم امّ القرآن * كلما اظل الملوان * ثم ليقل باسان خاضع * و صوت خاشع * اللهم يا محيي الرفات * و يا دافع الافات * و يا واقي المخافات * و يا كريم المكافاة * و يا مَوْئِلَ العُفاة * و يا وليّ العفو و المعافاة * صلّ على محمد خاتم انبيائكَ * و مُبلّغ انبائك * و على مصابيح اُسرته * و مفاتيح [illegible] * واعذني اللهم من نزغات الشياطين * و نزوات السلاطين * [illegible] الباغين * و معاداة العادين * [illegible] ب الغالبين * و سلَب السالبين * و حيَل [illegible] جرني اللهم من جور المجاورين * [illegible] ني اكُفّ الضائمين * و اخرجني [illegible] خلني برحمتك في عبادك الصالحين *

اللهم احفظني في تربتي * و غربتي * و غيبتي * و اوبتي *
و نجعتي * و رجعتي * و تصرفي * و منصرفي * و تقلبي *
و منقلبي * و احفظني في نفسي * و نفائسي * و عرضي *
و عرضي * و عددي * و عددي * و سكني * و مسكني * و حولي *
و حالي * و مالي * و مآلي * و لا تلحق بي تغييرا * و لا تسلط عليّ
مغيرا * و اجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا * اللهم احرسني بعينك *
و عونك * و اخصصني بامنك * و منك * و تولني باختيارك
و خيرك * و لا تكلني الى كلاءة غيرك * و هب لي عافية غير عافية *
و ارزقني رفاهية غير واهية * و اكفني مخاشي اللأواء * و اكنفني
بغواشي الآلاء * و لا تظفر بي اظفار الاعداء * انك سميع الدعاء * ثم
اطرق لا يدير لحظا * و لا يحير لفظا حتى قلنا قد ابلسته خشية * او اخرسته
غشية * ثم اقنع رأسه * و صعد انفاسه * و قال اقسم بالسماء ذات
الابراج * و الارض ذات الفجاج * و الماء الثجاج * و السراج الوهاج *
و البحر العجاج * و الهواء و العجاج * انها لمن ايمن العوذ *
و اغنى عنكم من لابسي الخوذ * من درسها عند ابتسام الفلق *
لم يشفق من خطب الى الشفق * و من ناجى بها طليعة الغسق *
امن ليلته من السرق * قال الراوي فتلقناها * حتى اتقناها *
و تدارسناها * لكي لا ننساها * ثم سرنا نزجي الحمولات بالدعوات
لا بالحداة * و نحمي الحمولات بالكلمات لا بالكماة * و صاحبنا
يتعهدنا بالعشي و الغداة * و لا يستنجز منا العدات * حتى اذا
عاينا اطلال عانة * قال لنا الاعانة الاعانة * فاحضرناه المعلوم *
و المكتوم * و اريناه المعكوم و * و المختوم * و قلنا له اقض ما انت
قاض * فما تجد فينا غير راض * فما استخفه سوى الخف

و الزين * و لاحلي بعينه غير العين * فاحتمل منهما وقره * و ناء بما يسدّ به فقره * ثم خالسنا مخالسة الطرّار * و انسلت منا انسلات الفرّار * فاوحشنا فراقه * و ادهشنا امتراقه * و لم نزل ننشده بكلّ ناد * و نستخبر عنه كلّ مغو و هادٍ * الى ان قيل إنّه مذ دخل عانة * ما زايل الحانة * فاغراني خبث هذا القول بسبكه * و الانسلاك فيما لست من سلكه * فادّلجت الى الدسكرة * في هيئة منكرة * فاذا الشيخ في حلّة ممصّرة * بين دنانٍ و معصرة * و حوله سقاة تبهر * و شموع تزهر * و آس و عبهر * و مزمار و مزهر * و هو تارة يستبزل الدنان * و طورا يستنطق العيدان * و دفعة يستنشق الريحان * و اخرى يغازل الغزلان * فلما عثرت على لبسه * و تفاوت يومه من امسه * قلت له اولى لك يا ملعون * أ أنسيت يوم جيرون * فضحك مستغربا * ثم انشد مطربا * نظم

لزمت السفار – و جبت القفار – وعفت النفار – لاجني الفرح
و خضت السيول – و رضت الخيول – لجرّ ذيول – الصبا و المرح
و مطت الوقار – و بعت العقار – لحسو العقار – و رشف القدح
و لو لا الطماح – الى شرب راح – لما كان باح – فمي بالملح
و لا كان ساق – دهائي الرفاق – لارض العراق – بحملي السبح
فلا تغضبنّ – و لا تصخبنّ – و تعتبنّ – فعذري وضح
و لا تعجبن – بشيخ ابنّ – بمغني اغنّ – و دنٍّ طفح
فان المدام – تقوى العظام – وتشفي السقام – و تنفي الترح
و اصفى السرور – اذا ما الوقور – اماط ستور – الحيا و اطّرح
و احلى الغرام – اذا المستهام – ازال اكتتام – الهوى وافتضح
فبُح بهواك – و بردْ حشاك – فزندُ اساك – به قد قدح

ذو الكُلـــوم - وسلّ الهموم - ببنت الكروم - التي تفتـرح
وخُصّ الغبوق - بساقٍ يسـوق - بلاءَ المشوق - اذا ما طمـح
و شادٍ يشيد - بصوتٍ يَميدُ - جبالَ الحديدِ - له إن صَـدَح
و عاصِ النصيحَ - الذي لا يُبيحُ - وصـال المليحِ - اذا ما سمـح
وجُلْ في المحال - و لو بالمُحال - و دع ما يقال - و خذ ما ملح
و فارق اباك - اذا ما اباك - و مُدّ الشباك - و صِدْ مَن سنَح
و صافِ الخليلَ - وناف البخيلَ - و اَوْلِ الجميلَ - و والِ المنَـح
و لُذْ بالمتاب - امامَ الذهاب - فمن دقّ بابَ - كـريمٍ فتـح

فقلت له بخٍ بخٍ لروايتك * و اُفٍّ و تُفٍّ * لغوايتك * فبالله من ايّ الاعياص عيصك * فقد اعضلني عويصُك * فقال ما اُحبُّ ان اُفصح عني * و لكني ساكْني * نظم

انا اُطروفة الزما * ن و اُعجـوبة الامـم
و انا الحُوّل الذي احـ * ـتال في العرب والعجم
غير اني ابن حاجة * هاضه الدهر واهتضم
و ابو صبـية بدوا * مثل لحـم على وضم
و اخو العيلة المعيل * اذا احتال لم يُلَـم

قال الراوي فعرفت حينئذ انه ابو زيد ذوالريب و العيب * و مسوّد وجه الشيب * وساءني عُظم تمرُّده * و قبح توردُه * فقلت له بلسان الانفة * و ادلال المعرفة * الم يأنِ لك يا شيخنا * ان تُقلعَ عن الخَنا * فتضجّر * و زمجّر * و تنكّر * و فكّر * ثم قال انها ليلةُ مِراح * لا تَلاح * و نُزة شُرب راح * لاكِفاح * فعدّ عما بدا * الى ان نتلاقى غدا * ففارقته فرقا من عربدته * لا تعلقا بعدته * و بتّ ليلتي لابسا حداد الندم * على نقلي خُطَى القدم * الى

ابنة الكَرْم لا الكَرَم * و عاهدت الله سبحانه ان لا احضُر بعدَها حانة نبّاذ * و لو اعطيتُ ملكَ بغداذ * و لا اشهد مَعصرةَ الشراب* و أُرَدَّ عليَّ عصرُ الشباب * ثم انّا رحلنا العيس * وقت التغليس* و خلّينا بين الشيخين ابي زيد و ابليس *

المقامة الثالثة عشرة البغدادية

روى الحارث بن همام قال ندَوت بضواحي الزوراء * مع مشيخة من الشعراء * لا يعلق لهم مُبارٍ بغبار * و لا يجري معهم مُمارٍ في مضمار * فانضنا في حديث يفضح الازهار * الى ان نَصَّفنا النهار * فلما غاض دَرُّ الافكار * و صبت النفوسُ الى الاوكار * لمحنا عجوزا تقبل من البعد * و تُحضِر احضار الجُرد * و قد استتلَتْ صبية انحفَ من المَغازل * و اضعفَ من الجوازل * فما كذّبتْ اذ رأتْنا * أن عرتْنا* حتى اذاما حَضَرْتنا * قالت حيَّا الله المعارف * و ان لم يكن(١) معارف * اعلموا يا مآل الامل * و ثمال الارامل * انّني من سروات القبائل * و سريّات العقائل * لم يزل اهلي و بعلي يحُلّون الصدرَ * و يسيرون القلبَ و يُمطون الظهر * و يُولون اليد * فلما اردى الدهر الاعضاد * و فجع بالجوارح الاكباد * و انقلب ظهر لبطن * نَبا الناظرُ * و جفا الحاجبُ * و ذهبتِ العين * و فُقدت الراحة * و صلد الزند * و وهنت اليمين * و بانت المرافق * و لم يبق لنا ثنية و لا ناب * فمذ اغبرَّ العيش الاخضر * و ازورَّ المحبوب الاصفر * اسودَّ يومي الابيضُ * و ابيضَّ فَودي الاسود * حتى رثى لي العدوّ الازرق * فحبذا الموتُ الاحمر * و تِلْوِي من تَرون

---

(١) يكونوا *

عينه فُراره * و تُرجمانه اصفراره * قُصوى بغية احدهم ثردة * وقُصارى مُنيته بُردة * وكنت آليت ان لا ابذُلَ الحُرَّ الا للحر * ولو انني مُتّ من الضُّر * وقد ناجتني القَرونة * بان توجدَ عندكم المعونة * وآذنتني فراسة الحوباء * بانكم ينابيعُ الحباء * فنضَّر الله امرءاً ابرَّ قسمي * وصدّق توسُّمي * ونظر اليَّ بعين يقُذيها الجُمود * ويُقذّيها الجود * قال الحارث بن همام فهمنا لبراعة عبارتها * ومُلَح استعارتها * وقلنا لها قد فتن كلامك * فكيف إلحامك * فقالت يفجّرُ الصخر * ولا فخر * فقلنا ان جعلتنا من رواتك * لم نبخَل بمواساتك * فقالتْ لأُرِيَنَّكم أوَّلاً شعاري * ثم لارويَنَّكم أشعاري * فابرزت رُدْنَ درعٍ دريس * وبرزتْ برزةَ عجوزٍ دردبيس * و انشاتْ تقول * نظم

اشكو الى الله اشتكاء المريض * ريب(١) الزمان المتعدي البغيض
يا قومِ انيي من اناسٍ غدوا * دهرا وجفنُ الدهر عنهم غضيض
فخـــارهم ليس له دافع * وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة اعوزت * في السنة الشهباء روضا اريض
تُشبُّ للسّارين نيرانهـــم * ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جارٌ لهمُ ساغبـــا * ولا لروع قال حال الجريض
فغيَّضتْ منهم صروف الردى * بحار جود لم اخلهـــا تغيض
و اودعت منهم بطون الثرى * اسد التحامي و أساة المريض
فمحملي بعد المطايا المطا * وموطني بعد اليفاع الحضيض
و افرخي ما تُأنلي تشتكي * بؤسا له في كل يوم وميض
اذا دعا القانتُ في ليلة * مولاه نادوه بدمع يفيـــض

---

(١) جوره

يا رازق النعّاب في عُشّه * و يا جابر العظم الكسير المهيض
أتِحْ لنا اللهم مَن عِرضُه * من دنَس الذم نقيٌّ رحيض
يطفئ نار الجوع عنا و لو * بمذقة من حازر او مخيض
فهل فتًى يكشف ما نابهم * و يغنم الشكر الطويل العريض
فو الذي تعنو النواصي له * يوم وجوه الجمع سود و بيض
لو لاهُمُ لم تبدُ لي صفحة * و لا تصدّيتُ لنظم القريض

قال الراوي فو الله لقد صدعت بابياتها اعشار القلوب * و استخرجت خبايا الجيوب * حتى ماحها من دينُه الامتياح * و ارتاح لرفدها من لم نخله يرتاح * فلما افعوعم جيبُها تبرا * و اوْلاها كل منا برًّا * تولت يتلوها الاصاغر * و فوها بالشكر فاغر * فاشرأبّت الجماعة بعد ممرّها * الى سبْرها * لتبلو مواقع برّها * فكفلت لهم باستنباط السر المرموز * و نهضت اقفو اثر العجوز * حتى انتهت الى سوق مغتصّة بالانام * مختصّة بالزحام * فانغمست في الغُمار * و املّسْتْ من الصبية الاغمار * ثم عاجت بخُلوّ بال * الى مسجد خالٍ * فاماطت الجلباب * و نضت النقاب * و انا ألمحها من خَصاص الباب * و ارقب ما ستُبديه من العُجاب * فلما انسرت اهبةُ الخفر * رأيت مُحيّا ابي زيد قد سفَر * فهممتُ بان اهجُم عليه * لأُعنّفه على ما اجرى اليه * فاستلقى استلقاء المتمردين * ثم رفع عقيرة المغرّدين * و اندفع ينشد * نظم

يا ليت شعري ادهري * احاط علمًا بقدري
و هل درى كنهَ غوري * في الخدع ام ليس يدري
و كم قد قمرتُ بنيه * بحيلتي و بمكري

و كم برزتُ بعرفٍ * عليهمُ و بنُكْرِ
اصطاد قوما بوعظ * و آخرين بشعرِ
و استفِزُّ بخلٍّ * عقلا و عقلا بخمرِ
و تارة انا صخرٍ * و تارة اخت صخرِ
و لو سلكت سبيلا * مالوفة طول عمري
لخاب قدحي و قِدحي * و دام عُسري و خُسري
فقل لمن لام هذا * عذري فدونك عذري

قال الحارث بن همام فلما ظهرت عَلَيَّ جليّةُ أمره * و بديعة امره * و ما زخرف في شعره من عذره * علمتُ انَّ شيطانه المريد * لا يسمع التفنيد * و لا يفعل الا ما يريد * فثنيت الى اصحابي عناني * و ابثثتُهم ما اثبته عياني * فوجموا لضيعة الجوائز * و تعاهدوا على محرمة العجائز *

المقامة الرابعة عشرة المكية

حكى الحارث بن همام قال نهضت من مدينة السلام * لحجة الاسلام * فلما قضيت بعون الله التفثَ * و استبحت الطيب و الرفَثَ * صادف موسم الخيف * مَعمعانُ الصيف * فاستظهرت للضرورة * بما يقي حرَّ الظهيرة * فبينما انا تحت طِراف * مع رُفقة ظِراف * وقد حَمِيَ وَطيس الحَصباء * و اعشَى الهجيرُ عينَ الحِرباء * اذ هجم علينا شيخ مُتسعسع * يتلوه فتى مُترعرِع * فسلم الشيخ تسليمَ اديب اريب * و حاور محاورة قريب لا غريب * فاعجبنا بما نثر من سمطه * و عجبنا من انبساطه قبل بسطه * و قلنا له من انت * وكيف ولجت و ما استأذنت * فقال اما انا فعافٍ *

وطالب اسعاف * وسرُّ ضُرّي غيرُ خاف * والنظر اليَّ شفيع كاف * واما الانسياب * الذي عَلِق به الارتياب * فما هو بعجاب * اذ ما على الكرماء من حجاب * فسألناه انّى اهتدى الينا * وبم استدل علينا * فقال ان للكرم نشرًا تنمُّ نفحاتُه * وتُرشد الى روضه نفحاته * فاستدللت بتأرُّج عَرفكم * على تبلُّج عُرفكم * وبشَّرني تضوُّعُ رَندكم * بحسن المنقلب من عندكم * فاستخبرناه حينئذ عن لُبانته * لنكفُلَ باعانته * فقال ان لي مآربا * ولفتاي مطالبا * فقلنا كلا المرامين سيقضى * وكلاكما سوف يُرضى * ولكنّ الكُبرَ الكُبر * فقال اجل ومن دحا السبع الغبر * ثم رتّب للمقال * كالمنشط من العقال * وانشد * نظم

اني امرؤ أُبدِعَ بي * بعد الوجى والتعب
وشُقّتي شاسعةٌ * يقصُرُ عنها خببي
وما معي خردلة * مطبوعة من ذهب
فحيلتي منسدة * وحيرتي تلعَبُ بي
ان ارتحلتُ راجلا * خفت دواعي العَطَب
وان تخلّفت عن الـ * ـرُّفقة ضاق مذهبي
فزفرتي في صُعُد * وعبرتي في صبب
وانتم منتجع الـ * ـراجي ومرمى الطلب
لها كمُ مُنهلّة * ولا انهلال السُّحُب
وجاركم في حرم * ووفركم في حرب
ما لاذ مرتاع بكم * فخاف ناب النوب
ولا استدرّ آمل * حِباءكم فما حبي
فانعطفوا في قصتي * واحسنوا منقلبي

فلو بلوتم عيشتي * في مطعمي و مشربي
لساءكم ضري الذي * اسلمني للكرب
و لو خبرتم حسبي * و نسبي و مذهبي
و ما حوت معرفتي * من العلوم النخب
لما اعترتكم شبهة * في ان دائي ادبي
فليت اني لم اكن * أرضعت ثدي الادب
فقد دهاني شؤمه * و عقّني فيه ابي

فقلنا له اما انت فقد صرّحتْ ابياتُك بفاقتك * وعطب ناقتك * و سنُعطيك ما يوصلك الى بلدك * فما مأربة ولدك * فقال له قم يا بنيَّ كما قام ابوك * و فُهْ بما في نفسك لا فُضَّ فوك * فنهض نهوض البطل للبراز * و أَصْلَتَ لسانا كالعضب الجُراز * وانشد يقول * نظم

يا سادةً في المعالي * لهم مبان مشيده
و من اذا ناب خطب * قاموا بدفع المكيده
و من يهون عليهم * بذلُ الكنوز العتيده
اريد منكم شواء * و جردقا و عصيده
فان غلا فرُقاق * به توارى الشهيده
او لم يكن ذا ولا ذا * فشبّعة من ثريده
فان تعذّرن طرّا * فعجوة و نهيده
فاحضروا ما تسنّى * و لو شظا من قديده
و روّجوه فنفسي * لما يروج مُريده
و الزاد لابد منه * لرحلة لي بعيده
و انتمُ خيرُ رهط * يُدعون عند الشديده

ايديكم كلَّ يوم * لها اياد جديده
و راحكم واصلات * شمْلَ الصِّلات المفيده
و بغيتي في مطاوي * ما ترفدون زهيده
وفيَّ اجر و عُقبى * تنفيس كربي حميده
و لي تنائج فكر * يعضهن كلَّ قصيده

قال الحارث بن همام فلما رأينا الشبل يشبه الاسد * ارحلنا الوالد و زوّدنا الولد * فقابلا الصنع بشكر نشرا اَرديته * و اديّا به ديته * و لما عزمنا على الانطلاق * و عقدا للرحالة حبك النطاق * قلت للشيخ هل ضاهت عِدَتنا عِدَةَ عُرْقُوب * او بقيت حاجة في نفس يعقوب * فقال حاش لله و كلا * بل جل معروفكم و جلّى * فقلت له فدنّا كما دنّاك * و افدنا كما افدناك * اين الدويرة * فقد ملكتنا فيك الحيرة * فتنفس تنفس من ادّكر اوطانه * و انشد و الشهيق يُلَعْثِمُ لسانَه * نظم

سروج داري و لكنْ * كيف السبيل اليها
وقد اناخ الاعادي * بها و اخذوا عليها
فوالتي سرتُ ابغي * حَطَّ الذنوبِ لديها
ما راق طرفي شئ * مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع * و آذنت مدامعه بالهموع * فكره ان يستوكفها * و لم يملك ان يكفكفها * فقطع انشاده المتحلى * و اوجز في الوداع و ولّى *

المقامة الخامسة عشرة الفرضية

اخبر الحارث بن همام قال ارقت ذات ليلة حالكة الجلباب *

هامية الرباب * ولا أرَقَ صبٍّ طُرِدَ عن الباب * ومُنِيَ بصدّ الاحباب * فلم تَزَل الافكار يَجِبْنَ همّي * ويُجِلْنَ في الوساوس وهمي(†) * حتى تمنيت * لمَضَض ما عانيت * ان أُرزق سميرا من الفضلاء * ليقصرَ طول ليلتي الليلاء * فما انقضت مُنيتي * ولا اغمضتُ مُقلتي * حتى قرع الباب قارع * له صوت خاشع * فقلت في نفسي لعلّ غرسَ التمني قد اثمر * وليلَ الحظ قد اقمر * فنهضتُ اليه عجلان * وقلت من الطارق الآن * فقال غريب اجَنَّه الليل * وغشيه السيل * ويبتغي الايواء لا غير * واذا اسحر قدَّم السير * قال فلما دلَّ شعاعه على شَمسه * ونمَّ عنوانُه بسرّ طِرسه * علمت انّ مسامرته غُنْم * ومساهرته نُعم * ففتحتُ الباب بابتسام * وقلتُ ادخلوها بسلام * فدخل شخص قد حَنَى الدهرُ صعدَتَه * وبلَّل القَطر بُرْدَته * فحيّى بلسان عَضْب * وبيان عَذْب * ثم شكر على تلبية صوته * واعتذر من الطروق في غير وقته * فدانيته بالمصباح المُتَّقد * وتاملتُه تأمُّلَ المنتقد * فالفيته شيخنا ابا زيد بلا ريب * ولا رجم غيب * فاحللته محلَّ مَن اظفرني بقُصوى الطلب * ونقلني من وقْدِ الكُرَب * الى رَوح الطرب * ثم اخذ يشكو الاين * واخذت في كيف واين * فقال ابلعني ريقي * فقد أتعبني طريقي * فظننته مُستبطِنا للسَّغَب * متكاسلا لهذا السبب * فاحضرته ما يُحضَر للضيف المفاجئ * في الليل الداجي * فانقبض انقباض المحتشم * واعرض اعراض البَشِم * فسُؤتُ ظنًّا بامتناعه * واحفظني حَؤولُ طباعه * حتى كدتُ أُغلِظُ له في الكلام * وأَسْعُه بحمة الملام * فتبين من لمحات ناظري * ما خامر خاطري *

(†) فهمي *

فقال يا ضعيف الثقة * باهل المقة * عدّ عما اخطرته بالك * واستمع اليّ لا ابا لك * فقلت هات * يا اخا التّرّهات * فقال اعلم اني بتّ البارحة حليف افلاس * ونجيّ وسواس * فلما قضى الليلُ نحبه * و غوّر الصبح شهبه * غدوت وقت الاشراق * الى بعض الاسواق * متصديا لصيد يسنح * او حرّ يسمح * فلحظت بها تمرا قد حسّن تصفيفه * واحسن اليه مصيفه * فجمع على التحقيق * صفاء الرحيق * و قنوء العقيق * و قباالته لبأ قد برز كالابريز الاصفر * و انجلى في اللون المزعفر * فهو يثني على طاهيه * بلسان تناهيه * و يصوّب رأي مشتريه * و لو نقد حبّة القلب فيه * فاسرتني الشهوة باشطانها * و اسلمتني العيمة الى سلطانها * فبقيت احير من ضبّ * و اذهل من صبّ * لا وجد يوصلني الى نيل المراد * و لذة الازدراد * و لا قدم تطاوعني على الذهاب * مع حرقة الالتهاب * لكن حداني القرم و سورته * و السغب (‡) و فورته * على ان انتجع كلّ ارض * و اقتنع من الورد ببرض * فلم ازل سحابة ذلك النهار * ادلي دلوي الى الانهار * و هى لا ترجع ببلّة * و لا تجلب نقع غلّة * الى ان صغت الشمس للغروب * وضعفت النفس من اللغوب * فرحت بكبد حرّى * و انثنيت اقدم رجلا و اوخر اخرى * و بينما انا اسعى و اقعد * و اهبّ و اركد * اذ قابلني شيخ يتأوّه آهة الثكلان * و عيناه تهملان * فما شغلني ما انا فيه من داء الذئب * و الخوى المذيب * عن تعاطي مداخلته * و الطمع في مخاتلته * فقلت له يا هذا ان لبكائك لسرّاً * و وراء تحرّقك لشرّاً * فاطلعني على

(‡) الغضب *

برحائك * وانخذني من نصحائك * فانك ستجد مني طبًّا
آسيا * او عونا مُواسيا * فقال والله ما تأوُّهي لعيش فات *
ولا من دهر افتاتَ * بل لانقراض العلم ودروسه * وأفول اقماره
وشموسه * فقلت وايُّ حادثةٍ نجمَتْ * وقضية استعجمت *
حتى هاجت لك الاسف * على فقد من سلف * فابرز رقعة
من كُمّه * واقسم بابيه وأمه * لقد انزلها باعلام المدارس *
فما امتازوا عن الاَعلام الدوارس * واستنطق لها احبار المحابر *
فخرِسوا ولا خرَس سُكّان المقابر * فقلت ارنيها * فلعلي أغني
فيها * فقال ما ابعدت في المرام * فرُبَّ رمية من غير رام *

ثم ناولنيها * فاذا المكتوب فيها * نظم

ايها العالم الفقيه الذي فا * ق ذكاء فما له من شبيه
افتنا في قضيَّة حاد عنها * كلُّ قاضٍ وحار كلُّ فقيه
رجل مات عن اخ مسلم حُـ * ـرٍّ تقيٍّ من أمه وابيه
وله زوجة لها ايها الحبْـ * ـرُ اخٌ خالصٌ بلا تمويه
فحَوتْ فرضَها وحاز اخوها * ما تبقّى بالارث دون اخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا * فهو نصٌّ لا خُلْفَ يوجدُ فيه

فلما قرأتُ شعرها * ولمحت سرها * قلت له على الخبير بها
سقطت * وعند ابن بَجْدتها حططتُ * الا اني مضطرم الحشا *
مضطر الى العشاء * فاكرم مثوايَ * ثم استمع فتوايَ * فقال
لقد انصفت في الاشتراط * وتجافيت عن الاشتطاط * فصِرْ
معي * الى مربعي * لتظفرَ بما تبتغي * وتنقلبَ كما
ينبغي * قال فصاحبته الى ذراه * كما حكَم الله * فادخلني بيتا
حرج من التابوت * واوهنَ من بيت العنكبوت * الا انه

جبر ضيق ربعه * بتوسعة ذرعه * فحكّمني في القرى * و انتخب ما يُشترى * فقلت أُريد ازدي زئب على اشهى مركوب * و انفع صاحب مع ضرب مصحوب * فافكر ساعة طويلة * ثم قال لعلك تعني بنت نُخَيلة * مع ابن سُخَيلة * فقلت اياهما عنيتُ * و لاجلهما تعنّيت * فنهض نشيطا * ثم ربض مُستشيطا * و قال اعلم اصلحك الله ان الصدق نباهة * و الكذب عاهة * فلا يحملنّك الجوعُ الذي هو شعار الانبياء * و حلية الاولياء * على ان تلحق بدين مان * و تتخلّق بالخُلُق الذي يجانب الايمان * فقد تجوعُ الحرة * و لا تأكل بثدييها * و تابى الدنية * و لو اضطُرّت اليها * ثم اني لست لك بزبون * و لا اغضي على صفقة مغبون * و ها انا قد انذرتك قبل ان ينهتك الستر * و ينعقد بيننا الوتر * فلا تُلغ تدبّر الانذار * و حذار من المكاذبة حَذار * فقلتُ له و الذي حرّم اكل الربا * و احلّ اكلَ اللّبا * ما فهتُ بزور * و لا دلّيتك بغرور * و ستخبرُ حقيقةَ الامر * و تحمد بدلَ اللّبأ و التمر * نبشّ هشاشةَ المصدوق * و انطلق مُغذّ الى السوق * فما كان باسرع من ان اقبل بهما يدلَح * و وجهه يكلَح * فوضعهما لديّ * وضع الممتنّ عليّ * و قال اضرب الجيش بالجيش * تحظَ بلذة العيش * قال فحسرت عن ساعد النهِم * و حملت حملة الفيل الملتهِم * و هو يلحظني كما يلحظ الحنق * و يود من الغيظ لو اختنق * حتى اذا هلقمت النوعين * و غادرتهما اثرا بعد عين * اقوت حيرة في اطلال البيات * و فكرة في جواب الابيات * فما لبث ان قام * و احضر الدواة و الاقلام * و قال قد ملأت الجراب * فامل الجواب * و الا فتهيأْ ان نكلت * لاغترام ما اكلت * فقلت

له عندي الا التحقيق * فاكتب و بالله التوفيق * نظم

قل لمن يُلغز المسائل اني * كاشف سرّها الذي يخفيه
إن ذا الميتَ الذي قدّم الشر * عُ اخا عرسه على ابن ابيه
رجل زوّج ابنه عن رضاه * بحماة له و لا غرو فيه
ثم مات ابنه و قد علقت منه * فجاءت بابن له تحكيه
فهو ابن ابنه بغير مِراء * و اخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح ادنى الى الجد * و اولى بارثه من اخيه
فلذا حين مات اُوجب للزو * جة ثمنُ التراثِ تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الاص * ل اخوها من امها باقيه
و تخلّى الاخ الشقيق من الار * ث و قلنا يكفيك ان تبكيه
هاك منى الفُتيا التي يحتذيها * كلُّ قاض يقضي و كل فقيه

قال فلما اثبت الجواب * و استثبت منه الصواب * قال لي اهلك و الليل * فشمّرِ الذيل * و بادر السَّيل * فقلت اني بدار غربة * و في ايوائي افضل قربة * لا سِيّما و قد اغدف جِنحُ الظلام * و سبّح الرعد فى الغمام * فقال اغرب عافاك الله الى حيث شئت * و لا تطمع في ان تبيت * فقلت و لم ذاك * مع خلُوّ ذراك * قال لاني انعمتُ النظر * فى التقامك ما حضر * حتى لم تُبق و لم تذر * فرأيتك لا تنظر في مصلحتك * و لا تراعي حفظ صحتك * و من امعن فيما امعنت * و تبطّن كما تبطنت * لم يخلُص من كظّة مدنفة * او هيضة متلفة * فدعني بالله كفافا * و اخرج عني ما دمت معافا * فوالذي يحيي و يُميت * مالك عندي مبيت * فلما سمعت اليته * و بلوت بليته * خرجت من بيته بالرغم * و تزوّدِ الغم * تجودني السماء * و تخبط بي

الظلماء * و تنبحني الكلاب * و تتقاذف بي الابواب * حتى ساقني اليك لطف القضاء * فشكرا ليده البيضاء * فقلت له احبب بلقائك المتاح * الى قلبي المرتاح * ثم اخذ يفتنّ في حكاياته * و يُنشط مُضحكاته بمبكياته * الى ان عطس انفُ الصباح * و هتف داعي الفلاح * فتأهّب لاجابة الداعي * ثم عطف الى وداعي * فعقّتُه عن الانبعاث * وقلت الضيافة ثلث * [و ماحفزك الاحتثاث * و ان ترحلت رحلة خرقاء * نغصت اللقاء * و سؤت الاصدقاء *] (†) فناشد و حرّج * ثم امّ المخرج * و انشد اذ عرّج * نظم

لا تزر مَن تُحبُّ في كل شهر * غير يوم و لا تزده عليه

فاجتلاءُ الهلال في الشهر يوم * ثم لا تنظر العيـــون اليه

قال الحارث بن همام فودّعته بقلب دامي القُرح * و وددت لوان ليلتي بطية الصبح *

المقامة السادسة عشرة المغربية

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلاة المغرب * في بعض مساجد المغرب * فلما اديتها بفضلها * و شفعتها بنفلها * اخذ طرفي رفقة قد انتبذوا ناحية * و امتازوا صفوة صافية * و هم يتعاطون كأس المنافثة * و يقتدحون زناد المباحثة * فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد * و ادب يستزاد * فسعيت اليهم * سعي المتطفل عليهم * و قلت لهم اتقبلون نزيلا يطلُب جنى الاسمار * لاجنيّ الثمار * و يبغي مُلَح الحِوار * لا ملحاء الحُوار * فحلّوا لي

(†) هذه العبارة في نسخة واحدة *

أُحُبا * و قالوا مرحبا مرحبا * فلم اجلس الا لمحة بارق خاطف *
او نغبة طائر خائف * حتى غشينا جوّاب * على عاتقه جراب *
فحيّانا بالكلمتين * و حيّى المسجد بالتسليمتين * ثم قال يا
اولى الالباب * و الفضل اللباب * اما تعلمون ان انفس القربات *
تنفيس الكُربات * و امتن اسباب النجاة * مواساةُ ذوى الحاجات *
و اني و من احلّني ساحتكم * و اتاح لي استماحتكم * لَشريدُ محلٍ
قاص * و بريدِ صِبية خِماص * فهل في الجماعة * من يفثأ عنا
حُميًّا المجاعة * فقالوا له يا هذا انك حضرت بعد العشاء * ولم يبق
الا فضلات العشاء * فان كنت بها قنوعا * فما تجد فينا منوعا *
فقال ان اخا الشدائد * ليقنع بلُفاظات الموائد * و نُفاضات المزاود *
فامر كل منهم عبده * ان يزوّده ما عنده * فاعجبه الصنعُ و شكر
عليه * و جلس يرقُب ما يُحمَل اليه * و ثُبنا نحن الى استثارة
ملح الادب و عيونه * و استنباط معينه من عيونه * الى ان جُلنا
فيما لا يستحيل بالانعكاس * كقولك ساكب كاس * فتداعينا
الى ان نستنتج له الافكار * و نفترع منه الابكار * على ان ينظمَ
البادي ثلث جُمانات في عقده * ثم تتدرّج الزيادات من
بعده * فيُربِّع ذو ميمنته في نظمه * و يُسبّعَ صاحبُ ميسرته على
رغمه * قال الراوي وكنا قد انتظمنا عدّة اصابع الكف * و تالفنا
ألفة اصحاب الكهف * فابتدر لعُظم محنتي * صاحب ميمنتي *
وقال (لُمْ اخاً ملّ) و قال مَيامنه (كبّر رجاءَ اجرِ ربك) و قال
الذي يليه (من يُرَبُّ اذا برَّ ينم) وقال الاخر (سكّتْ كلَّ مَن
نمَّ لك تكسْ) و افضت الذوبةُ اليَّ * وقد تعين نظمُ السمط
السُباعيّ عليّ * فلم يزل فكري يصوغ و يكسر * و يُثري و يُعسِر *

و في ضمن ذلك استطعِمُ * فلا اجد من يُطعم * الى ان ركد النسيم * و حصحص التسليم * فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام * لشفى العُقام * فقالوا لو نزلتْ هذه بإياس * لامسك على ياس * و جعلنا نُفيضُ في استصعابها * و استغلاق بابها * و ذلك الزور المعتري * يلحظنا لحظ المزدري * و يؤلّف الدرر و نحن لا ندري * فلما عثَر على افتضاحنا * و نُضوب ضحضاحنا * قال يا قوم ان من العناء العظيم * استيلاد العقيم * و الاستشفاء بالسقيم * و فوق كل ذي علم عليم * ثم اقبل عليّ و قال سأنوب مذابك * و اكفيك ما نابك * فان شئت ان تنثُر * و لا تعثُر * فقل مخاطبا لمن ذمّ البخل * و اكثر العذل * لُذْ بكلِّ مؤمَّل اذا لَمّ و ملّك بذَل * و ان احببتَ ان تنظِم * فقل للذي تعظم * نظم

أَسِ ارمَـــلاً اذا عرا * وَارْعَ اذا المـرء اسا
اسنِـــدْ اخا نبـاهة * أَبْنِ إخـاء دنَسـا
أَسلُ جنـاب غاشـم * مشاغِبٍ ان جلسـا
اسـر اذا هبّ مـرا * و ارْمِ به اذا رسـا
اسكـن تَقَـوّ فعسى * يسْعِف وقتٌ نُكسا

قال فلما سحرنا بابياته * و حسرنا ببعد غاياته * مدحناه حتى استعفى * و منحناه الى ان استكفى * ثم شمّر ثيابه * و ازدفر جرابه * و نهض ينشد * نظم

لـلّـه درٌّ عصـابة * صُدُق المقـال مَقاولا
فاقوا الانام فضائلا * مأثـورة و فواضـلا
حاورتُهم فوجدت سحبا نالديهـم باقـلا
و حللت فيهـم سائلا * فلقيت جودا سائـلا

اقسمت لو كان الكرا * م حيًّا لكانوا والا

ثم خطا قيدَ رمحين * و عاد مستعيذا من الحَين * و قال يا عِزّ من عدِمَ الآلَ * وكنزَ من سُلِب المال * ان الغاسق قد وقَب * و وجهَ المحجَّة قد انتقب * و بيني و بين كِنّي ليل دامس * و طريق طامس * فهل من مصباح يؤمنني العثار * و يبيّن لي الآثار * قال فلما جيءُ بالملتمس * و جلّى الوجوهَ ضَوءُ القبَس * رأيت صاحبَ صيدنا * هو ابو زيدنا * فقلت لاصحابي هذا الذي اشرت الى انه اذا نطق اصابَ * و ان استُمطِر صاب * فاتلعوا نحوه الاعناق * و احدقوا به الاحداق * و سألوه ان يسامرهم ليلته * على ان يجبروا عَيْلتَه * فقال حُبًّا لما احببتم * و رُحبا بكم اذا رحّبتم * غيّر اني قصدتكم و اطفالي يتضوّرون من الجوع * و يدعون لي بوشك الرجوع * و ان استراثوني خامرهم الطيش * و لم يصف لي العيش * فدعوني لاذهب فاسُدَّ مخمصتهم * و اُسيغَ غُصَّتهم * ثم انقلبُ اليكم على الاثر * متأهّبا للسَّمَر * الى السحر * فقلنا لاحد الغلمة اتبعه الى فئَته * ليكون اسرع لفَيْئَته * فانطلق معه مُضطبنا جرابه * و مستحثا ايابه * فابطأ بطْأً جاوز حدّه * ثم عاد الغلام وحده * فقلنا ما عندك من الحديث * عن الخبيث * قال اخذبي في طُرق مُتعبَة * و سُبُلٍ متشعّبة * حتى افضينا الى دُويرة خربة * فقال هٰهنا مُناخي * و وَكْرُ افراخي * ثم استفتح بابه * و اختلج مني جرابه * و قال لعمري لقد خفّفت عني * و استوجبت الحُسنى مني * و هاك نصيحة هي من نفائس النصائح * و مغارس المصالح * و انشد * نظم

اذا ماحويت جنى نخلة * فلا تقربنّها الى قابل

و إما سقطتَ على بَيْدر * فَحُوصِلْ من السُّنْبُلِ الحاصل
و لا تلبَثَنْ اذا ما لقطتَ * فتنشَبَ في كفّةِ الحابل
و لا تُوغلنَّ اذا ما سبَحتَ * فان السلامةَ في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف * و بع آجلا منك بالعاجل
و لا تُكثرنّ على صاحب * فما ملَّ قطُّ سوى الواصل

ثم قال اخزنها في تامورك * و اقتديها في امورك * و بادر الى صحبك * في كلاءة ربك * فاذا بلغتهم فابلغهم تحيّتي * واتلُ عليهم وصيّتي * وقل لهم عني ان السَّهر في الخرافات * لمن اعظم الآفات * و لست الغي احتراسي * و لا اجلُبُ الهَوَس الى رأسي * قال الراوي فلما وقفنا فحوى شعره * على نُكره و مكره * تلاومنا على تركه * و الاغترار بإفكه * ثم تفرقنا بوجوه باسرة * و صَفْقة خاسرة *

المقامة السابعة عشرة القهقرية

حدث الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين * و مطامح العين * فتية عليهم سيماء الحجى * و طلاوة نجوم الدجى * و هم في مُماراة مُشتدَّة الهُبوب * و مُباراة مشتطّة الأُلْهوب * فهزّني لقصدهم هوى المحاضرة * و استحلاءُ جَنَى المناظرة * فلما التحقتُ برهطهم * و انتظمتُ في سِمْطهم * قالوا أ انت ممن يُبلى في الهيجاء * و يلقي دلوه في الدِّلاء * فقلت بل انا من نظّارة الحرب * لا من ابناء الطعن و الضرب * فاضربوا عن حجاجي * و افاضوا في التَّحاجي * و كان في بحبوحة حلقتهم * و اكليل رفقتهم * شيخ قد برته الهموم * و لوّحته السَّموم * حتى عاد أنحلَ

من قلم * و اقحل من جَلَم * الا انه كان يُبدى العُجاب * اذا اجاب * و يُنسي سحبانَ * كلما ابانَ * فأُعجِبتُ بما اوتيَ من الاصابة * والتبريز على تلك العصابة * و ما زال يفصح عن كل معمّى * و يصمي في كل مرمى * الى ان خلت الجِعاب * و نفِد السؤالُ و الجواب * فلما رأى انفضاض القوم * و اضطرارهم الى الصوم * عرّض بالمطارحة * و استأذن فى المفاتحة * فقالوا حبّذا * و من لنا بذا * فقال اتعرفون رسالةً ارضُها سماؤُها * وصبحُها مساؤُها * نُسِجتْ على منوالين * و تجلّت في لونين * و صلّت الى جهتين * و بدتْ ذاتَ وجهين * ان بزغت من مشرقها * فناهيك برونقها * و ان طلعت من مغربها * فيالعجبها * قال فكأنّ القوم رُمُوا بالصُّمات * او حقّت عليهم كلمة الانصات * فما نبس منهم انسان * و لافاه لاحدهم لسان * فحين رآهم بُكما كالانعام * و صموتًا كالاصنام * قال لهم قد اجّلْتكم اجَلَ العدّة * و ارخيتُ لكم طَوَل المدة * ثم هُهنا مجمعُ الشمل * و مَوْقِفُ الفصل * فان سمحتْ خواطركم مدحنا * و ان صلدتْ زنادُكم قدحْنا * فقالوا له والله ما لنا فى لجّة هذا البحر مَسبَح * و لا في ساحله مسرَح * فَارِح افكارَنا من الكدّ * و هنّي العطيّة بالنقد * و اتخذْنا اخوانًا يحبون اذا وثبتَ * و يُجيبون متى استجبتَ * فاطرق ساعة * ثم قال سمعًا لكم و طاعةً * فاستملوا مني * و انقلوا عني * الانسانُ صنيعةُ الاحسان * وربَّ الجميل فعلُ النَّدب * و شيمة الحُرّ ذخيرة الحمد * و كسب الشكر استثمار السعادة * و عنوان الكرم تباشير البِشْر * و استعمال المداراة * يوجب المصافاة * و عقد المحبة يقتضى النصح * و صدق الحديث حلية اللسان * و فصاحة

المنطق سحر الالباب * و شرك الهوى آفة النفوس * و ملل
الخلائق * شين الخلائق * و سوء الطمع * يباين الورع * و التزام
الحزامة * زمام السلامة * و تطلّب المثالب * شر المعائب * و تتبّع
العثرات * يدحض المودّات * و خلوص النية * خلاصة العطية *
و تهنية النوال * ثمن السؤال * و تكلف الكلف * يسهل الخلف *
و تيقّن المعونة * يسنّي المؤونة * و فصل الحذر * سعة الصدر *
و زينة الرعاة * مقت السعاة * و جزاء المدائح * بث المنائح *
و مهر الوسائل * تشفيع المسائل * و مجانبة الغواية * استغراق
الغاية * و تجاوز الحد * يكلّ الحد * و تعدّي الادب * يحبط القرب *
و تناسي الحقوق * ينشي العقوق * و تحاشي الريب * يرفع الرتب *
و ارتفاع الاخطار * باقتحام الاخطار * و تنوه الاقدار * بموافاة
الاقدار * و شرف الاعمال * في تقصير الآمال * و اطالة الفكرة *
تنقيح الحكمة * و رأس الرياسة * تهذّب السياسة * و مع اللجاجة *
تلغى الحاجة * و عند الاوجال * تتفاضل الرجال * بتفاضل
الهمم * تتفاوت القيم * و بتزيّد السفير * يهن التدبير * و بتخلل
الاحوال * تتبيّن الاهوال * و بموجب الصبر * ثمرة النصر *
و استحقاق الاحماد * بحسب الاجتهاد * و وجوب الملاحظة *
كفاء المحافظة * و صفاء الموالي * بتعهد الموالي * و تحلّى
المروّت * بحفظ الامانات * و اختبار الاخوان * بتخفيف الاحزان *
و دفع الاعداء * بكف الاوداء * و امتحان العقلاء * بمقارنة الجهلاء *
و تبصّر العواقب * يؤمن المعاطب * و اتقاء الشنعة * ينشر السمعة *
و قبح الجفاء * ينافي الوفاء * و جوهر الاحرار * عند الاسرار *
ثم قال هذه مائتا لفظة * تحتوي على ادب و عظة * فمن

سائقها هذا المساق * فلا مِراء ولا شِقاق * ومن رام عكس قالبها * وان يردّها على عقبها * فليقل الاسرار * عند الاحرار * وجوهر الوفاء * ينافي الجفاء * وقبح السمعة * ينشر الشنعة * ثم على هذا المسحب فليسحبها * ولا يرحبها * حتى تكون خاتمة فقرها * وآخرة دررها * وربّ الاحسان * صنيعة الانسان * قال الراوي فلما صدع برسالته الفريدة * واُملوحته المفيدة * علمنا كيف يتفاضل الانشاء * وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء * ثم اعتلق كلّ منّا بذيله * وفلذ له فِلذةً من نيله * فابى قبول فلذتي * وقال لست ارزأ تلامذتي * فقلت له كن ابا زيد على شحوب سحنتك * ونضوب ماء وجنتك * فقال انا هو على تحولي وقحولي * وقشف مُحولي * فاخذت في تثريبه * على تشريقه وتغريبه * فحولق واسترجع * ثم انشد من قلب موجع * نظم

سلّ الزمان عليّ عضبه * ليروعني واحدّ غربه
واستلّ من جفني كرا * ه مراغما واسال غربه
واجالني في الافق اطـ * ـوي شرقه واجوب غربه
فبكلّ جوّ طلعة * في كل يوم لي وغربه
وكذا المغرّب شخصه * متغرّب ونواه غربه

ثم ولّى يجرّ عطفيه * ويخطر بيديه * ونحن بين متلفّتٍ اليه * ومتهافتٍ عليه * ثم لم نلبث ان حللنا الحُبا * وتفرّقنا ايادي سبا *

المقامة الثامنة عشرة السنجارية

حكى الحارث بن همام قال قفلت ذات مرة من الشام * انحو

مدينة السلام * في رَكْب من بني نُمير * و رُفقة اولي خير و مَير * و معنا ابو زيد السروجي عُقْلة العَجْلان * و سَلْوةُ الثَّكلان * و أُعجوبة الزمان * و المشار اليه بالبنان في البيان * فصادف نُزولَنا سِنْجار * ان أَولم بها احدُ التجار * فدعا الى مأدُبَته الجفلى * من اهل الحضارة و الفلا * حتى عمّت دعوتُه الى القافلة * و جمع فيها بين الفريضة و النافلة * فلما اجبنا مناديَه * و حللنا ناديه * احضر من اطعمة اليد و اليدين * ما حلي في الفم و حلي بالعين * ثم قدّم جاما كأنما جُمِّدَ من الهواء * او جُمِع من الهباء * او صيغ من نور الفَضاء * او قُشِرَ من الدُّرّة البيضاء * و قد أُودع لطائف النعيم * و ضُمِّخ بالطيب العميم * و سيق اليه شِرْبٌ من تسنيم * و سفَر عن مرأى وسيم * و أَرِج نسيم * فلما اضطرمتْ بمحضره الشَّهَوات * و قرِمتْ الى مخبره اللهوات * و شارف ان تُشنَّ على سربه الغارات * و تُناديَ عند نهبه يا للثارات * نشز ابو زيد كالمجنون * و تباعد عنه تباعُدَ الضبّ من النُّون * فراودناه على ان يعود * و لا يكون كُقدارٍ في ثمودَ * فقال و الذي يُنشِرُ الاموات من الرِّجام * لا عُدتُّ دون رفع الجام * فلم نجد بدا من تألُّفه * و ابرار حلفه * فاشلناه و العقول معه شائلة * و الدموع عليه سائلة * فلما فاء الى مجثمه * و خلص من مأثمه * سألناه لِمَ قام * و لأيّ معنىً استرفع الجام * فقال ان الزُّجاج نمّام * و اني آليتُ مذ أعوام * ان لا يُضمّني و نمّامًا مقام * فقلنا ما سبب يمينك الصَّرى * و اليّتك الحرّى * فقال كان لي جار لسانه يتقرَّب * و قلبه عقرَب * و لفظه شهد يَنقَع * و خبؤه سم مُنقَع * فملتُ لمجاورته ـ الى محاورته * و اغتررتُ بمكاشرته ـ في معاشرته *

واستهوتني خضرة دمنته * لمنادمته * واغرتني خدعة سمته * بمناسمته * فمازجته و عندي انه جار مكاسر * فبان انه عقاب كاسر * و آنسته على انه حِبٌّ موانس * فوضح انه حُباب مُوالس * و مالحته و لا اعلم انه عند نقده * ممن يفرح بفقده * و عاقرته ولم ادر انه بعد فره * ممن يُطرب لمفره * و كانت عندي جارية * لا يوجد لها في الكمال مجارية * ان سفرتْ خجل النيران * و صليت القلوب بالنيران * و ان بسمت أزرت بالجمان * و بيعَ المرجانُ بالمجّان * و ان رنتْ هيَّجت البلابل * و حققتْ سحرَ بابل * و ان نطقت عقلت لبَّ العاقل * و استنزلت العُصْمَ من المعاقل * و ان قرأت شفت المفؤود * و احيت الموءود * و خلتها اوتيتْ من مزامير آل داوُد * و ان غنّت ظلّ معبدُ لها عبدا * و قيل سُحقًا لاسحاق و بُعدا * و ان زمرت اضحى زُنامٌ عندها زَنيما * بعد ان كان لجيله زعيما * و بالاطراب زعيما * و ان رقصت امالت العمائمَ عن الرؤس * و استكتْ رقص الحبَب في الكؤس * فكنت ازدري معها حُمُرَ النعم * و احلّي بتمليها جيدَ النِعم * و احجُب مرآها عن الشمس و القمر * و اذود ذكراها عن شرائع السمَر * و انا مع ذلك أليمٌ * من ان تسري بريّاها ريح * او يكهُنَ بها سَطيح * او ينمَّ عليها برق مليح * فاتّفق لوشك الحظ المبخوس * و نكد الطالع المنحوس * ان انطقتني بوصفها حُمَيّا المدام * عند الجار النمام * ثم ثاب الفَهْم * بعد ان صرد السهم * فاحسستُ الخبال و الوبال * و ضيعةَ ما أُودعَ ذلك الغربال * بَيْدَ اني عاهدته * على عكم ما لفظته * و ان يحفظ السرَّ و لو احفظتُه * فزعم انه يخزن الاسرار * كما يخزن اللئيم الدينار * و انه لا يهتك الاستار *

و لو عُرِّضَ لان يلج الذار * فما غبر على ذلك الزمان * الا يوم
او يومان * حتى بدا لامير تلك المَدَرة * و واليها ذى المقدرة * ان
يقصد باب قيله * مجدّدا عرض خيله * و مستمطرا عارض نيله *
و ارتاد ان يصحبه تحفة تلائم هواه * ليقدّمها بين يدي نجواه *
وجعل يبذلُ الجعائل لروّاده * يسَنّي المراغبَ لمن يظفره
بمراده * فاسفّ ذلك الجار الختّار الى بذواه * و عصى في
ادّراع العار عذلَ عُذوله * فاتى الوالي ناشرا اُذنيه * و ابثّه ما كنتُ
اسررتهُ اليه * فما راعني الا انسياب صاغيته اليّ * و انثيال حفدته
عليّ * يسومني ايثاره بالدرة اليتيمة * على ان اتحكمّ عليه في القيمة *
فغشيني من الغم * ما غشي فرعون و جنوده من اليم * و لم ازل
اُدافع عنها و لا يغنى الدّفاع * و استشفع اليه ولا يُجدى الاستشفاع *
و كلما رأى مني ازدياد الاعتياص * و ارتياد المناص * تجرّم و تضرّمَ *
و حرّق عليّ الاُرَّم * ونفسي مع ذلك لاتسمح بمفارقة بدري * و لا بان
انزع قلبي من صدري * حتى آل الوعيد ايقاعا * و التقريع
قراعا * فقادني الاشفاق من الحين * الى ان قضبته سواد العين *
بصفرة العين * و لم يحظ الواشي بغير الاثم و الشين * فعاهدتُ
الله تعالى مذ ذلك العهد * ان لا احاضر نمّاما من بعد *
و الزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة * و به يضرب المثل
في الذميمة * فقد جرى عليه سيلُ يميني * و لذلكم السبب
لم تمتدّ اليه يميني * نظم

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته * على ان حُرِمتم بي اقتطاف التطائف
فقد بان عذري في صنيعي والذي * سارتق فتقي من تليدي و طارف
على ان ما زوّدتكم من فكاهة * الذ من الحلوا لدى كل عارف

قال الحارث بن همَّام فقبِلْنا اعتذاره * و قبَّلنا عِذاره * و قلنا له قِدْماً وَقَذَت النميمةُ خيرَ البشر * حتى انتشر عن حمَّالة الحَطَب ما انتشر * ثم سألناه عما احدث جاره القتَّات * و دُخَلاؤه المقتات * بعد ان راش له نبلُ السِّعاية * و جذم حبْلَ الرعاية * فقال اَخَذ في الاستخذاء و الاستكانة * و الاستشفاع اليَّ بذوي المكانة * و كنت جرَّجت على نفسي * ان لا يسترجعَه أُنسي * او يرجعَ اليَّ امسي * فلم يكن له مني سوى الرد * و الاصرار على الصدّ * و هو لا يكتئب من النجه * و لا يتَّئب من وقاحة الوجه * بل يُلظُّ بالوسائل * و يُلِحُّ في المسائل * فما انتدنى من ابرامه * و لا ابعد عليه نيل مرامه * الا أُبيَّات نفَث بها الصدر المَوْتور * و الخاطر المبتور * فانها كانت مَدحَرةً لشيطانه * و مسجنةً له في اوطانه * و عند انتشارها بتَّ طلاقَ الحبور * و دعا بالويل و الثُّبور * و يئِسَ من نشرِ وصلي المقبور * كما يئس الكفارُ من اصحاب القبور * فناشدناه انْ ينشدَنا اياها * و يُنشقنا ريّاها * فقال اجلْ * خُلق الانسان من عَجَل * ثم انشد لا يزوبه خجَل * و لا يثنيه وجل * نظم

ونديم محضتُه صدقَ وُدّي * اذ توهّمتُــه صَديقاً حميما
ثم اوليتــه قطيعـــةَ قالٍ * حين اَلفيتُه صديدا حميما
خلتُــه قبلَ ان يجرّبَ اِلفًا * ذا ذِمام فبان جِلْفًا ذميما
و تخيَّــرْتُه كليما فاضحى * منه قلبي بما جناه كليما
و تظنّيْتُــه معينــا رحيما * فتبيّنتُه لعينـــا رجيمـــا
و ترأيتـــه مُريدا فجلّى * عنه سَبْكي له مَريدا لئيما
و توسَّمْت ان يهبَّ نسيمـــا * فابى ان يهبَّ اَلاَّ سَمـوما
بتُّ من لسعه الذي اعجز الرا * قي سليما و بَات مني سليما

وغدا امرُه غداةَ افترقنـــا * مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رائعا خصيبا و لكن * كان بالشرِّ رائعا لي خصيما
قلت لما بلوتُه ليتـه كا * ن عديما و لم يكن لي نديما
بغضُ الصبح حين نمَّ الى قلـ * ـبي لان الصباح يلفى نَموما
ودعاني الى هوى الليل اذ كا * ن سواد الدجى رقيبا كَتُوما
وكفى مَن يشي ولو فاه بالصد * ق آثاما فيما اتاه و لُوما

قال فلما سمع رب المنزل قريضه و سجعه * و استملح تقريضه و سبعه * بوّاه مهاد كرامته * و صدَّره على تكرمته * ثم استحضر عشر صحاف من العرب * فيها حلواء القند و الضَّرَب * و قال لا يستوي اصحابُ النار و اصحابُ الجنة * و لا يسَعُ ان يُجعَل البَرِيُّ لدى الظِنَّة * و هذه الآنية تتنزّل منزلة الابرار * في صون الاسرار * فلا تُوَلِّها الابعاد * و لا تُلحِق هُودًا بعادٍ * ثم امر خادمه بنقلها الى مثواه * ليحكم فيها بما يهواه * فاقبل علينا ابوزيد و قال اقرؤوا سورة الفتح * و ابشروا باندمال القَرْح * فقد جَبَرَ اللهُ كَسْرَكم وسنّى املكم * و جمع في ظلّ الحلواء شملكم * و عسى ان تكرهوا شيأ و هو خيرٌ لكم * و لما همَّ بالانصراف * مال الى استهداء الصحاف * فقال له آدب ان من دلائل الظرف * سماحة المُهدي بالظرف * فقال كلاهما و الغلام * فاحذف الكلام * وانهضْ بسلام * فوثب في الجواب * وشكره شكرَ الروض للسحاب * ثم اقتادنا ابو زيد الى مثواه * وحكّمنا في حلوائه * و جعل يقلّبُ الاواني بيده * و يُفِضُّ عددَها على عدده * ثم قال لستُ ادري اشكو ذلك الذمام ام اشكره (†) * و آلناسي فعلتَه ام اذكُره * فانه و ان كان اسلف

(†) لست ادري اشكو ذلك الذمام ام اكفر

الجريمة * و نمذم الذميمة * فمن غيمه انهلّت هذه الدّيمة * و بسيفه انحازت لي هذه الغنيمة * و قد خطر ببالي * ان ارجعَ الى اشبالي * و اقنع بما تسنّى لي * و لا أُتعبَ نفسي و لا أجمالي * و انا أودّعكم وَداع محافظ * و استودعُكم خيرَ حافظ * ثم استوى على راحلته * راجعا في حافرته * و لاويا الى زافرته * فغادرنا بعد ان وخَدَتْ عنسُه * و زايلَنا أُنسه * كشمسٍ غاب صدره * او ليل أفَلَ بدره *

المقامة التاسعة عشرة النصيبية

روى الحارث بن همام قال اهل العراق ذات العُوَيْم * لاختلاف انواء الغيم * و تحدّثَ الرُّكبانُ بريف نَصيبِيْنَ * و بُلَهْنِيَةِ اهلها المُخصبينْ * فاقتعدتُ مهرياً * واعتقلتُ سمهرياً * و سرت تلفظني ارضٌ الى ارض * و يجذبُني رفع من خفض * حتى بلغتُها نقضًا على نقض * فلما انختُ بمغناها الخصيب * و ضربتُ في مرعاها بنصيبٍ * نويت ان أُلقيَ بها جراني * و اتّخذ اهلها جيراني * الى ان تحيى السنةُ الجماد * و يتعهّد ارضَ قومي العهاد * فوالله ما تمضمضتْ مُقلتي بنومها * و لا تمخَّضتْ ليلتي عن يومها * او الفيتُ ابا زيد السروجي يجول في أرجاء نصيبينْ * و يخبطُ بها خبط المُصابين والمُصيبين * و هو ينتثر من فيه الدُّرر * و يحتلبُ بكيفه الدِّرَر * فوجدت جهادي قد حاز مغنما * و قدحي الفذّ قدصار توأمًا * و لم ازل اتبعُ ظلَّه اينما انبعث * و التقطُ لفظَه كلَّما نفث * الى ان عراه مرض امتدّ مداه * و عرقته مُداه * حتى كاد يسلُبه ثوبَ المحيا * و يسلّمه الى ابي يحيى * فوجدتُ لفوت لُقياه *

و انقطاع سُقياه * مما يجده المُبعَد عن مرامه * و المُرضَع عند فطامه * ثم أُرجف بأن رهنه قد غلق * و مخلب الحمام به قد علق * فقلق صحبه لارجاف المرجفين * و انثالوا الى عقوته موجفين * نظم

حيارى يميد بهم شجوهم * كأنهم ارتضعوا الخندريسا
اسالوا الغروب و عطّوا الجيوب * و صكّوا الخدود و شجّوا الرؤوسا
يودّون لو سالمته المنون * و غالت نفائسهم و النفوسا

قال الراوي و كنت فيمن التفّ باصحابه * و اغذّ الى بابه * فلما انتهينا الى فنائه * و تصدّينا لاستنشاء انبائه * برز الينا فتاه * مفترّةً شفتاه * فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته * و كنه قوى حركاته * فقال قد كان في قبضة المرضة * و غمرة الوعكة * الى ان شفّه الدنف * و استشفّه التلف * ثم منّ الله بتقوية ذَمائه * فافاق من اغمائه * فارجعوا ادراجكم * و انضوا انزعاجكم * فكأن قد غدا و راح * و ساقاكم الراح * فاعظمنا بشراه * و اقترحنا ان نراه * فدخل مؤذنا بنا * ثم خرج آذنا لنا * فلقينا منه لقى * و لسانا طلقا * و جلسنا محدقين بسريره * محدّقين الى اساريره * فقلّب طرفه في الجماعة * ثم قال اجتلوها بنت الساعة * و انشد * نظم

عافاني الله و شكرا له * من علّة كادت تُعفّيني
و منّ بالبرء على انه * لابدّ من حتف سيبريني
ما يتناساني و لكنه * الى تقضّي الاكل ينسيني
ان حُمّ لم يغن حميم و لا * حمى كُلَيب منه يحميني
و ما أُبالي ادنا يومه * ام أُخّر الحين الى حين
فايّ فخر في حياة ارى * فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الأجل * و ارتداد الوجل * ثم تداعينا الى

القيام * لِاتّقاء الابرام * فقال كلّا بل ابتدوا بياضَ يومكم عندي * لتشفوا بالمفاكهة وجدي * فان مناجاتكم قُوتُ نفسي * و مَنْفَذ الطيسَ أُنسي * فتحرّينا مرضاتَه * وتحامَينا معاصاته * ثم اقبلنا على الحديث نمخض زُبَدَه * ونُلْغي زَبَدَه * الى ان حان وقتُ المقيل * و كلّت الالسُنُ من القال و القيل * و كان يوما حاميَ الوديقة * يانعَ الحديقة * فقال ان النُّعاسَ قد امال الاعناق * و راود الآماق * و هو خصمٌ ألدُّ * وخطْبٌ لا يُردُّ * فصلوا حبْلَه بالقيلوله * و اقتدوا فيه بالاثار المنقولة * قال الراوي فاتّبعنا ما قال * و قلنا وقال * فضرب الله على الآذان * و افرغ السِّنة في الاجفان * حتى خرجنا من حكم الوجود * وصُرفنا بالهُجود عن السُّجود * فما استيقظنا الا والحرُّ قد باخ * و اليومُ قد شاخ * فتكرّعنا لصلوة العجماوين * و ادّينا ما حلّ من الدين * ثم تحفّزنا للارتحال * الى مُلقَى الرِّحال * فالتفتَ ابو زيد الى شِبْله * وكان على شاكلته و شكْله * و قال اني لاِخالُ ابو عمرة * قد اضرم في احشائهم الجمرة * فاستدع ابا جامع * فانه بُشرى كلّ جائع * و اردفه بابي نُعَيم * الصابر على كل ضَيْم * ثم عزِّزْ بابي حَبيب * المُحبَّب الى كلِّ لبيب * المتقلّب بينَ احراقٍ و تعذيب * و اعْقِبْ بابي ثَقيف * فحبّذا هو من اليف * وهلُمّْ بابي عَون * فما مثله من عَون * ولو استحضرتَ ابا جَمِيل * لجَمَّلَ(†) ايَّ تجميل * وحَيَّ هل بام القِرى * المُذَكِّرة بكِسرى * و لا تتناسَ أُمَّ جابِر * فكم لها من ذاكر * و ناد ام الفَرَج * ثم افتكْ بها و الحرج * و اختم بابي رزين * فهو مسلاة كل حزين * و ان تقرن به ابا العلاء * تمّ

(†) فجمل *

اسمك من البخلاء * واياك و استدناء المرجفين * قبل استقلال حمول البين * و اذا نزع القومُ عن المراس * و صافحوا ابا اياس * فاطغْ عليهم ابا السّرو * فانهّ عنوانُ السّرْوْ * قال فَفَقه ابنهُ لطائف رموزه * بلطافة تمييزه * فطاف علينا بالطيّبات و الطيب * الى ان دنت الشمسُ بالمغيب * فلما اجمعنا على التوديع * قلنا له الم تر الى هذ اليوم البديع * كيف بدا صبحه مُقْطرِرا * و مُسْيه مُستنيرا * فسجد حتى اطال * ثم رفع رأسه وقال * نظم

لا تيْأسَنْ عند النُّوبْ * من فرجة تجلو الكُرَبْ
فلكم سَمُوم هبَّ ثم * جرى نسيما فانقلب
و سحاب مكروه تنشأ * فاضمحلّ و ما سكب
ودُخانِ خَطْبٍ خيف منه * فما استبان له لهب
و لطالما طلع الاسى * و على تفيئته غرب
فاصبرْ اذا ما ذاب روع * فالزمانُ ابو العجب
و ترجَّ من رَوْح الله * لطائفاً لا تُحتسب

قال فاستمليْنا ابياته الغُرَّ * و رأينا لله تعالى الشكر * و ودعناه مسرورين ببرئه * مغمورين ببِرّه *

تفسير ما تضمنته هذه المقامة من الفاظ لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية

قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم * و مثله ذات الزُّمين * و السمهريّة الرماح * في تسميتها بذلك قولان * احدهما انها سُمّيت به لصلابتها من قولهم اسمهرّ الشيء اذا اشتد * و قيل انها منسوبة الى سمهر زوج رُدَيْنة وكان جميعا يقوّمان الرماح

فنسبت اليهما * و قوله نِقْضا على نقض اي مهزولا على مهزول *
و قوله و الجران باطن العنق و قيل ان السياط تعمل منه * و قوله
فضرب الله على الآذان اي انامنا و منه قوله عز و جل فضربنا
على آذانهم في الكهف اي انمناهم و قيل في تفسيره منعناهم
السمع * و قوله تكرعنا لصلاة العجماوين اي غسلنا اكارعنا و هو
كناية عن الوضوء * و العَجْماوان صلاة الظهر و العصر سُمّيتا بذلك
لاسرار القراءة فيهما و منه الحديث صلاةُ النهار عَجْماء * و قوله هَلْمِمْ
اي قل له هَلُمَّ و هي بمعنى هاتِ و بمعنى اقبلْ * و الافصحُ
ان يوحّدَ لفظُها مع المذكر و المؤنث و الاثنين و الجمع و به نطق
القرآن في قوله تعالى و القائلين لاخوانهم هَلُمَّ الينا * و من
العرب من يقول للمذكر الواحد هَلُمَّ و للاثنين هَلُمَّا و للجمع هَلُمُّوا
و المؤنث الواحدة هلُمّي و للاثنتين هلما و للجمع هلْمُمْنَ * و قوله
حيَّ هَلْ اي عجِّلْ يقال حيَّ هل بفلان بتسكين اللام و فتحها
و تنوينها و باثبات النون معها و منه قول ابن مسعود في عمر
رضي الله عنهما اذا ذُكر الصالحون فحيَّ هلاً بعُمَر و في حيَّ هلَ
لغات آخر اضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضعَ استيفاء شرحها *
فهذا تفسير الفاظ اللغوية * و اما تفسير الكُنى الطفيليّة و الكنايات
الصوفية فابو يحيى كنية ملك الموت * و ابو عَمْرةَ كنية الجوع
و يُكنى ايضا ابا مالك * و ابو جامع الخوان * و ابو نعيم الخُبزُ
الحُوّارى * و ابو حبيب الجدي * و ابو ثقيف الخَلُّ * و ابو عَوْنٍ
الملح * و ابو جَميل البقل * و أُمّ القِرى السكباج * و أُم جابر
الهريسة * و أم الفرج الجُوذابة * و ابو زين الخبيص * و ابو العلاء

الفالوذج * وابو اياس العسول * والسرجهان الطشت والابريق *
وابو السرو البخور *

المقامة العشرون الميافارقينية

حكى الحارث بن همام قال يممت ميافارقين * مع رفقة موافقين * لا يمارون في المناجاة * ولا يدرون ما طعم المداجاة * فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره * ولا ظعن عن اليفه وجاره * فلما انخنا بها مطايا التسيار * وانتقلنا عن الاكوار الى الاوكار * تواصينا بتذكار الصحبة * وتناهينا عن الانقطاع في الغربة * واتخذنا ناديا نعتمره طرفي النهار * ونتهادى فيه طرف الاخبار * فبينا نحن فيه في بعض الايام * وقد انتظمنا في سلك التيام * وقف علينا ذو مقول جري * وجرس جهوري * فحيى تحية نفاث في العقد * قناص للاسد والنقد * ثم قال * نظم

عندي يا قوم حديث عجيب * فيه اعتبار للبيب الاريب
رأيت في ريعان عمري اخا * بأس له حد الحسام القضيب
يقدم في المعرك اقدام من * يوقن بالفتك ولا يستريب
فيفرج الضيق بكراته * حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الاقران الا انثنى * عن موقف الطعن برمح خضيب
ولا سما يفتح مستصعبا * مستغلق الباب منيعا مهيب
الا ونودي حين يسمو له * نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها * يميس في برد الشباب القشيب
يرتشف الغيد ويرشفنه * وهولدى الكل المفدى الحبيب
فلم يزل يبتز دهره * ما فيه من بطش وعود صليب

حتى اصارته الليالي لقىً * يعافه من كان منه قريب
قد اعجز الراقيَ تحليلُ ما * به من الداء و اعيى الطبيب
و صارمَ البيض و صارَمْنَه * من بعد ما كان المجابَ المجيب
و آض كالمنكوس في خلقه * ومَن يعِشْ يلقَ دواهي المشيب
و ها هو اليوم مسجّى فمن * يرغب في تكفين ميْتٍ غريب
ثم اعلن بالنحيب * و بكى بكاء المحبّ على الحبيب * و لما رقأتْ دمعتُه * و انفثأتْ لوعتُه * قال يا نُجْعَة الرواد * و قدوة الاجواد * و الله ما نطقتُ ببُهتان * و لا اخبرتُكم الّا عن عيان * و لو كان في عصاي سير * و لغيمي مَطَرْ * لاستأثرتُ بما دعوتُكم اليه * و لما وقفت موقف الدال عليه * و لكن كيف الطيران بلا جَناح * و هل على من لا يجدُ من جُناح * قال الراوي فطفق القومُ يأتمرونَ فيما يأمُرون * و يتخافتون فيما يأتون * فتوهّمَ انهم على صرفه بحرمان * او مُطالبته ببرُهان * ففرط منه ان قال يا يلامعَ القاع * و يَرابيعَ البقاع * ما هذا الارتياء * الذي يا باه الحياء * حتى كانكم كُلّفتم مشقة * لا شُقّة * او استوهبتم بلدةً * لا بُردةً * او هُزِزتم لكسوة البيت * لا لتكفين المَيْت * أُفٍّ لمن لا تندى صَفاتُه * و لا ترشَحُ حَصاتُه * فلما بصُرت الجماعةُ بذَلاقته * و مَرارة مذاقته * رفأه كلٌّ منهم بنيله * و احتمل طَلّه خوفَ سَيله * قال الحارث بن همّام و كان هذا السائل واقفا خلفي * و محتجبا بظهري عن طرفي * فلما ارضاه القومُ بسيبهم * و حقّ عليَّ التأسّي بهم * خلعتُ خاتمي من خِنصَري * و لفتُّ اليه بصَري * فاذا هو شيخُنا السروجي بلا فِرْية * و لا مِرية * فايقنتُ انها اُكذوبةٌ تكذّبها * و اُحبولةٌ نصَبَها * الا انّني طويتُه على غرّه * و صُنتُ شَغاه عن فرّه *

فصحبته بالخاتم * و قلت ارصده لنفقة المأتم * فقال و انا لك * فما اضرم شعلتك * و اكرم فعلتك * ثم انطلق يسعى قدما * و يهرول هرولته قدما * فنزعت الى عرفان ميته * و امتحان دعوى حميته * فقرعت ظنبوبي * و اتبعت ألهوبي * حتى ادركته على غلوة * و اجتليته في خلوة * فاخذت بمجامع اردانه * و عقته عن سنن ميدانه * و قلت و الله ما لك مني ملجأ و لا منجا * او تريني ميتك المسجى * فكشف عن سراويله * و اشار الى غرموله * فقلت له قاتلك الله فما اعبثك بالنهى * و احيلك على اللهى * ثم عدت الى اصحابي عود الرائد الذي لا يكذب اهله * و لا يبرقش قوله * و اخبرتهم بالذي رأيت * و ما وريت و لا رأيت * فقهقهوا من كيت و كيت * و لعنوا ذلك الميت *

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حكى الحارث بن همام قال عنيت مذ احكمت تدبيري * و عرفت قبيلي من دبيري * بان أصغي الى العظات * و ألغي اللغو المحفظات * لاتحلى بمحاسن الاخلاق * و اتخلى مما يسم بالاخلاق * و ما زلت آخذ بهذا الادب * و اخمد به جمرة الغضب * حتى صار التطبع فيه طباعا * و التكلف له هوى مطاعا * فلما حللت بالري * و قد حللت حبى الغي * و عرفت الحي من اللي * رأيت بها ذات بكرة * زمرة اثر زمرة * و هم منتشرون انتشار الجراد * و مستنون استنان الجياد * و متواصفون واعظا يقصدونه * و يحلون ابن سمعون دونه * فلم يتكاءدني لاستماع المواعظ * و اختبار الواعظ * ان آسي اللافظ * و احتمل الضاغط * فاصحبني

اصحاب المطاوعة * وانخرطت في سلك الجماعة * حتى انضينا الى نادٍ جمع الامير والمأمور * وحشد النبيه والمغمور * وفي وسط هالته * ووسط اهلته * شيخ قد تقوس واقعنسس * وتقلنس وتطلس * وهو يصدع بوعظ يشفى الصدور * ويلين الصخور * فسمعته يقول * وقد افتتنت به العقول * ابن آدم ما اغراك بما يغرك * واضراك بما يضرك * واحجك بما يطغيك * والهجك بمن يطريك * تعنى بما يعنيك * وتهمل ما يعنيك * وتنزع في قوس تعديك * وترتدي احرص يرديك * لا بالكفاف تقتنع * ولا من الحرام تمتنع * ولا للعظات تستمع * ولا بالوعيد ترتدع * دأبك ان تتقلب مع الاهواء * وتخبط خبط العشواء * وهمك ان تدأب في الاحترات * وتجمع التراث للوراث * يعجبك التكاثر بما لديك * ولا تذكر ما بين يديك * وتسعى ابدًا لغاربك * ولا تبالي النك ام عليك * اتظن ان ستترك سدى * وان لا تحاسب غدا * ام تحسب ان الموت يقبل الرشا * او يميز بين الاسد والرشا * كلا والله يدفع المنون * مال ولا بنون * ولا ينفع اهل القبور * سوى العمل المبرور * فطوبى لمن سمع ووعى * وحقق ما ادعى * ونهى النفس عن الهوى * وعلم ان الفائز من ارعوى * وان ليس للانسان الا ما سعى * وان سعيه سوف يرى * ثم انشد انشاد وجلٍ * بصوت زجلٍ * نظم

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى * اذا سكن المثرى الثرى وثوى به
فجد في مراضى الله بالمال راضيًا * بما تقتني من اجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه * بمخلبه الاشغى يغول ونابه
ولا تامن الدهر الخؤن ومكره * فكم خاملٍ اخنى عليه ونابه

وعاصِ هوى النفس الذي ما اطاعهُ * اخو ضلّــةٍ الا هوى من عقابه
و حافظ على تقوى الاله و خوفه * لتنجوَ مما يُتّقى من عقـــابه
و لا تلهُ عن تذكار ذنبك و ابكه * بدمعٍ يضاهي الوبلَ حالَ مصابه
و مثّلْ لعينيك الحمامَ و وقعَهُ * و روعة ملقــاهُ و مطعمَ صابه
و انَّ قصارى مسكن الحي حفرة * سينزلها مســتنزلا عن قبابه
فواهًا لعبدٍ ساءهُ سوء فعلـــه * و ابدى التلافي قبل اغلاق بابه
و قال فظل القوم بين عَبْرة يُدرونها * و توبة يُظهرونها * حتى كادت الشمس تزول * والفريضة تعول * فلما خشعت الاصوات * و اتأمَ الانصات * و استكفّت العَبَرات * و العبرات * استصرخ مستصرخ بالامير الحاضر * و جعل يَجْأرُ اليه من عامله الجائر * و الامير صاغٍ الى خصمه * لاهٍ عن كشف ظلمه * فلما ايسَ من روحه * استنهض الواعظ لنُصحه * فنهض نهضة المشمّر * و انشد معرضا بالامير * نظم

عجبًا لـــراجٍ ان ينالَ ولايةً * حتى اذا ما نال بغيتَــه بغـى
يُسدي و يُلحِمُ في المظالم والعُدا * في وردهـــا طَورا و طَورا مولغا
ما ان يُبالي حين يتّبعُ الهوى * فيها ا اصلـــح دينَـــه ام اوتغا
يا ويحَـــهُ لو كان يوقن انّـــه * ما حالـــةٌ الّا تحولُ لمـــا طغا
او لو تبيّنَ ما ندامةُ مَن صغا * سمعا الى افكِ الوشاة لما صغا
فانقذ لمن اضحى الزمامُ بكفّه * و تغاضَ ان الغى الرعاية او لغا
وارعَ المرارَ اذا دعاك لرعيه * و رِدِ الاجاجَ اذا حماك السيّغا
و احمل اذاه و لو امضّك مسّه * و اسالَ غرب الدمع منك و افرغا
فليضحكنك الدهر منه اذا نبا * عنه و شبّ لكيـــده نار الوغى
و لينزلنّ به الشماتَ اذا بدا * متخلبا من شغلـــه متفـــرغا

و لتــاوين له اذا ما خــدّه * اضحى على ترب الهوان ممرّغا
هذا له و لسوف يوقف موقفا * فيه يرى ربّ الفصاحة الثغا
و ليحشرنّ اذلّ من نقع الفلا * و يحاسبنّ على النقيصة و الشغا
و يؤاخذنّ بما اجتذى ومن اجتبى * و يطالبنّ بما احتسى و بما ارتغى
و يناقشنّ على الدقائق مثل ما * قد كان يفعل بالورى بل ابلغا
حتى يعــضّ على الولاية كفّه * و يودّ لو لم يبغ منهــا ما بغى

ثم قال ايها المتوشّح بالولاية * المتوشّح للمراية * دع الادلال بدولتك * و الاغترار بصولتك * فان الدولة ريح قلّب * و القدرة برق خلّب * و انّ اسعد الرعاة من سعدت به رعيّته * و اشقاهم في الدارين من ساءت رعايته * فلاتك ممن يذر الاخرة و يلغيها * و يحب العاجلة و يبتغيها * و يظلم الرعية و يؤذيها * و اذا تولّى سعى في الارض ليفسد فيها * فوالله ما يغفل الديّان * و لا تهمل يا انسان * [و لا يلغى الاساءة و الاحسان] (†) * بل سيوضع لك الميزان * و كما تدين تدان * قال فوجم الوالي لما سمع * و امتقع لونه و انتقع * وجعل يتأفّف من الامرة * و يردف الزفرة بالزّفرة * ثم عمد الى الشاكي فاشكاه * و الى المشكو فاشجاه * و الطف الواعظ و حباه * و عزم عليه ان يغشاه * فانقلب عنه المظلوم منصورا * و الظالم محصورا * و برز الواعظ يتهادى بين رفقته * و يتباهى بفوز صفقته * و اعتقبته اخطو متقاصرا * و اريه لمحا باصرا * فلمّا استشفّ ما اخفيه * و فطن لتقلّب وجهي فيه * قال خير دليليك من ارشد * ثم اقترب مني و انشد * نظم

انا الذي تعـرفه يا حارث * حدث ملوك فكـه منافث

(†) في بعض النسخ

أطرب ما لا تُطرب المثالثُ * طورا اخو جدٍّ و طورا عابثُ
ما غيّرتني بعدك الحوادثُ * و لاالتحى عودي خَطْبُ كارثُ
و لا فرى نابيّ حدٌّ فارث * بل مخلبي بكل صيدٍ ضابثُ
و كلّ سرحٍ فيه ذئبي عائثٌ * حتى كأني للانام وارثُ
* سامُهم و حامُهم و يافثُ *

قال الحارثُ بن همّام * فقلتُ تالله انّك لابو زيد * و لقد قمتَ لله و لا عمرو بنَ عُبيدٍ * فهَشّ هشاشة (†) الكريم اذا أُمَّ * و قال اسمع يا ابنَ أُمَّ * نظم

عليك بالصدق و لو انّه * احرقك الصدقُ بنار الوعيد
و ابغ رضا الله فاغبى الورى * من اسخط المولى و ارضى العبيد

ثم انه ودّع اخدانَه * و انطلق يسحب اردانَه * فطلبناه من بعدُ بالريّ * و استنشرنا خبره من مدارج الطيّ * فما فينا من عرف قراره * و لا دري ايُّ الجراد عاره *

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحارث بن همام قال آويتُ في بعض الفترات * الى سقي الفُرات * فلقيت بها كُتّابا ابرع من بني الفُرات * و اعذبَ اخلاقا من الماء الفُرات * فاطفتُ بهم لتهذّبهم * لا لذهبهم * و كاثرتُهم لادبهم * لا لمآدبهم * فجالستُ منهم اضراب القَعْقاع بن شَوْر * و صلتُ بهم الى الكَوْر بعدَ الحَوْر * حتى انهم اشركوني في المرتع و المربَع * و احلّوني محلّ الاداة من الاصبع * و اتخذوني ابنَ أُنسهم عهد الولاية و العَزْل * و خازنَ سرّهم في الجدّ و الهزل * فاتفق

(†) فتهلل تهلل الكريم

ان نُدبوا في بعض الاوقات * لاستقراء مزارع الزِّدانات * فاختاروا من الجوارى المُنشئات * جاريةً حالكة الشيات * تحسبُها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السحاب * وتنساب في الحَباب كالحُباب * ثم دعوني الى الموافقة * واستدعوني للمرافقة * فلما توركنا على المطية الدهماء * وتبطّنا الوليّة الماشية على الماء * ألفينا بها شيخا عليه سحقُ سربال * وسبُّ بال * فعافت الجماعة محضره * وعنفت من احضره * وهمّت بابرازه من السفينة * لولا ما ثاب اليها من السكينة * فلما لمح منّا استثقال ظلّه * واستبراد طَلّه * تعرّض للمنافثة فصُمِّتَ * وحمدَل بعد ان عطس فما شُمِّتَ * فاخرد ينظر فيما آلت حاله اليه * وينتظر نصرة المَبغيّ عليه * وجلنا نحن في شجون * من جدٍّ ومُجون * الى ان اعترض ذكر الكتابتين وفضلهما * وتبيان افضلهما * فقال قائل ان كتبة الانشاء انبلُ الكتاب * ومال مائل الى تفضيل الحُسّاب * واحتدّ الحجاج * وامتد اللجاج * [واشتد الضجاج] (†) * حتى اذا لم يبقَ للجدال مطرح * ولا للمراء مسرح * قال الشيخ لقد اكثرتم يا قوم اللغط * واثرتُم الصواب والغلط * وان جليّة الحكم عندي * فارتضوا بنقدي * ولاتستفتوا احدا بعدي * اعلموا ان صناعة الانشاء ارفع * وصناعة الحساب انفع * وقلم المكاتبة خاطب * وقلم المحاسبة حاطب * واساطير البلاغات تنسخ لتُدرَس * ودساتير الحُسبانات تُنسَخ وتُدرَس * والمنشئ جُهَينة الاخبار * وحقيبة الاسرار * ونجي العظماء * وكبير الندماء * وقلمه لسان الدولة * وفارس الجولة * ولقمان الحكمة * وترجمان الهمة * وهو البشير والنذير *

(†) في بعض النسخ

و الشفيع و السفير * به تُستخلص الصياصي * و تُملك النواصي * و يقتاد العاصي * و يستدني القاصي * صاحبه بري من التبعات * آمن كيد السعاة * مقرَّظ بين الجماعات * غير معرَّض لنظم الجماعات * فلما انتهى في الفضل * الى هذا الفصل * لحظ من لمحات القوم انه ازدرع حبا و بغضا * و ارضى بعضا و احفظ بعضا * فعقّب كلامه بان قال إلّا انّ صناعة الحساب موضوعة على التحقيق * و صناعة الانشاء مبنية على التلفيق * و قلم الحاسب ضابط * و قلم المنشئ خابط * و بين إتاوة توظيف المعاملات * و تلاوة طوامير السجلّات * بون لا يدركه قياس * و لا يعتوره التباس * اذ الاتاوة تملأ الاكياس * و التلاوة تُفرّغ الرأس * و خَراجُ الاوارج يُغني الناظر * و استخراج المدارج يعني الناظر * ثم ان الحُسَبة حفظةُ الاموال * و حملة الاثقال * و النقلة الاثبات * و السفرة الثقات * و اعلام الانصاف و الانتصاف * و الشهودُ المقانع في الاخلاف * [عند اشتجار الرجال * و اشتغار الجدال] (‡) * و منهم المستوفي الذي هو يد السلطان * و قطب الديوان * و قسطاس الاعمال * و المهيمنُ على العمال * و اليه المآب في السلم و الهرْج * و عليه المدارُ في الدّخل و الخرْج * و به مناطُ الضر و النفع * و في يده رباط الاعطاء و المنع * و لو لا قلم الحساب * لاودتْ ثمرة الاكتساب * و لاتصّل التغابن الى يوم الحساب * و لكان نظام المعاملات محلولا * و جرح الظلامات مطلولا * و جيد التناصف مغلولا * و سيف التظالم مسلولا * على ان يراع الانشاء متقوّل * و يراع الحساب متأوّل * و المحاسب مُناقش * و المنشئ ابو براقش * و لكليهما حمّة حين يرقى * الى ان يلقى

(‡) في نسخة

و يُرقي * و اِعنات فيمايَنشي * حتى يُغشى و يُرشى * الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ماهم * قال الحارث بن همام فلما امتع الاسماع * بما راق و راع * استنسبناه فاسترابَ * و ابى الانتساب * و لو وجد منسابا لانساب * فحصلت من لبسه على غمة * حتى اذكرتُ بعد امّة * فقلت و الذي سخّر الفلك الدوار * و الفلك السيّار * اني لاجد ريحَ ابي زيد * و ان كنتُ اعهده ذا رواء و ايد * فتبسّم ضاحكا من قولي * و قال انا هو على استحالة حالي و حولي * فقلت لاصحابي هذا الذي لايفرى فريّهُ * و لا يُبارى عبقريه * فخطبوا منه الود * و بذلوا له الوُجد * فرغِبَ عن الالُفة * و لم يرغب في التحفة * و قال اما بعد ان سحقتم حقي * لاجل سحقي * و كسفتم بالي * لاخلاق سربالي * فما اراكم الا بالعين السخينة * و لا لكم مني الا صحبة السفينة * ثم انشد * نظم

اسمع اخيَّ وصيةً من ناصح * ما شاب محضَ النُّصح منه بغشّه
لا تعجلَنْ بقضيّةٍ مبتوتةٍ * في مدح من لم تبله او خدشه
وقف القضيّة فيه حتى تجتلي * وصفَيه في حالَي رضاه و بطشه
و يبينَ خُلَّبُ برقه من صدقه * للشائمين و وبله من طشّه
فهناك ان ترما يشينُ فواره * كرما و ان ترّما يزينُ فافشه
و من استحق الارتقاء فرقّه * و من استحطّ فحطّه في حشّه
و اعلم بان التبر في عِرق الثرى * خاف الى ان يستثار بنبشه
و فضيلةُ الدينار يظهر سرّها * من حكّه لا من ملاحة نقشه
و من الغباوة ان تعظّم جاهلا * لصقال ملبسه و رونق رقشه
او ان تُهين مهذّبا في نفسه * لدروس بزّته و رثّة فرشه
و لَكَمْ اخي طمرين هيبَ لفضله * و مفوّف البردين عِيبَ لفحشه

واذا الفتى لم يغش عارا لم تكن * اسماله الا مراقي عرشه
ما ان يضرّ العضب كون قرابه * خلقا ولا البازي حقارة عشّه

ثم ما عتّم ان استوقف الملّاح * وصعد من السفينة وساح * فندم كل منا على ما فرّط في ذاته * واغضى جفنه على قذاته * وتعاهدنا على ان لا نحتقر شخصا لرثاثة برده * وان لا نزدري سيفا مخبوًّا في غمده *

المقامة الثالثة والعشرون الحريمية

حكى الحارث بن همام قال نبا بي مألف الوطن * في شرخ الزمن * لخطب خشي * وخوف غشي * فارقت كأس الكرى * ونصصت ركاب السرى * وجبت في سيري وعورا لم تدمثها الخطا * ولا اهتدت اليه القطا * حتى وردت حمى الخلافة * أحرم العاصم من المخافة * فسروت لباس الروع والاستشعار * وتسربلت لباس الامن وشعاره * وقصرت همّي على لذة اجتنيها * وملحة اجتليها * فبرزت يوما الى الحريم لاروض طرفي * واجيل في طرفه طرفي * فاذا فرسان متتالون * ورجال متثالون * وشيخ طويل اللسان * قصير الطيلسان * قد لبّب فتى جديد الشباب * خلق الجلباب * فركضت إثر النظّارة * حتى وافينا باب الامارة * وهناك صاحب المعونة متربّعا في دسته * ومروّعا بسمته * فقال له الشيخ اعز الله الوالي * وجعل كعبه العالي * اني كفلت هذا الغلام فطيما * وربّيته يتيما * ثم لم آله تعليما * فلما مهر وبهر * جرّد سيف العدوان وشهر * ولم اخله يلتوي عنّي ويتقنّع * حين يرتوي منّي وينتقع * فقال له الفتى

عَلامَ عثرتَ مني * حتى تنشُر هذا الخِزي عذى * فوالله ما سترتُ وجه بِرِّك * و لا هتكتُ حجاب سرك * و لا شققتُ عصا امرك * و لا الغيتُ تلاوةَ شكرك * فقال له الشيخ ويلك و أيُّ ريب اخزى من ريبك * و هل عيب افحشُ من عيبك * و قد ادَّعيت سِحري و استلحقته * و انتحلتَ شِعري و استرقته * و استراق الشعر عند الشعراء * افظع من سرِقَةِ البيضاء والصفراء * و غيرُتهم على بذات الافكار * كغيرتهم على البذات الابكار * فقال الوالي للشيخ و هل حين سرِق سلَخ * ام مسَخ ام نسَخ * فقال و الذي جعل الشعر ديوان العرب * و تُرجمانَ الادب * ما احدث سوى ان بتَّرشملَ شرحه * و اغار على ثلثي سرحه * فقال انشد ابياتك برُمَّتها * ليتضِح ما احتازه من جملتها * فانشد * نظم

يا خاطبَ الدنيا الدنيةِ إنها * شرَكُ الرَّدى و قرارةُ الاكدار
دارٌ متى ما اضحكَتْ في يومها * ابكتْ غداً بعداً لها من دار
و اذا اظلَّ سحابُها لم ينتقع * منه صدًى لجَهامِهِ الغرَّار
غاراتُها ما تنقضي و اسيرها * لا يفتدى بجلائل الاخطار
كم مُزدهًى بغرورها حتى بدا * متمردا متجاوزَ المقدار
قلَبَتْ له ظهرَ المجنِّ و اَولغَتْ * فيه المُدى و نزتْ لاخذ الثار
فاربأ بعمرك ان يمرَّ مُضيَّعا * فيها سُدًى من غير ما استظهار
و اقطع علائق حبها و طِلابها * تلقَ الهُدى و رفاهةَ الاسرار
و ارقُبْ اذا ما سالمتْ من كيدها * حربَ العِدى و توثُّب الغدار
و اعلم بانَّ خطوبَها تفجا و لو * طال المَدى و وَنَتْ سُرى الاقدار

فقال له الوالي ثم ماذا * صنَع هذا * قال اقدَم للُؤمه في الجزاء * على ابياتي السُّداسيَّة الاجزاء * فحذَف منها جزئين * و نقص

من اوزانها وزنين * حتى صار الرزء فيها رزئين * فقال بين ما
اخذ * و من اين فلذ * فقال أرعني سمعك * و أخل للتفهم عني
ذرعك * حتى تتبين كيف اصلت علي * و تقدر قدر اجترامه
الي * ثم انشد * و انفاسه تتصعد * نظم

يا خاطب الدنيا الدنيـ*ـة انها شرك الردى
دار متى ما اضحكت * في يومها ابكت غدا
واذا اظل سحابها * لم ينتقع منه صدى
غاراتها ما تنقضي * و اسيرها لا يفتدى
كم مزدهى بغرورها * حتى بدا متمردا
قلبت له ظهر المجـ*ـن و اولغت فيه المدى
فاربأ بعمرك ان يمـ*ـر مضيعا فيها سدى
و اقطع علائق حبها * و طلابها تلق الهدى
و ارقب اذا ما سالمت * من كيدها حرب العدى
و اعلم بان خطوبها * تفجا و لو طال المدى

فالتفت الوالي الى الغلام * و قال تبا لك من خريج مارق * و تلميذ سارق * فقال الفتى برئت من الادب و بنيه * و لحقت بمن يناويه * و يقوض مبانيه * ان كانت ابياته نمت الى علمي * قبل ان الفت نظمي * و انما اتفق توارد الخواطر * كما قد يقع الحافر على الحافر * قال فكأن الوالي جوّز صدق زعمه * فندم على بادرة ذمه * و ظل يفكر فيما يكشف له عن الحقائق * و يميز به الفائق من المائق * فلم ير الا اخذهما بالمناضلة * و الزامهما في قرن المساجلة * فقال لهما ان اردتما افتضاح العاطل * و اتضاح الحق من الباطل * فتراسلا في النظم و تباريا * و تجاريا

في حلبة الاجازة و تجاريا * ليهلك من هلك عن بينة * و يحيى من حيَّ عن بيِّنة * فقال له بلسان واحد * و جواب متوارد * قد رضينا بسبرك * فمُرنا بامرك * فقال اني مولع من انواع البلاغة بالتجنيس * و اراه لها كالرَّئيس * فانظما الان عشرة ابيات تلحمانها بوَشْيه * و تُرصِّعانها بحَلْيه * و ضمِّناها شرحَ حالي * مع إلفٍ لي * بديع الصفة * أَلْمَي الشفَة * مليح التثنِّي * كثير التيه و التجنِّي * مُغرًى بتناسي العهد * و إطالة الصدّ * و اخلاف الوعد * و انا له كالعبد * قال فبرز الشيخ مجلِّيا * و تلاه الفتى مُصلِّيا * و تجاريا بيتا فبيتا على هذا النَّسق * الى ان كمُل نظم الابيات و اتَّسق * و هي * نظم

و احوى حوى رِقِّي برقَّة لفظه * و غادرني إِلفَ السُّهاد بغَدره
تصدَّى لقتلي بالصدود وانني * لفي أَسره مذ حاز قلبي باسره
أُصدِّقُ منه الزورَ خوفَ ازوِراره * و ارضى استماعَ الهُجر خَشيةَ هجره
و استعذب التعذيب منه و كلما * اجد عذابي جدَّ بي حبُّ برِّه
تناسى ذِمامي و التناسي مذمَّة * و احفَظ قلبي و هوَ حافظُ سره
واعجب ما فيه التباهي بعجبه * و اكبَرهُ عن ان افوهَ بكبره
له مني المدحُ الذي طاب نشرُهُ * ولي منه طيُّ الود من بعد نشره
و لو كان عدلا ماتجنَّى وقد جنى * عليَّ وغيري يجتني رشفَ ثغره
و لولا تثنِّيه ثنيتُ اعنَّتي * بدارا الى من اجتلي نُور بدره
واني على تصريف امري و امره * اري المُرَّ حلوا في انقيادي لامره

فلما انشداها الوالي مترا سلين * بُهِتَ لذكائهما المتعادلين * و قال اشهد بالله انكما فرقدا سماء * و كزَنْدين في وعاء * و ان هذا الحدث لينفِقُ مما آتاه الله * و يستغني بوُجده عمن سواه * فتنب

ايها الشيخ من انامه * و ثب الى اكرامه * فقال الشيخ هيهات
ان تراجعه مقتي * او تعلق به ثقتي * وقد بلوت كفرانه للصنيع *
و منيت منه بالعقوق الشنيع * فاعترضه الفتى و قال يا هذا ان
الاحتياج شؤم * والحنق لؤم * وتحقيق الظنة اثم * واعنات البرئ
ظلم * و هبني قارفت جريرة * او اجترحت كبيرة * اما تذكر ان
انشدتني لنفسك * في ابان انسك * نظم

سامح اخاك اذا خلط * منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه * ان زاغ يوما او قسط
و احفظ صنيعك عنده * شكر الصنيعة ام غمط
واطعه ان عاصى و هن * ان عز وادن اذا شحط
واقن الوفاء و لو اخـ * ـل بما اشترطت و ما اشترط
و اعلم بانك ان طلبـ * ـت مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قـ * ـط و من له الحسنى فقط
او ما ترى المحبوب و المـ * ـكروه لزا في نمط
كالشوك يبدو في الغصو * ن مع الجني الملتقط
و لذاذة العمر الطو * يل يشوبها نغص الشمط
و لو انتقدت بني الزما * ن وجدت اكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل * و يحملق حملقة
البازي المطل * ثم قال و الذي زين السماء بالشهب * و انزل الماء
من السحب * ما روغي عن الاصطلاح * الا لتوقي الافتضاح * فان
هذا الفتى اعتاد ان امونه * و اراعي شؤونه * و قد كان الدهر يسح
فلم اكن اشح * فاما الان فالوقت عبوس * وحشو العيش بوس *
حتى ان بزتي هذه عارة * و بيتي لا تطور به فارة * قال فرق لمقالهما

قلب الوالي * و اوى لهما من غير الليالي * و صبا الى اختصاصهما بالاسعاف * و امر النظارة بالانصراف * قال الراوي و كنت متشوفا الى مرأى الشيخ لعلّي اعلم علمه * اذا عاينت وسمه * و لم يكن الزحامُ يسفر عنه * و لا يفرج لي فادنو منه * فلما تقوّضت الصفوف * و اجفل الوقوف * توسمتهُ * فاذا هو ابو زيد و الفتى فتاه * فعرفتُ حينئذ مَغْزاه فيما اتاه * و كدتُ انقضّ عليه * لاستعرفَ اليه * فزجرني بايماض طرفه * و استوقفني بايماء كفّه * فلزمت موقفي * و اخرتُ مُنصرَفي * فقال الوالي ما مرامك * و لايما سبب مقامك * فابتدره الشيخُ و قال انه انيسي * و صاحب ملبوسي * فتسمّح عند هذا القول بتانيسي * و رخّص في جلوسي * ثم افاض عليهما خلعتين * و وصلهما بنصاب من العين * و استعهدهما ان يتعاشرا بالمعروف * الى اظلال اليوم المخوف * فنهضا من ناديه * مُشيدَيْن بشكر اياديه * و تبعتهما لاعرف مثواهما * و اتزوّد من نجواهما * فلما اجزنا حمى الوالي * و افضينا الى الفضاء الخالي * ادركني احد جلاوزته * مهيبا الى حوزته * فقلت لابي زيد ما اظنّه استحضرني * الا ليستخبرني * فما ذا اقول * و في اي واد معه اجول * فقال بيّن له غباوة قلبه * و تلعابي بلبّه * ليعلم ان ريحه لاقت اعصارا * و جدوله صادف تيّارا * فقلت اخاف ان يتّقدَ غضبه * فيلفحك لهبه * او يستشري طيشه * فيسري اليك بطشه * فقال اني ارحل الان الى الرُّها * و انى يلتقي سهيل و السها * فلما حضرتُ الوالي و قد خلا مجلسه * و انجلى تعبُّسُه * اخذ يصف ابا زيد و فضله * و يذم الدهر له ثم قال نشدتك الله الست * الذي اعاره الدست * فقلت

لا و الذي اجلسك في هذا الدست * ما انا بصاحب ذلك الدست * بل انت الذي تم عليه الدست * فازورّت مقلتاه * و احمرت وجنتاه * و قال و الله ما اعجزني قط فضح مريب * و لا تكشيفُ مَعيب * و لكن ما سمعت بان شخصا دلس * بعد ما تطلّس * فبهذا تم له ان لبس فما * كنية ذلك القُرَيد * فقلت ابو زيد * فقال انه بابي كيد * اليق منه بابي زيد * افتدري اين سكَع * ذلك اللكَع * قلت لما ملكه التعدي طوره * فظعن عن بغداد من فوره * فقال لا قرب الله له نوى * و لا كلأه اين ثوى * فما زاولت اشد من نكره * و لا ذقت امر من مكره * و لو لا حرمة ادبه * لاوغلت في طلبه * الى ان يقَع فاوقع به * و اني لاكره ان تشيع فعلته * بمدينة السلام * فافتضح بين الانام * و تحط مكانتي عند الامام * و اصير ضُحكة الخاص و العام * فعاهدني على ان لا افوه بما اعتمد * ما دمتُ حِلاً بهذا البلد * قال الحارث بن همام فعاهدته معاهدة من لا يتاوّل * و وفيتُ له كما وفى السموأل *

المقامة الرابعة و العشرون
القطيعية

حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع * في اِبّان الربيع * فتية وجوههم ابهج من انواره * و اخلاقهم ابهى من ازهاره * و الفاظهم ارق من نسيم اسحاره * فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر * و يغني عن رنات المزاهر * و كنا تقاسمنا على حفظ الوداد * و حظر الاستبداد * و ان لا ينفرد احدنا بالتذاذ * و يستاثر و لو برذاذ *

فاجتمعنا في يوم سما تجهُّمُه * ونما دجنُه * وحكم بالاصطباح مُزنه * على ان نلتهي بالخروج * الى بعض المُروج * لنسرح النواظر * في الرياض النواضر * ونصقُلَ الخواطر * بشَيم المواطر * فبرزنا ونحن كالشهور عدَّة * وكُندماني جَذيمةَ مودَّة * الى حديقة اخذت زُخرُفَها وازَّينت * وتنوَّعت ازاهيرها وتلوَّنت * ومعنا الكُميت الشَّموس * والسُّقاة الشُّموس * والشادي الذي يُطرِبُ السامعَ ويلهيه * ويَقري كلَّ سمع ما يشتهيه * فلما اطمأنَّ بنا الجلوس * ودارت علينا الكؤس * وَغَلَ علينا ذِمْر * عليه طِمْر * فتجهَّمناه تجهُّم الغِيد الشِّيب * ووجدنا صفوَ يومنا قد شِيب * الا انه سلَّم تسليم أُولي الفهم * وجلَس يفضُّ لطائم النثر والنظم * ونحن ننزوي من انبساطه * ونتبرى لطيِّ بساطه * الى ان غنى شادينا المُغرب * ومُغرِّدُنا المطرب * نظم

إلامَ سعادُ لا تصلين حبلي * ولا تأوين لي مما أُلاقي

صبرت عليكِ حتى عِيلَ صبري * وكادت تبلُغ الروحُ التراقي

وهاانا قد عزمت على انتصافٍ * أُساقي فيه خِلّي ما يُساقي

فان وَصْــلاً أَلَــذُّ به فوصلٌ * وان صُرْماً فصُرْم كالطلاق

قال فاستفهمنا العابث بالمثاني * لم نصب الوصل الاول ورفع الثاني * فاقسم بتربة ابويه * لقد نطق بما اختاره سِيبَوَيْه * فتشعَّبتْ حينئذ آراء الجمع * في تجويز النصب والرفع * فقالت فرقة رفعُهما هو الصواب * وقالت طائفة لا يجوز فيهما الا الانتصاب * واستعجم على آخرين الجواب * واستعر بينهم الاصطخاب * وذلك الوغل يُبدي ابتسام ذي معرفة * وان لم يفه ببنت شَفَة * حتى اذا سكنت الزماجر * وصمت المزجورُ والزاجر * قال يا قوم

انا أُنَبِّئُكم بتاويله * و أَميِّز صحيح القول من عليله * انه لا يجوز رفع الوصلين و نصبهما * و المغايرة في الاعراب بينهما * و ذلكم بحسب اختلاف الاضمار * والتقدير المحذوف في هذا المضمار * قال فمَرط من الجماعة إفراط في مُمارانه * و انخراط الى مباراته * فقال اما اذا دعوتم نزال * و تلبَّبتم للنضال * فما كلمة هي ان شئتم حرف محبوب * او اسم لما فيه حرف حلوب * و اي اسم يتردَّد بين فرد حازم * و جمع ملازم * و اَيَّة هاء اذا التحقت اماطت الثقل * و اطلقت المعتقل * و اين تدخل السين فتعزل العامل * من غير ان تجامل * و ما منصوب ابدا على الظرف * لا يخفضه سوى حرف * و اي مضاف اخلَّ من عُرَى الاضافة بعُروة * و اختلاف حكمه بين مساء و غُدوة * و ما العامل الذي يتَّصل آخره باوله * و يعمل معكوسه مثل عمله * و اي عامل نائبه ارحب منه وكرا * و اعظم مكرا * و اكثر لله تعالى ذكرا * و في اي موطن يلبس الذُكران * براقع النسوان * و تبرز ربَّات الحجال * بعمائم الرجال * و اين يجب حفظ المراتب * على المضروب و الضارب * و ما اسم لا يفهم الا بالاستضافة كلمتين * او الاقتصار منه على حرفين * و في وضعه الاول التزام * و في الثاني الزام * و ما وصف اذا رُدِف بالنُون * نقص صاحبه في العيون * و قُوِّم بالدُون * وخرج من الزبون * و تعرض للهُون * فهذه ثنتاعشرة مسئلة وفق عددكم * و زنة لددكم * و لو زدتم زدنا * و ان عدتم عدنا * قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من احاجيه اللاتي هالت * لما انهالت * ما حارت له الافكار و حالت * فلما اعجزنا العوم في بحره * و استسلمت تمائمنا لسحره * عدلنا من استثقال الرؤية

له الى استنزال الرواية عنه * و من بغي التبرمُ به الى ابتغاء
التعلُّم منه * فقال و الذي نزَّل النحو فى الكلام * منزلة الملح
فى الطعام * و حجَب مَطالعَه عن بصائر الطغام * لا انلتكم
مراما * و لا شفيت لكم غراما * او تُخوِّلَني كُلُّ يد * و يختصَّني
كل منكم بيد * فلم يبقَ فى الجماعة الا من اذعن لحكمه *
و نبَذَ اليه خُبأةَ كُمِّه * فلما حصله تحت وكائه * اضرم
شعلة ذكائه * فكشَف حينئذ من اسرار أَلغازه * و بدائع اعجازه
ما جلا به صدأ الاذهان * و جلّى مطلعه بنور البرهان * قال
الراوي فَهِمْنا * حين فَهِمْنا * و عجبنا * اذ أُجبنا * و ندِمنا * على
ما ندَّ منا * و اخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكياس * و نعرض عليه
ارتضاع الكاس * فقال مأرب لا حفاوة * و مشرب لم يبقَ له عندي
حلاوة * ثم شمخ بانفه صلفا * و نأى بجانبه انفا * و انشد * نظم

نهاني الشيب عما فيه افراحي * فكيف اجمع بين الراح والراح
و هل يجوز اصطباحي من مُعتَّقة * و قد انار مشيبُ الرأس اصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت * روحي بجسمي والفاظي بافصاحي
و لا اكتستْ لي بكاسات السُّلاف يد * و لا اجلتُ قداحي بين اقداح
و لا صرفتُ الى صرفٍ مشعشعة * همّي و لا رحتُ مُرتاحا الى راح
و لا نظمت على مشمولة ابدا * شملي و لا اخترت ندمانا سوى الصاح
محا المشيب مراحي حين خط على * رأسي فابغض به من كاتب ماح
و لاح يلحى على جرّى العنان الى * مَلهيً فسحقًا له من لائح لاحي
و لو لهوت و فَودي شائب لخبا * بين المصابيح من غسّانَ مصباحي
قوم سجاياهمُ توقيرُ ضيفهم * والشيب ضيف له التوقير يا صاح

قال ثم انه انساب انسياب الايم * و اجفل اجفال الغيم * فعلمت انه

سراج سروج * و بدر الادب الذي يجتابُ البروج * وكان قُصارانا التحرّق لبعْده * و التفرّق من بَعْده *

تفسير ما اودع هذه المقامة من النكت الغريبة و الاحاجي المحجوبة *

اما صدر البيت الاخير من الاغنية الذي هو فان وصلاً الذ به فوصل فانه نظير قولهم المرء مجزيٌّ بعمله ان خيرا فخير و ان شرا فشر * و هذه المسئلة اودعها سيبويه كتابه و جوّز في إعرابها اربعة اوجه * احدها و هو اجودها ان تنصبَ خيرا الاولَ و ترفَع الثاني و تنصِبَ شرا الاول و ترفعَ الثاني و يكون تقديره ان كان عملُه خيرا فجزاءه خير و ان كان عمله شرا فجزاءه شر فينتصب الاول على انه خبرُ كان و يرتفع الثاني على انه خبر مبتدأ محذوف و قد حذفتَ في هذا الوجه كان و اسمَها لدلالة حرف الشرط الذي هو ان على تقديرهما و حذفتَ ايضا المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقُع بعدها * و الوجه الثاني ان تنصبَهما جميعا و يكون تقديرُ الكلام ان كان عملُه خيرا فهو يُجزى خيرا و ان كان عملُه شرا فهو يُجزى شرا فينتصب الاول على انه خبر كان و ينتصِب الثاني انتصابَ المفعول به * و الوجه الثالث ان ترفعهما جميعا و يكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خيرُ الاول على انه اسم كان و يرتفع خيرُ الثاني لانه خبرُ مبتدأ محذوف على ما بُيّن في شرح الوجه الاول و قد يجوز ان يرتفع خيرُ الاول على انه فاعل كان و تجعل كان المقدَّرة ههنا هي التامة التي تاتي بمعنى حدَث و وقَع فلا تحتاج الى خبرٍ كقوله تعالى و ان كان ذو عُسرةٍ *

و يكون التقدير في المسئلة ان كان خيرٌ فجزاءه خيرٌ اي ان حدث خير فجزاءه خير * و الوجه الرابع و هو اضعفها أن ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث و تنصب الثاني على ما بُيِّن ذكره في الوجه الثاني و يكون التقدير ان كان في عمله خير فهو يجزى خيرا و على حسب هذا التفسير و المقدرات المحذوفات فيه يجري اعراب البيت الذي غُنِّيَ به و مما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف و ان خنجرا فخنجر * و اما الكلمة التي هي حرفٌ محبوبٌ او اسم لما فيه حرف حَلوب فهي نعم ان اردتَّ بها تصديقَ الاخبار او العدة عند السوأل فهي حرف و ان عنيتَ بها الابل فهي اسم * والنعم تُذكَّرُ وتُؤنَّثُ و تنطلِقُ على الابل و على كلّ ماشية فيها إبل و في الابل الحرف و هي الناقة الضامرة سمِّيتْ حرفا تشبيها لها بحرف السيف و قيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل * و اما الاسم المتردّد بين فردٍ حازم و جمعٍ ملازم فهو سراويلُ قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فردٌ و كنى عن ضمّه الخصْرُ بانه حازم وقال آخرون بل هو جمع و واحده سروال مثل شِمْلالٍ و شماليل فهو على هذا القول جمع و معنى قوله ملازم اى لا ينصرف و انما لم ينصرف هذا النوع من الجمع و هو كل جمع ثالثه الف بعدها حرف مشدد او حرفان او ثلثة اوسطها ساكن لثقله و تفرّده دون غيره من الجموع بان لا نظير له في الاسماء الاحاد و قد كنى في هذه الأُحجيّة عما لاينصرف بالملازم * و اما الهاء التي اذا الحقتْ اماطت الثقَلَ و أطلقت المُعتقَل فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدّم ذكرُه مثل صيارفٍ و

صياقلة فينصرف هذا أجمع عند التحاق الهاء به لانها قد اصارته الى مثال الآحاد نحو رفاهية و كراهية فخفّ بهذا السبب و صُرِفَ لهذه العلة و قد كفى في هذه الاحجية عما لاينصرف بالمعتقل كما كنى في التي قلبها عما لاينصرف بالملازم * و اما السينُ التي تعزِلُ العاملَ من غير ان تجامِل فهي التي اذا دخلتْ على الفعل المستقبلَ و فصلَت بينه و بين اَنِ التي كانت قبل دُخولها من ادوات النصب فيرتفع حينئذٍ الفعل و ينتقل ان عن كونها الناصبةَ للفعل الى ان تصير المخفَّفة من الثقيلة و ذلك كقوله سبحانه علِمَ اَنْ سيكون منكم مرضى و تقديره علم انَّه سيكونُ * و اما المنصوب على الظرف الذي لا يُخفِضه سوى حرف فهو عند اذ لا يُجُرُّه غيرُ من خاصَّة و قولُ العامة ذهبتُ الى عنده لحْنٌ * و اما المضافُ الذي اخلَّ من عُرَى الاضافة بعُروةٍ * و اختلف حكمه بين مساء و غُدوه * فهو لَدُنْ و لَدُنْ من الاسماء الملازمة للاضافة و كل ما يأتي بعدها فمجرور بها الا غُدوةً فان العرب نصبَتْها بلَدُنْ لكثرة استعمالهم أياها في الكلام ثم نوَّنتها ايضا لتبيَّن بذلك انها منصوبة لا انها من نوع المجرورات التي لا تنصرِف * و عند بعض النحويين ان لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا و هو ان عند يشتمل معناها على ما هو في مُلكتك و مُكنتك مما دنا منك و بعُدَ عنك و لدُنْ يختصُّ معناها بما حضرك و قرُبَ منك * و اما العامل الذي يتَّصِل آخره باوَّله و يعمل معكوسُه مثل عملَه فهو يا و معكوسها اَيْ و كلتاهما من حروف النداء و عملُهما في الاسم المنادى سِيَّان و ان كانت يا اجْوَلَ في الكلام و اكثر في الاستعمال و قد اختار بعضُهم ان يُنادى بأيْ القريب فقط كالهمزة * و اما

العامل الذي نائبه ارحب منه وَكْرًا و اعظم مكرا و اكثر لله تعالى ذكرا فهو باء القسم * و هذه الباء هي اصلُ حروف القَسَم بدلالة استعمالها مع ظُهور فعل القَسَم في قولك أُقسم بالله و لدخولها ايضا على المضمر في قولك بك لافعلنَّ ثم قد أُبدلت الواوُ منها في القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لان الواو تفيد الجمع و الباء تفيد الالصاق و المعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدَلة من الباء أَدْوَرَ في الكلام و اعلق بالاقسام و لهذا الغز بانها اكثر لله تعالى ذكرا ثم ان الواو اكثرُ موطنا من الباء لان الباء لا تدخُلُ الا على الاسم و لا تعمَلُ غير الجر و الواوَ تدخُلُ على الاسم و الفعل و الحرف و تَجُرُّ تارة بالقسم و تارة باضمار رُبَّ و تنتظم ايضا مع نواصب الفعل و ادوات العطف فلهذا وصفها برُحْب الوكر و عُظم المكر * واما الموطنُ الذي فيه يلبس الذُّكرانُ براقعَ النسوان و تبرُزُ ربَّاتُ الحِجال بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد المضاف و ذلك ما بين الثالثة الى العشرة فانه يكونُ مع المذكر بالهاء و مع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخَّرها عليهم سبْعَ ليال و ثمانية ايام حُسُوما * و الهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنَّث مثل قائم و قائمة و عالم و عالمة فقد رأيتَ كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر و المونث حتى انقلب كل منهما في غير (†) قالبه * و برز في بِزَّة صاحبه * و اما الموضع الذي يجِبُ فيه حفظ المراتب على المضروب و الضارب فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الاعراب فيهما او في احدهما و ذلك اذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى او من اسماء

(†) ضد

الاشارة نحو ذاك و هذا فيجب حينئذ لازالة اللبس اقرارُ كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه و المفعول بتاخره * و اما الاسم الذي لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين فهو مهما و فيها قولان احدهما انها مركبة من مَهْ التي بمعنى اُكْفُفْ و من ما والقول الثاني وهو الصحيح ان الاصل فيها ما فزيدت عليها ما اخرى كما تزاد على ان فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فابدلوا من الالف الاولى هاء فصارتا مهما و مهما من ادوات الشرط و الجزاء و متى لفظت بها لم يتم الكلام و لا عُقِلَ المعنى الا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل و تكون حينئذ ملتزما للفعل و ان اقتصرت منها على حرفين و هما مه التي بمعنى اكفف فُهِمَ المعنى و كنتَ ملزما مَنْ خاطبتَه ان يُكفَّ * و اما الوصف الذي اذا رُدِفَ بالنون نقص صاحبُه في العيون وقُوِّمَ بالدُّون و خرج من الزبون و تعرَّض للهون فهو ضيف * اذا لحقته النون استحال الى ضيفَنٍ و هو الذي يتبع الضيف * و يتنزَّل في النقد منزلة الزيف *

المقامة الخامسة والعشرون

الكرجية

حكى الحارث بن همام قال شتوت بالكَرَجِ لدَيْن اقتضيه * و اَرَب اقضيه * فبلوتُ من شتائها الكالح * و صِرِّها النافح * ما عرفني جَهد البلاء * و عكَفَ بي على الاصطلاء * فلم اكن اُزايل وِجاري * و مستوقَد ناري * الا لضرورة اُدفع اليها * او اقامة جماعة احافظ عليها *

فاضطُررتُ في يوم جوّه مُزمهِرّ * و دجنه مُكفهِرّ * الى ان برزتُ من كِناني * لمهمّ عناني * فاذا شيخ عاري الجِلدة * بادي الجُردة * و قد اعتمّ بريطةٍ * و استثفر بفُويطة * و حواليه جمع كثيف الحواشي * و هو يُنشِد و لا يُحاشي * نظم

يا قوم لا ينبئكم عن فقري * اصدقُ من عُريي اوان القُرّ
فاعتبروا بما بدا من ضُرّي * باطنَ حالي و خفيّ امري
و حاذروا انقلابَ سِلم الدهر * فانني كنتُ نبيهَ القدْر
آوي الى وفرٍ و حدّ يفري * تُفيد صُفري و تُبيد سُمري
و تشتكي كُومي غداةَ اقري * فجرّدَ الدهرُ سيوفَ الغدر
و شنّ غاراتِ الرزايا الغُبْر * و لم يزلْ يسحتني و يبري
حتى عفتْ داري وغاضَ درّي * و بار سعري في الورى و شعري
و صرتُ نضوَ فاقةٍ و عُسرٍ * عاري المطا مجرّدًا من قشري
كانني المغزلُ في التعرّي * لا دفءَ لي في الصنّ والصِنَّبْر
غيرُ التضحّي و اصطلاءِ الجمر * فهل خضمٌّ ذو رداءٍ غُمْر
يسترُني بمطرفٍ او طِمْر * طلابَ وجهِ الله لا لشكري

ثم قال يا ارباب الثَّرآء * الرافلين في الفِرآء * من اوتي خيرا فليُنفق * و من استطاع ان يرفق فليرفق * فان الدنيا غُدُور * و الدهرُ عثُور * و المكنةُ زورةُ طيف * و الفرصةُ مُزنةُ صيف * و اني و الله لطالما تلقّيت الشتاء بكافاته * و اعددت الاهُبَ له قبل موافاته * و ها انا اليومَ يا سادتي * ساعدي وِسادتي * و جِلدتي * بردتي * و حفنتي * جفنتي * فليعتبر العاقل بحالي * و ليُبادر صرف الليالي * فان السعيد من اتّعظ بسواه * و استعدّ لمسراه * فقيل له قد جلوت علينا ادبك * فاجلُ لنا نسبك * فقال تبًّا لمفتخر * بعظم

نُخر * انما الفخر بالتُّقى * و الادب المُنتقى * ثم انشد * نظم

لعمرك ما الانسان الا ابنُ يومه * على ما تجلّى يومهُ لا ابنُ امسه
و ما الفخر بالعظم الرميم وانما * فَخارُ الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم انه جلس مُحقَوقفا * و اجْرَنْثَمَ مُقفقِفا * و قال اللهمَّ يا من غَمَر بطَوله * و امر بسؤاله * صلّ على محمد و آله * و اَعِذْني على البرد و اهواله * و اتِحْ لي حُرًّا يُؤثِرُ من خصاصة * و يُواسي و لو بُقصاصة * قال الراوي فلما جلّى عن النفس العصامية * و المُلَح الاصمعيّة * جعلت مَلامِح عيني تعجُمه * و مرامي لحظي ترجُمه * حتى استبنت انه ابو زيد * و ان تعرّيه اُحبولة لصيد * و لمح هو ان عِرفاني قد ادركه * و لم يامَنْ ان يهتكه * فقال اُقسم بالسمَر و القمَر * و الزُّهْر و الزَّهَر * انه لن يسترني الا من طاب خِيمُه * و اُشرِبَ ماء المروة اديمُه * فعقلت ما عناه * و ان لم يدر القوم معناه * و ساءني ما يُعانيه من الرِّعدة * و اقشعرار الجلدة * فعمدت لفروة هي بالنهار رِياشي * و في الليل فراشي * فنضوتُها عني * و قلت له اقبلها مني * فما كذّب ان افتراها * و عيني تراها * ثم انشد * نظم

لله من اَلْبسنــي فَـروةً * اضحت من الرعدة لي جُنّة
البسنيها واقيا مُهجتــي * وُقي شرَّ الانس و الجِنّـه
سيكتسي(†) اليوم ثنائي و في * غد سيكتسي سُندس الجَنّه

قال فلما فتن قلوب الجماعة * بافتنانه في البراعة * القوا عليه من الفراء المغشّاة * و الجِباب الموشّاة * ما آده ثقله * و لم يكد يَقلّه * فانطلق مستبشرا بالفرَج * مستسقيا للكرَج * و تبعته الى حيث

(†) سيلبس *

ارتفعت الدجنة * و بدت السماء نقية * فقلت له لشد ما قرسك البرد * فلا تتعرّ من بعد * فقال ويك ليس من العدل * سرعة العذل * فلا تعجلنّ بلوم هو ظلم * و لا تقف ما ليس لك به علم * فو الذي نوّر الشيبة * و طيّب تربة طيبة * لو لم اتعرّ لرحتُ بالخيبة * و صفر العيبة * ثم نزع الى الفرار * و تدرّع بالاكفهرار * و قال اما تعلم ان شنشنتي الانتقال من صيد الى صيد * و الانعطاف من عمرو الى زيد * و اراك قد عُقتني * و عقعقتني * و افتنّي * اضعاف ما افدتني * فاعفني عافاك الله من لغوك * و اسدد دوني باب جدك و لهوك * فجبذته * جبذ التلعابة * و جعجعت به للدعابة * و قلت له و الله لو لم اوارك * و أغط على عوارك * لما وصلت الى صلة * و لا انقلبت اكسى من بصلة * فجازني عن احساني اليك * و سترى لك و عليك * بان تسمح لي ببرد الفروة * او تعرّفني كافات الشتوة * فنظر اليّ نظر المتعجب * و ازمهرّ ازمهرار المتغضب * ثم قال اما برد الفروة فابعد من رد امس الدابر * و الميت الغابر * و اما كافات الشتوة فسبحان من طبع على ذهنك * و اوهى وعاء خزنك * حتى انسيت ما انشدتك بالدسكرة * لابن سكرة * نظم

جاء الشتاء و عندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كنّ وكيس و كانون و كأس طلا * بعد الكباب و كسّ ناعم و كسا

ثم قال لجواب يشفي * خير من جلباب يدفي * فاكتف * بما وعيت و انكفي * ففارقته و قد ذهبت فروتي لشقوتي * و حصلت على الرعدة طول شتوتي *

المقامة السادسة والعشرون

وتعرف بالرقطاء

حدث الحارث بن همام قال حللت سُوَيقي (†) الاهواز * لابسا حُلّة الاعواز * فلبثت فيها مدة * أكابد شدة * وأُزجّي اياما مسودّة * الى ان رأيت تمادي المُقام * من عوادي الانتقام * فرمقتها بعين القالي * وفارقتها مفارقة الطلّ البالي * وظعنت عن ربْعها كميش الازار * راكضا الى (‡) المياه الغزار * حتى اذا سرتُ منها مرحلتين * وبعدت سُرى ليلتين * ترأتْ لي خيمة مضروبة * ونار مشبوبة * فقلت آتيهما لعلّي انقع صدًى * او اجد على النار هدًى * فلما انتهيت الى ظل الخيمة * رأيت غلمةً رُوقة * وشارةً مرموقة * وشيخا عليه بزّة سنيّة * ولديه فاكهة جنيّة * فحيّيته * ثم تحاميته * فضحك اليّ * واحسن الرد عليّ * وقال لا تجلس الى من تروق فكاهته * وتشوق مُفاكهته * فجلست لاغتنام محاضرته * لا لالتهام (§) ما بحضرته * فحين سفر عن آدابه * وكشّر عن انيابه * عرفت انه ابو زيد بحسن مُلَحه * وقبح فَلَحه * فتعارفنا حينئذٍ * وحفّت بي فرحتان ساعتئذٍ * ولم ادرِ بايّهما انا اشدّ فرحا * واوفى مرحا * اباسفاره * من دُجُنّة أسفاره * ام بخصب رحاله * بعد إمحاله * وتاقت نفسي الى ان افضّ ختم سره * وابطن ناعية يسره * فقلت له من اين إيابُك * والى اين انسيابك * وبم امتلأت عيابك * فقال امّا المقدّم فمن

(†) سوق (‡) راكضا منها الى (§) لالتقام •

طوس * و اما المقصد فالى السوس * و اما الجِدَة التي اصَبْتُها * فمن رسالة اقتَضَبْتُها * فسألته ان يفرُشني دِخلَلَه * و يسرد عليّ رسالته * فقال دون مَرامك حرب البَسُوس * او تصحبني الى السوس * فصاحبته اليها قهرا * و عكفت بها عليه شهرا * و هو يعُلُّني كاسات التعليل * و يجُزّني اعِنَّة التاميل * حتى اذا حَرِجَ صدري * و عِيلَ صبري * قلت له انه لم يبق لك علة * و لا لِي تَعِلَّة * و في غدٍ ازجُر غرابَ البين * و ارحلُ عنك بخُفَّي حُنَيْن * فقال حاش لله ان اُخلفك و اُخالفك * و ما ارجأت ان اُحدّثك * الّا لاَلبثك * و اذا كنت قد استَربت بعِدَتي * و اغراك ظنّ السوءِ بمباعدتي * فاصغِ لقصص سيرتي الممتدة * و اضفْها الى اخبار الفرج بعد الشدة * فقلت هات فما اطول طِيَلك * و اهولَ حِيَلك * فقال اعلم ان الدهر العَبُوس * القاني الى طوس * و انا يومئذ فقير وقير * لا فتيل لي و لا نقير * فالجاني صَفَر اليدين * الى التطوّق بالدين * فادّنت لسوء الاتفاق * ممن هو عَسِر الاخلاق * و توهّمت تسنّي النفاق * فتوسّعت في الانفاق * فما انفقت حتى بهظني دَين لزمني حقه * و لازمني مستحقه * فحِرتُ في امري * و اطلعت غريمي على عسري * فلم يصدق املاقي * و لا نزع عن ارهاقي * بل جدّ في التقاضي * و لجّ في اقتيادي الى القاضي * و كلما خضعت له بالكلام * و استنزلت منه رفق الكرام * و رغّبته في ان ينظر لي بمياسرة * او ينظرني الى مَيسرة * قال لا تطمع في الانظار * و احتجان النُّضار * فوطّنك ما ترى مسالك الخلاص * او تُرِيني سبائك الخلاص * فلما رأيت احتداد لدده * و ان لا مناص لي من

يده * شاغبتُه * ثم واثبته * ليرافعني الى والى الجرائم * لا الى الحاكم فى المظالم * لما كان بلغني من افضال الوالي و فضله * و تشدد القاضي و بخله * فلما حضرنا باب اميرطوس * آنست آن لا بأس و لا بؤس * فاستدعيْت دوة و بيضاء† * و انشأت اليه رسالة رُقْطاء * وهي اخلاق سيدنا تُحَبّ * و بعَقْوته يُلَبّ * و قربه تُحف * و نأيه تلف * و خُلّته نسَب * و قطيعته نصَب * و غَربه ذَلِق * و شُهُبُه تأتلق * و ظُلْفه زانَ * و قويم نهجه بانَ * و ذهنه قلَّبَ و جرّب * و نعته شرّق و غرّب * نظم

سيّد قُلّبٌ سبُوقٌ مُبِرٌّ * فَطِنٌ مُغرب عزوفٌ عيوف

مُخلِف مُتلِف إغرفريد * نابهٌ فاضلٌ ذكيٌّ أنوف

مَفلق ان ابانَ طَبٌّ اذا نا * بَ هياجٌ و جلّ خطْب مَخوف

مَناظم شرفه تأتلف * و شؤبوب حبائه يكِف * و نائل يديه فاض * و شحّ قلبه غاض * و خِف سخائه يحتلب * و ذهب عِذابه يحترب * من لفّ لفّه فلج و غلب * و تاجر بابه جلب و خلب * كفّ عن شتم بري * و برى من دنس غوي * و قرن ايامه بعزّ * ونكب عن مذهب كزّ * ليس بوثّات عند نهزة شر * بل يعف عفّة برّ * نظم

فلذا يُحَبُّ و يُستحقّ عَفافه * شغفا به فلُبابه خلّاب

اخلاقه غرّ ترِفٌ وفوقه * فوق اذا ناضلتَه غَلّاب

سُجُحٌ يهشّ وذو تلافٍ ان هفا * خِلٌّ فليس بحقه يُرتاب

لا باخل بل باذل خِرق اذا * يعتَرّ برز لا يليه باب

ان عضّ ازل فلْغربِ عضاضه * بمذابه فانحتّ منه ناب

(†) قط •

و جدير بمن لبث وفطن * وقرب وشطن * ان اذعن لقرع زمن * و جابر زمن * مذ رضع ثدي لبانه * خص بافاضة تبيانه * نعش وفرج * وضافر فابهج * و نافر فازعج * وفاء بحق ادابي * اتعب من سيلي * وقرظ اذ عز وبلي * وتوج صفاته * بحب عداته * نظم

فلا خلا ذا بهجة * يمتد ظل خصبه
فانه بر بمن * آنس ضوء شهبه
زان مزايا ظرفه * بلبس خوف ربه

فليهن سيدنا فوزه * بمفاخر تاثلت * وجلت * وفوته بصنائع تمت * ونمت * وبلائم قرب حضرته * غوث رقة بحظ من حظوته * فانه تليد ندب * وشريد جدب * وجريح نوب اثرت * وناظم فلائد تسيرت * اذا جاش بخطبة فلا يوجد قائل * ثم قس ثم باقل * فان حبر قلت حبر نمنمت * وخلت رياضا قد نمت * هذا ثم شربه برض * وقوته قرض * و فلقه غسق * وجلبابه خلق * و قد قلق لتوغر غريم غاشم * يستحثه بحق لازم * فان من سيدنا بكفه * بهبات كفه * توشح بمجد فاق * و باء باجر فكي من وثاق * لا خلت سجايا خلقه * ترفد شائم برقه * بمن رب ازلي * حي ابدي * قال فلما استشف الامير لآليها * ولمح السر المودع فيها * اوعز في الحال بقضاء دبني * وفصل ما بين خصمي و بيني * ثم استخلصني لمكاثرته * و اختصني باثرته * فلبثت بضع سنين ادعم في ضيافته * وارتع في ريف رافته * حتى اذا غمرتني مواهبه * واطال ذيلي ذهبه * تاطفت في الارتحال * على ما تري من حسن الحال * قال فقلت له شكرا لمن اتاح لك لقيان السمح الكريم * و انقذك به من ضغطة الغريم * فقال الحمد لله على سعادة الجد *

و الخلوص من الخصم الالدّ * ثم قال ايما احَبُّ اليك ان احذيك من العطاء * ام أتحفك بالرسالة الرّقطاء * فقلت املاء الرسالة احب اليَّ * فقال و هو و حقك اخفُّ عليّ * فان نَحْلَة مايلج في الاذان * اهون من نِحلة مايخرج من الاردان * ثم كانه انِف و استحيا * فجمع لي بين الرسالة و الحُذْيا * ففُزْتُ منه بسهمَيْن * و فصلتُ عنه بغُنْمَيْن * و أبتُ الى وَطَني قَرِيرَ العين * بما حُزْتُ من الرسالة و العين *

المقامة السابعة والعشرون البدوية

حكى الحارث بن همام قال مِلْتُ في ريق زماني الذي غَبَرَ * الى مُجاورة اهل الوبَر * لآخذ اخذ نفوسهم الأبِيَّة * و السنتهم العربيَّة * فشمَّرت تشمير مَن لا يالُو جُهدا * و جعلت اضرب في الارض غَوْرا و نجدا * الى ان اقتنيتُ ثُجَّةً من الراغية * وثلَّةً من الثاغية * ثم اَوَيتُ الى عربٍ ارداف اَقيال * و ابناء اقوال * فاوطنوني امنع جناب * و فلُّوا عني حدَّ كل ناب * فما تاوَّبني عندهم همّ * و لا قرَع صفاتي سهم * الى ان اضللتُ في ليلة منيرة البَدْر * لِقْحةً غزيرة الدَّر * فلم اطِبْ نفسا بالغاء طلبها * و القاء حَبْلها على غاربها * فتدثَّرت فرسا مِحْضارا * و اعتقلت اَدْنا خطّارا * و سرَيْتُ ليلتي جَمْعاء * اجوب البيداء * و اقترى كل شجراء * و مَرْداء * الى ان نشر الصبحُ راياته * و حَيْعَلَ الداعي الى صلاته * فنزلت عن مَتْن الرَّكوبة * لاداء المكتوبة * ثم جُلْتُ في صهوتها * و فرت عن شحوتها * و سرت لا ارى اثرا الا قفَوْته * و لا نشزا الا علوته * و لا واديا الا جزعته * و لا راكبا الا استطلعته * و جدّي

مع ذلك يذهب هدرا * ولا يجد وِرْده صدرا * الى ان حاذت صَكّة عُمَيّ * ونفح هجير يُذهِل غَيلانَ عن مَيّ * وكان يوما اطول من ظِل القناة * واحرّ من دمع المقلات * فايقنت اني ان لم استكنّ من الوَقْدة * و استجمّ بالرَقْدة * ادنفني اللُّغوب * وعاقت بي شَعوب * فعُجتُ الى سَرْحةٍ كثيفة الاغصان * ورَيّقة الافنان * لأُغوِّر تحتها الى المُغيربان * فوالله ما استروَحَ نفسي * ولا استراح فرسي * حتى نظرت الى سانح * في هيئة سائح * وهو ينتجعُ نُجعتي * و يشتد الى بقعتي * فكرِهت انعياجه الى معاجي * و استعذت بالله من شر كل مُفاجي * ثم ترجّيتُ ان يتصدى مُنشدا * او يتبدى مرشدا * فلما اقترب من سرحتي * وكاد يحُلّ بساحتي * الفيته شيخنا السروجيّ متشّحا جرابه * ومُضطغنا اُهبة تجوابه * فآنسني اذ ورَد * و انساني ما شرَد * ثم استوضحتُه من اين اثره * وكيف عُجَره و بُجَره * فانشد بديهاً * ولم يقل اِيهاً * نظم

قل لمستطلع دخيلة امري * لك عندي كرامة و عَزازه

انا ما بين جَوب ارضٍ فارض * و سُرًى في مفازة فمفازه

زادي الصيد و المطية نعلي * و جهازي الجِراب و العُكّازه

فاذا ما هبطتُّ مصرا فبيتي * غُرفة الخان و النديم جُرازه

ليس لي ما آساءُ ان فات او احـزن ان حاول الزمانُ ابتزازه

غير اني ابيت خلوا من الهـم و نفسي عن الاسى منحازه

ارقدُ الليل ملءَ جفني و قلبي * بارد من حرارة و حزازة

لا ابالي من اى كاس تَفَوّقـت و لا حلاوة من مرارة

لا و لا آستجيزُ ان اجعل الذُّلّ مجازا الى تسنّي اِجازه

و اذا مطلب كسا حُلّةَ العا * رِ فبعدا لمن يروم نجــازه
و متى اهتزّ للدناءة نِكْسٌ * عاف طبعي طباعه و اهتزازه
فالمنايا و لا الدّنايا و خير * من ركوب الخنا ركوبُ الجنازه

ثم رفع الي طرفه * و قال لامرما جدع قُصيرُ انفه * فاخبرتُه خبر ناقتي الشاردة * و عاينته في يومي و البارحة * فقال دع الالتفات * الى ما فات * و الطِّماح * الى ما طاح * و لا تأسَ على ما ذهب * و لو انه وادٍ من ذهب * و لا تستمِل مَن مال عن ريحك * و اضرم نار تباريحك * و لو كان ابنَ بُوحك * او شقيق روحك * ثم قال هل لك في ان نقيل * و نتحامى القال و القيل * فان الابدان انضاءُ تعبٍ * و الهاجرةَ ذاتُ لهبٍ * و لن يصقُل الخاطر * و يُنشط الفاتر * كقائلة الهواجر * و خصوصا في شهرى ناجر * فقلت ذاك اليك * و ما أريد ان اشُقّ عليك * فافترش التُّرب و اضطجع * و اظهر ان قد هجع * و ارتفقتُ على ان احرُس * و لا انعَس * فاخذتني السِّنة * لما زُمّت الالسنة * فلم أُفق الا و الليل قد ترجّج * و النجم قد تبلّج * و لا السروجي و لا المُسرَج * فبتّ بليلة نابغيّة * و احزان يعقوبية * أساور الوُجوم * و أساهر النجوم * و أفكر تارة في رُجلتي * و اخرى في رجعتي * الى ان وضح في اثناء انوار تغر الضّوء في وجه الجو راكب يخِد في الدّو * فالمعتُ اليه بثوبي * و رجوت أن يُعرّج الى صوبي * فلم يعبأ بالْماعي * و لا اوى لالْتياعي * بل سار على هينته * و اصماني بسهم اهانته * فارقلتُ اليه لاسْتردفه * و احتمِلَ تغطرُفَه * فلما ادركتُه بعد اللتيا * و التيّا * و اجلت فيه طرف الطرف * وجدت ناقتي مطيّته * و ضالّتي لُقْطته * فما كذّبتُ ان انزلتُه عن سَنامها * و جاذبتُه طرفَ

زمامها * وقلت له انا صاحبها و مُضِلُّها * ولي رِسلُها و نسلها * فلاتكن كاشعب * فتُتعِبَ و تتعب * فاخذ يلدغ و يَصدي * و يتقح و لا يستحيي * و بينا هو ينزو و يلدي * و يستاسد و يستكين * اذ غشينا ابو زيد لابسا جلد النمر * و هاجما هجوم السيل المنهمر * فخفت و الله ان يكون يومه كامسه * و بدره مثل شمسه * فالحق بالقارظين * و اصير خبرا بعد عين * فلم ار الا ان اذكرته العهود المنسية * و الفعلة الامسية * و ناشدته الله ارا نى اليوم للتلافي * ام لما فيه اتلافي * فقال معاذ الله ان اجهز على مكلومي * او اصل حروري بسمومي * بل وافيتك لاخبر كنه حالك * و اكون يمينا لشمالك * فسكن عند ذلك جاشي * و انجاب استيحاشي * و اطلعته طلْعَ المحنة * و تبرقع صاحبي بالقحة * فنظر اليه نظر ليث العريسة * الى الفريسة * ثم اشرع قبله الرمح * و اقسم له بمن انار الصبح * لئن لم ينجُ منجا الذباب * و يرض من الغنيمة بالاياب * ليُورِدَنَّ سنانه وريده * و ليفجعنّ به وليدَه و وديدَه * فنبذ زمام الناقة و حاص * و افلت و له حُصاص * فقال لي ابو زيد تسلّمها * و تسنّمها * فانها احدى الحُسنيين * و ويل اهون من ويلين * قال الحارث بن همام فحرتُ بين لوم ابي زيد و شكره * و رنة نفعه بضُرّه * فكاد نوجيّ بذات صدري * او تكمّن ما خامر سرّي * فقابلني بوجه طليق (†) * و انشد بلسان ذليق(‡) * نظم

يا اخى الحاملَ ضيمي * دون اخواني و قومي

ان يكن ساءك امسي * فلقد سرّك يومي

فاغتفر ذاك لهذا * واطّرِحْ شكري و لومي

(†) . طلق (‡) . ذلق *

ثم قال انا تَنَقُ * وانت مَذَقُ * فكيف نتفق * ثم ولّى يفري اديم الارض * و يركُض طرفه ايّما رَكْض * فما عدوتُ ان اقتعدتُ مطيّتي * و عدت لطيّتي * حتى وصلت الى حلّتي * بعد اللتيا والتي *

تفسير ما اودع هذه المقامة من الالفاظ اللغوية و الامثال العربية

قوله ريق زماني - يعني اوله و رايقه و قد يشدد فيقال ريّق * قوله - آخُذ اخذ نفوسهم الابيّة - يعني اقتدي بهم يقال منه اَخذ إخذَه و اَخذه بكسر الهمزة و فتحها * و الهجمة - نحو المائة من الابل * و الثّلة - القطيع من الغنم * و الراغيُة - الابل * و الثاغية - الشاء و منه قولهم ما له راغية و لا ثاغية اى لا ناقة و لا شاة * و قوله ارداف اقيال - اى يخلفون الملوك اذا غابوا * و قوله ابناء اقوال - اى فصحاء يقال للمنطيق انه ابن اقوال * و قوله فتدثرت فرسا محضارا - التدثر الوثوب على ظهر الفرس - و المحضار و المحضير الشديد العدو ماخوذ من الحُضر * وقوله اقتري كل شجراء و مرداء - الاقتراء تتبع الارض - و الشجراء ذات الشجر - و المرداء الخالية من النبات و منه اشتقاق الامرد لخلو وجهه من الشعر * و قوله حيعل الداعي الى صلاته - يعني به قول المؤذن حي على الصلاة و حي على الفلاح و المصدر منه الحيعلة - و مثله من المصادر الهيللة و الحمدلة و الحولقة و البسملة و الحسبلة و السبحلة و الجعلفة - فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله و الحمدلة حكاية قول الحمد لله و الحولقة حكاية قول لا حول و لا قوة الا بالله و البسملة حكاية قول بسم الله و الحسبلة حكاية قول حسبنا الله و السبحلة حكاية قول سبحان الله و الجعلفة حكاية قول جعلت فداك * وقوله فنزلت عن متن الركوبة -

يعني الركوبة يقال ناقة ركوب و ركوبة و حلوب و حلوبة ـ و قد قُرِئَ فمنها رَكوبتُهم * و الصهوة ـ مقعد الفارس * و الشدوة ـ الخطوة * و الجزع ـ قطع الوادي عرضا * و قوله صكة عمي ـ يعني به قائم الظهيرة و قد اختلف في اصله فقيل كان عُمَيٌّ رجلا مغوارا فغزا قوما عند قائم الظهيرة و صكّهم صكّة شديدةً فصار مثلا لكل من جاء ذلك الوقت ـ و قيل المراد به الظبي لانه يسدر في الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك الاعمى ثم صُغِّر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عُمَيٌّ كما صغروا اسود و ازهر فقالوا سُويد و زُهير * و قوله و كان يوما اطول من ظل القناة ـ يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة ـ و العرب تزعم ان ظل الرمح اطول ظل و منه قول الشاعر * نظم

و يومٍ كظل الرمح قصَّر طولَه * دَمُ الزِقّ عنَّا و اصطفاقُ المَزاهر

و قوله و احرّ من دمع المِقلات ـ المقلات هي التي لا يعيش لها ولد فدمعها ابدا حار لحزنها لانه يقال ان دمعة الحزن حارة و دمعة السرور باردة و لهذا قيل للمدعو له اقرّ الله عينه ماخوذ من القُرّ و هو البرد و قيل للمدعو عليه اسخن الله عينه ماخوذ من السُّخنة و هي الحرارة ـ و قيل ان اقرار العين ماخوذ من القرار فكانه دعا له ان يُرزق ما يُقرّ عينه حتى لا تطمح الى ما لغيره و كانت الجاهلية تزعُمُ ان المقلات اذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها و الى هذا اشار بشرُ بن ابي حازم في قوله * نظم

تظلُّ مقاليتُ النساء يطأنَه * يقلن الا يُلْقَى على المرء مئزرُ

و قوله علِقَتْ بي شعوب ـ يعني المنية و لا يدخل هذا الاسم اداة التعريف مثل دِجْلَة و عَرَفَة * و قوله أغوَر تحتها الى المغيربان ـ

التغوير النزول للقائلة كما ان التعريس النزول آخر الليل للنوم او الاستراحة و المغيربان تصغير المغرب و كان قياس تصغيره المغيرب الا ان العرب الحقت آخره الفا و نونا على طريق الشذوذ * و قوله مضطغنا اهبة تجوابه - الاضطغان ان يحمل الشيء تحت حضنه و الاغطبان ان يجعله تحت ضبنه و الضبن ما بين الابط والكشح و كلاهما متقارب و اول مراتب الحمل الابط ثم الضبن و هو اسفل الابط ثم الحضن و هو عند الجنب و التجواب مصدر جاب وجميع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء الا قولهم تبيان و تلقاء لا غير و قال بعضهم و تنضال ايضا * و قوله عجري و بجري - يريد به جميع امري الظاهر و الباطن و اصل العجر العقد الناتية في العصب و البجر العقد الناتية في البطن * و قوله لم يقل ايها - اي لم يامرني بالكف يقال للمستزاد ايه و لمن يستكف ايها * و قوله لامر ما جدع قصير انفه - قصير هذا هو مولى جذيمة الابرش و كان جدع انفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم اتاها و اوهمها ان عمرو بن عدي بن اخت جذيمة هو الذي جدع انفه اتهاما له بانه غش خاله جذيمة اذ اشار عليه بقصدها فحظي قصير بهذا القول (†) حتى جهزته مرارا الى العراق فكان ياتيها بالطرف منه الى ان استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق و توصل الى قتلها و الاخذ بثار مولاه منها و قصتها مشهورة * و قوله و لو كان ابن بوحك - يعني ولد الصلب اشارة الى انه ولد في باحة الدار و هي عرصتها و جمعها بوح - و قيل البوح من اسماء الذكر (‡) * و قوله في شهري ناجر - هما شهرا الحر و قيل انهما حزيران و تموز

(†) - القول عندها حتى (‡) - الذكر ايضا *

و انكر ابوبكر بن دُرَيد هذا القول و قال هما طلوع نجمين * و قوله

فبتُّ بليلة نابغية - اومأ به الى قول النابغة * نظم

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة * من الرُّقش في انيابها السم ناقع

و قوله المعتُ اليه بثوبي - يعني اشرت يقال منه لمع و المع بمعنى (‡) و قوله يلدغ و يصئي هذا مثل يُضرب لمن يظلمُ و يشكو يقال صأت العقرب تصئي صئيا و صِئّيا بفتح الصاد و كسرها اذا صوّتت * و كذلك الفرخُ و ما احسن قول ابن الرومي في هذا المعنى * نظم

تشكي المحبَّ و تشكو وهي ظالمة * كالقوس تُصمي الرمايا وهي مرنان

و قوله ينزو و يلين - هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يَذِلّ و يقال ان اصله الجديَ ينزو و هو صغير فاذا كبُرَ لان* و قوله لابسا جلد النمر- هذا المثل يُضرَب للمتّقح الجري لان النمر اجرأ سبُع و اقلّه احتمالا للضيم و من هذا اشتقاق قولهم تنمّر اي صار مثل النمر * و قوله فالحق بالقارظين - الاصلُ في القارظ انه الذي يجني القَرَظ و هو النبات المدبوغُ به و القارظان المشار اليهما احدهما من عَنَزَة و الاخر من النَّمِر بن قاسط و كانا خرجا يجنيان القرَظ فلم يرجعا و لا عُرِف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه و اليهما اشار ابو ذويب في قوله * نظم

و حتى يؤوبَ القارظان كلاهما * و يُنشَر في القتلى كُليبٌ لوائل

و قوله احلُّ حَروري بسَمومي - الحَرور الريح الحارة ليلا و السَّموم الريح الحارة نهارا و قد تُقام احديهما مقام الاخرى مجازا * و قوله ليث العريسة - يعني (§) مأوى السباع يقال فيه عريس و عريسة باثبات

(‡) ـ بمعني واحد (§) ـ يعنى به ـ

الهاء و حذفها كما يقال غاب و غابة و عرين و عرينة فاما الغيل و أُخيس فلم يلحقوا بهما الهاء * و قوله افلتَ و له حُصاص - هذا المثل يُضربُ لمن نجا من هلكة اشفى عليها بعد ما كان يهوي فيها و الحُصاص العدو - و قيل انه الضِراط (†) * و قوله ويل اهون من ويلين - هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه و مثله قول الشاعر * نظم

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا

حنانيك بعضُ الشر اهونُ من بعض

و قوله إنا تئق و انت مئق فكيف نتفق - هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فان التئق هو الممتلئ غيظا ماخوذ من قولهم اتأقت الاناء اذا ملأته و المئق هو الباكي فكأن التئق ينزع الى الشر لغيظه و المئق يضيق ذرعا باحتماله و مثله قول الاخر انا كلف و انت صلف فكيف نأتلف * و قوله لطيتي - يعني لقصدي و وجهتي و قد يُقالُ فيه طية بالتخفيف * و قوله بعد اللتيا و التي - اللتيا تصغير التي و هو على غير قياس التصغير المُطّرد لان القياس ان يضَمّ اولُ الاسم اذا صغّر و قد اقَرّ هذا الاسم على فتحته الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته عن ضم اوله بان زادت الفا في آخره و اجرت(‡) اسماء الاشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير الذي و التي اللذيَّا و اللتيَّا و في تصغير ذا و ذاك ذيَّا و ذيَّاك و قد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا و التي فقيل هما من اسماء الداهية و قيل المراد بهما بعد صغير المكروه و كبيره *

(†) - الضراط فكانه لفزعه يعدو و يضرط (‡) - و قد اجرت *

المقامة الثامنة والعشرون

السمرقندية

اخبر الحارث بن همام قال استبضعتُ في بعض اسفاري القند * وقصدت به سَمَرْقَنْدَ * وكنت يومئذ قويم الشَّطاط * جَمومَ النَّشاط * ارمي عن قوس المراح * الى غرض الافراح * واستعين بماء الشباب * على ملامح السَّراب * فوافيتُها بُكرة عَروبة * بعد ان كابدت الصعوبة * فسعيتُ وما ونيت * الى ان حصل البيت * فلما نقلت اليه قَنْدي * ومَلَكت قفلَ عندي * عُجْتُ الى الحمّام على الاثر * فاماطت عني وَعثاء السفر * واخذت في غسل الجمعة بالاثر * ثم بادرت في هئية الخاشع * الى مسجدها الجامع * لالحق بمن يقرُب من الامام * ويقرِّبُ افضل الانعام * فحظيت بان جلّيت في الحلبة * وتخيرت المركز لاستماع الخطبة * ولم يزل الناس يدخلون في دين الله افواجا * ويَردون فُرادى وازواجا * حتى اذا اكتظَّ الجامعُ بحَفْلِه * واظلَّ تساوى الشخص وظلّه * برز الخطيب في أُهبته * مُتهاديا خلف عُصبته * فارتقى في منبر الدعوة * الى ان مَثَل بالذّروة * فسلَّم مشيرا باليمين * ثم جلس حتى خُتِمَ نظمُ التاذين * ثم قام وقال – الحمد لله الممدوح الاسماء * المحمود الآلاء * الواسع العطاء * المدعوّ لحسم اللأواء * مالك الامم * ومصوّر الرمم * ومُكْرِم اهل السماح والكرم * ومُهلك عادَ وإرَم * ادرك كلَّ سرٍّ علمُهُ * ووسع كلَّ مُصِرٍّ حلمه * وعمَّ كل عالم طَوله * وهدَّ كل مارد حوله * احمده حمد موحِّد مُسْلِم * وادعوه دعاء مؤمل مُسَلِّم * وهو الله لا اله

الا هو الواحد الاحد * العادل الصمد * لا ولد له و لا والد * و لا رده
معه و لا مساعد * ارسل محمدا للاسلام ممهدا * و للملة موطدا *
ولادلة الرسل موكدا * و للاسود و الاحمر مسددا * وصل الارحام *
و علّم الاحكام * و وسم الحلال و الحرام * و رسم الاحلال و الاحرام *
كرّم الله محله * وكمّل الصلاة و السلام له * و رحم آله الكرماء *
و اهله الرحماء * ما همر ركام * و هدر حمام * و سرح سوام * و سطا
حسام * اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء * و اكدحوا لمعادكم كدح
الاصحاء * و اردعوا اهواءكم ردع الاعداء * و اعدّوا للرحلة اعداد السعداء *
و ادّرعوا حلل الورع * و داووا علل الطمع * و سووا اودّ العمل *
و عاصوا وساوس الامل * و صوروا لاوهامكم حوول الاحوال *
و حلول الاهوال * و مساورة الاعلال * و مصارمة المال و الآل *
و ادّكروا الحمام و سكرة مصرعه * و الرمس و هول مطلعه * و اللحد
و وحدة مودعه * و الملك و روعة سواله و مطلعه * و احسوا الدهر
و لوم كره * و سوء محاله و مكره * كم طمس معلما * و امرّ مطعما *
و طحطح عرموما * و دمر ملكا مكرما * همه ملك الاصلاع * و سح
المدامع * و اكداء المطامع * و ارداء المسمع السامع * عمّ حكمه
الملوك و الرعاع * و المحسود و المطاع * و المحسود و الحسّاد *
و الاساود و الآساد * ما مولّ الآمال * و عكس الآمال * و لا وصل
الا وصال * و كلم الا رعال * و لا سرّ الا وساء * و لوم و اساء * و لا
اصحّ الا ولّد الداء * و روّع الاوداء * الله الله * رعاكم الله * الام
مداومة اللهو * و مواصلة السهو * و طول الاصرار * و حمل الآصار *
و اطراح كلام الحكماء * و معاصاة اله السماء * اما الهرم حصادكم *
و المدر مهادكم * و اما الحمام مدرككم * و الصراط مسلككم * اما

الساعةُ موعدكم * و الساهرة موردكم * اما اهوال الطامّة لكم مُرصدة * اما دار العصاة الحُطمة الموصَدة * حارسهم مالك * و وراءهم حالك * و طعامهم السموم * و هواءهم السموم * لا مال اسعدهم و لا ولد * و لا عدد حماهم و لا عدد * الا رحِمَ الله امرأ ملَكَ هواه * و أمَّ مسالك هُداه * و احكم طاعة مولاه * و كدَّ (†) لروح ماواه * و عمل ما دام العمر مطاوعا * و الدهر موادعا * و الصحة كاملة * و السلامة حاصلة * و الا دهمه عدم المرام * و حصَرُ الكلام * و إلمامُ الآلام * و حموم الحِمام * و هُدُوُّ الحواسّ * و مِراسُ الأرماس * آهًا لها حسرةً آلمها مؤكَّد * و امدها سرمد * و ممارسها مُكْمَد * ما لولِهه حاسم * و لا لسدمه راحم * و لا له مما عراه عاصم * الهمكم الله احمدَ الالهام * و ردَّاكم رداء الاكرام * و احلّكم دار السلام * و اساله الرحمة لكم و لاهل ملة الاسلام * و هو اسمح الكرام * و المسلم و السّلام * قال الحارث بن همام فلما رأيت الخطبة نخبةً بلا سقَط * و عروسا بغير نُقَط * دعاني الاعجاب بنمطها العجيب * الى استجلاء وجه الخطيب * فاخذت اتوسّمه جدا * و اُقلّب الطرف فيه مجدا * الى ان وضح لي بصدق العلامات * انه شيخنا ذو المقامات * و لم يكن بُدٌّ من الصمت * في ذلك الوقت * فامسكت حتى تحلل من النفل و الفرض * و حل الانتشار في الارض * ثم واجهت تلقاءه * و ابتدرت لقاءه * فلما لحظني خف في القيام * و احفى في الاكرام * ثم استصحبني الى داره * و اودعني خصائص اسراره * و حين انتشر جناح الظلام * و حان ميقات المنام * احضر اباريق المدام * مختومةً بالفدام * فقلت اتحسوها

(†) - كدح *

امام القوم * و انت امامُ القوم * فقال مه انا بالنهار خطيب * و في الليل اطيب * فقلت و الله ما ادري أ أعجب من تسليك عن أناسك * و مسقط رأسك * ام من خطابتك مع ادناسك * و مدار كأسك * فأشاح بوجهه عني * ثم قال اسمع مني * نظم

لا تَبْكِ إلْفا نأى و لادارا * و دُر مع الدهر كيفما دارا
و اتخِذِ الناس كلهم سكناً * و مثّلِ الارض كلها دارا
و اصبر على خُلق من تُعاشِرهِ * و داره فاللبيب من دارا
و لا تُضِع فرصة السرور فما * تدري أ يوما تعيش ام دارا
و اعلم بان المنون جائلة * وقد ادارت على الورى دارا
و اقسمَتْ لا تَزال قانصة * ما كرَّ عصرا المحيا و ما دارا
فكيف تُرجى النجاةُ من شَرَك * لم ينجُ منه كسرى و لا دارا

قال فلما اعتورتنا الكُؤوس * و طربت النفوس * جرَّعني اليمين الغَموس * على ان احفَظ عليه الناموس * فاتبعت مَرامه * و رعيت ذِمامه * و نزَّلته بين الملاء منزلة الفُضيل * و سدَلْتُ الذيل على مخازي الليل * و لم يزل ذلك دأبه و دأبي * الى ان تهيا ايابي * فودّعته و هو مُصِرٌّ على التدليس * و مُسِرٌّ حسوَ الخَندريس *

المقامة التاسعة و العشرون

الواسطية

حكى الحارث بن همام * قال الجاني حكمُ دهرٍ قاسط * الى ان انتجع ارضَ واسط * فقصدتها و انا لا اعرف بها سكنا * و لا املك فيها مسكنا * و لما حللتُها حلولَ الحوت بالبَيداء * و الشعرة

البيضاء في اللّمّة السوداء * فادّني الحظُّ الناقص * و الجدُّ الناكص * الى خانٍ ينزله شُذّاذُ الآفاق * و اخلاطُ الرفاق * و هو لنظافة مكانه * و ظرافة سكانه * يرغّبُ الغريب في ايطانه * و ينسيه هوى اوطانه * فاستفردت منه بحجرة * و لم أنافس في اجرة * فما كان الا كلمح طرف * او خطّ حرف * حتى سمعتُ جاري بيتَ بيتَ * يقول لنزيله في البيت * قم يا بني لا قعدَ جدُّك * و لا قام ضِدُّك * و استصحبْ ذا الوجه البدري * و اللون الدُّرّي * و الاصل النقي * و الجسم الشقي * الذي قُبض و نُشر * وسُجِن و شُهر * و سُقِي و فطِم * و أُدخل النار بعد ما لُطِم * ثم اركُضْ الى السوق * ركض المشوق * فقايض به اللاقح المُلقِح * المفسد المصلح * المُكمِد المفرِّح * المعنِّي المروِّح * ذا الزفير المحرِّق * و الجذين المشرِّق * و اللفظ المُقنع * والذّيل المُمتع * الذي اذا طُرِق * رعَد و برق * و باح بالحُرَق * و نفَث في الخِرَق * قال فلما قرّتْ شقشقةُ البادر * و لم يبقَ الأ صدر الصادر * برز فتىً يَميهم * و ما معه انيس * فرأيتها عُضلة تلعَبُ بالعقول * و تغري بالدخول في الفضول * فانطلقت في إثر الغلام * لاختبُرَ فحوى الكلام * فلم يزل يسعى سعي العفاريت * و يتفقد نضائد الحوانيت * حتى انتهى عند الرواح * الى حجارة القداح * فناول بائعها رغيفا * و تناول منه حجرا لطيفا * فعجبت من فطانة المرسِل والمرسَل * و علمت انها سروجية و ان لم اسل * و ما كذّبتُ ان بادرتُ الى الخان * مُنطلق العنان * لانظر كنه فهمي * و هل قرطس في التكهن سهمي * فاذا انا في الفراسة فارس * و ابو زيد بوصيد الخان جالس * فتهادينا بُشرى الالتقاء * و تقارضنا تحية

الاصدقاء * ثم قال ما الذي نابك * حتى زايلتَ جنابك * فقلت دهرٌ هاض * و جورٌ فاض * فقال و الذي انزل المطَر من الغمام * و اخرج الثمَرَ من الاكمام * لقد فسد الزمان * و عمّ العُدوان * و عُدم المعوان * و الله المستعان * فكيف افلتَّ * و على اي وصفيك اجفلت * فقلت اتخذت الليل قميصا * و ادلجت فيه خميصا * فاطرق ينكُتُ في الارض * و يفكر في ارتياد القرض و الفرض * ثم اهتزَّ هزّةً من اكتبه قنَص * او بدت له فُرص * و قال قد علق بقلبي ان تصاهر من ياسو جراحك * و يريش جناحك * فقلت و كيف اجمع بين غُلٍّ وقُلٍّ * و من الذي يرغب في ضُلِّ ابن ضُلٍّ * فقال انا المشير بك و اليك * و الوكيل لك و عليك * مع ان دين القوم جبرُ الكسير * و فكُّ الاسير * و احترام العشير * و استنصاح المشير * الا انهم لو خطَب اليهم ابراهيمُ بنُ ادهم * او جَبَلة بن الأَيْهم * لما زوجوه الا على خمس مائة درهم * اقتداء بما مهَر الرسول زوجاته * و عقد به انكحَةَ بناته * على انك لن تُطالَب بصَداق * و لن تُلجأ الى طلاق * ثم اني ساخطُبُ في موقف عقدك * و مجمع حَشْدك * خطبةً لم تفتُق رتقَ سمع * و لا خُطِب بمثلها في جمع * قال الحارث بن همام * فازدهاني بوصف الخُطبة المتلوة * دون الخطبة المجلوة * حتى قلت له قد وكلت اليك هذا الخَطْب * فدبره تدبير من طبَّ لمن حب * فنهَض مُهروِلا * ثم عاد متهللا * و قال ابشر باعتاب الدهر * و احتلاب الدر * فقد وليتُ العقد * و اكفلتُ النقد * و كانْ قَدْ * ثم اخذ في مُواعَدة اهل الخان * و اعداد حلواء الخِوان * فلما مدَّ الليل اطنابه * و اغلَق كلُّ ذي باب بابه * اذّن في الجماعة * الا احضروا في هذه

الساعة * فلم يبق فيهم الا من لبى صوته * وحضر بيته * فلما اصطفوا
لديه * واجتمع الشاهدُ والمشهودُ عليه * جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه *
و يلحظ التقويم و يدعه * الى ان نعس القوم * و غشي النوم * فقالت
له يا هذا ضع الفاس في الراس * و خلّص الناس * فنظر نظرة
في النجوم * ثم انتشط من عُقلة الوجوم * و اقسم بالطور * والكتاب
المسطور * لينكشفنّ سرُّ هذا الامر المستور * و لينتشرنّ ذكرُه الى
يوم النشور * ثم انه جثى على ركبته * و استرعى الاسماع لخطبته *
و قال الحمد لله الملك المحمود * المالك الودود * مصور كل
مولود * و مآل كل مطرود * ساطح المهاد * و مُوطّد الاطواد *
و مرسل الامطار * و مسهّل الاوطار * عالم الاسرار و مدركها * و مدمّر
الاملاك و مُهلكها * و مكوّر الدهور و مُكررها * و مُورد الامور و مُصدرها *
عم سماحُه و كمل * و هطل رُكامه و همل * و طاوع السؤْلُ و الامل *
و اوسع المُرمل * و الارمل * احمدُه حمدا ممدودا مداه * و أُوحّده
كما و حّده الاوّاه * و هو الله لا آله للامم سواه * و لا صادعَ لما عدّله
و سوّاه * ارسل محمدا علمًا للاسلام * و إماما للحكام *
و مسددا للرعاع * و مُعطلا احكام وُدّ و سُواع * اعلَم و علّم * و حكّم
و احكم * و اصّل الاصول و مهّد * و أكد الوُعود و اوعد * واصل اللهُ له
الاكرام * و اودع روحَه دار السلام * و رحم آله و اهله الكرام * ما لمع
آلٌ * و ملع رألٌ * و طلع هلال * و سُمع اهلال * اعملوا رعاكم الله اصلح
الاعمال * و اسلكوا مسالك الحلال * و اطّرحوا الحرام و دعوه *
و اسمعوا امر الله و عُوه * و صِلوا الارحام و راعوها * و عاصوا الاهواء
و اردعوها * و صاهروا اهل الصلاح و الورع * و صارموا رهط اللهو و الطمع *
و مُصاهركم اطهر الاحرار مَولدا * و اسراهم سُوددا * و احلاهم مَوردا *

و اصحبهم موددا * و ها هو أمّكم * و حلّ حرمكم * مملكا
عروسكم المكرّمة * و ماهرا لها كما مهر الرسولُ أمَّ سلَمة * و هو اكرم
صهرٍ اودع الاولاد * و مُلّك ما اراد * و ما سَها مُملكه و لا وهم * و لا
وكس مُلاحمهُ و لا وُصِم * اسأل الله لكم احماد وصاله * و دوام إسعاده *
و الهم كلّا اصلاح حاله * و الاعداد لمعاده * و له الحمد السرمد *
والمدح لرسوله محمد * فلما فرغ من خطبته البديعة النظام * العريّة
من الاعجام * عقد العقد على الخمس المئين * و قال بالرفاء
و البنين * ثم احضر الحلواء التي كان اعدها * ابدى الآبدة عندها *
فاقبلتُ اقبال الجماعة عليها * و كدت أهوي بيدي اليها * فزجرني
عن المواكلة * و انهضني للمناولة * فوالله ما كان باسرع من تصافح
الاجفان * حتى خرّ القومُ للاذقان * فلما رأيتهم كاعجاز نخلٍ خاوية *
او صرعى بنت خابية * علمت انها احدى الكُبر * و ام العِبر * فقلت
له يا عُدَيّ نفسه * و عُبيد فلسه * أاعددت للقوم حاوي * ام بلوى *
فقال لم اعد خبيص (§) البذج * في صحاف الخلنج * فقلت أقسم بمن
اطلعها زُهرا * و هدى بها السارين طُرّا * لقد جئت شيأ نُكرا * و
ابقيت لك في المخزيات ذكرا * ثم حرت فكرةً في صَيُّور امره * وخيفةً
من عَدوى عرّه * حتى طارت نفسي شَعاعا * و أرعدت فرائصي
ارتياعا * فلما رأى اسطارة فرقي * و استشاطة قلقي * قال ما هذا
الفكر المُرمض * و الرّوع المومض * فان يكن فكرك في اجلي *
من اجلي * فانا الآن ارتع و اطفر * و أقوي هذه البقعة مني و اقفر *
و كم مثلها فارقتها وهي تصفر * و ان يكن نظرا لنفسك * و حذرا
من حبسك * فتناوَلْ فُضالة الخبيص * و طب نفسا عن القميص *

(§) لم اعد الا خبيص *

حتى تأمن المستعدي والمعدي * ويتمهد لك المقام بعدي * والا فالمفر المفر * قبل ان تسحب وتجر * ثم عمد لاستخراج ما في البيوت * من الاكياس والتخوت * وجعل يستخلص خالصة كل مخزون * ونخبة كل مذروع وموزون * حتى غادرها الغاه فضّه * كعظم استخرج مخّه * فلما همّ ما اصطفاه وزمّ * وشمر عن ذراعيه وتحزّم * اقبل على اقبال من لبس الصفاقة * وخلع الصداقة * وقال هل لك في المصاحبة الى البطيحة * لاصلك باخرى مليحة * فاقسمت بالذي جعله مباركا اينما كان * ولم يجعله ممن خان في خان * انه لا تبل لي بنكاح حرتين * ومباشرة ضرتين * ثم قلت له قول المتطبع بطباعه * الكائل له بصاعه * قد كفتني الاولى فخرا * فاطلب آخر الاخرى * فتبسم من كلامي * ودلف لالتزامي * فلويت عنه عذاري * وابديت له ازوراري * فلما بصر بانقباضي * وتجلى له اعراضي * انشد * نظم

يا صارفا عني المودة والزمان له صروف
ومعنّفي في فضح من * جاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما اتيت فانني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم * ارهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم * لما سبكتهم زيوف
ما فيهم الا مخيف ان تمكن او مخوف
لا بالصفي ولا الوفي * ولا الحفي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذئب الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كانهم سقوا كاس الحتوف
وتحكمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الانوف

ثم انثنيت بمغذم * حلو المجاني و القطوف
و لطالما خلفت مكلوم الحشا خلفي يطوف
و وترت ارباب الارا * ئك والارائك والسجوف
و لكم بلغت بحيلتي * ما ليس يبلغ بالسيوف
و وقفت في هول ترا * ع الاسد فيه من الوقوف
و لكم سفكت و كم فتكت وكم هتكت حمى انوف
و كم ارتكاض موبق * لي في الذنوب وكم خفوف
لكنني أعددت حسن الظن بالمولي الرؤف

قال فلما انتهى الى هذا البيت لج في الاستعبار * و الظ بالاستغفار * حتى استمال رضا قلبي المنحرف * و رجوت له ما يرجى للمقترف المعترف * ثم انه غيض دمعه المنهل * و تابط جرابه و انسل * و قال لابنه احتمل الباقي * و الله الواقي * قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت انسياب الحية و الخفية * و انتهاء الداء لي الكية * علمت ان تربثي بالخان * مجلبة للهوان * فضممت رحيلي * و جمعت للرحلة ذيلي * و بت ليلتي اسري الى الطيب * و احتسب الله على الخطيب *

المقامة الثلثون الصورية

حكى الحارث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور * الى بلدة صور * فلما حصلت بها ذا رفعة و خفض * و مالك رفع و خفض * تقت الى مصر توقان السقيم الى الاساة * و الكريم الى المواساة * فرفضت علائق الاستقامة * و نفضت عوائق الاقامة * و غوزت ظهر ابن النعامة * و اجفلت نحوها اجفال النعامة * فلما دخلتها بعد

معاناة الأين * و مداناة الحين * كلفت بها كلف النشوان
بالاصطباح * والحيران بتنفس الصباح * فبينما انا يوما بها اطوف
وتحتي فرس قطوف * اذ رأيت على جرد من الخيل * عصبة كمصابيح
الليل * فسألت لانتجاع النزهة * عن العصبة و الوجهة * فقيل اما
القوم فشهود * و اما المقصد فاملاك مشهود * فحدتني ميعة
النشاط * على ان سرت مع الفراط * لافوز بحلاوة اللقاط * و احوز
حلواء السماط * فافضينا بعد مكابدة العناء * الى دار رفيعة البناء *
وسيعة الفناء * تشهد لبانيها بالثراء والسناء * فلما نزلنا عن صهوات
الخيول * قدمنا الاقدام للدخول * رأيت دهليزها مجللا باطمار
مخرقة * و مكللا بمخارف معلقة * و هناك شخص على قطيفة *
فوق دكة لطيفة * فرابني عنوان الصحيفة * و مرأى هذه الطريفة *
و دعاني التطير بتلك المناحس * الى ان عمدت لذلك الجالس *
فعزمت عليه بمصرف الاقدار * ليعرفني من رب هذه الدار * فقال
ما لها مالك معين * ولا صاحب مبين * انما هو مصطبة المقيفين
و المدروزين * و لبجة المقشقشين و المجلوزين * فقلت
في نفسي انا لله على ضلة المسعى * و امحال المرعى * و هممت
في الحال بالرجعى * لكنني استهجنت العود من فوري * والقهقرة
دون غيري * فولجت الدار متجرعا الغصص * كما يلج العصفور
القفص * فاذا فيها ارائك منقوشة * و طنافس مفروشة * و نمارق
مصفوفة * وسجوف مرصوفة * وقد اقبل المملك يميس في بردته *
ويتبهنس بين حفدته * فحين جلس كانه ابن ماء السماء *
نادى مناد من قبل الاحماء * و حرمة ساسان استاذ الاستاذين *
و قدوة الشحاذين * لا عقد هذا العقد المبجل * في هذا اليوم الاغر

المحجّل * الا الذي جال و جاب * و شبّ في الكُدْية و شابّ * فاعجب رهط الصّهر ما اشاروا اليه * و آذنوا في احضار المنصوص عليه * فبرز حينئذ شيخ قد امال الملوان قامته * ونوّر الفتيان ثغامته * فتباشرت الجماعة باقباله * وتبادرت الى استقباله * فلما جلس على زُبيته * و سكنت الضوضاء لهيبته * ازدلف الى مسنده * و مسح سبلته بيده * ثم قال الحمد لله المبتدئ بالافضال * المبتدع للنوال * المتقرّب اليه بالسؤال * الموصّل لتحقيق الامال * الذي شرع الزكاة في الاموال * و زجر عن نهر السُّوّال * و ندب الى مواساة المضطر * و امر باطعام القانع و المعترّ * و وصف عباده المقرّبين * في كتابه المبين * فقال وهو اصدق القائلين * و الذين في اموالهم حق معلوم * للسائل و المحروم * احمده على ما رزق من طُعمة هنيّة * و اعوذ به من استماع دعوة بلا نيّة * و اشهد ان لا اله الا الله وحده * لا شريك له * انّه يجزي المتصدّقين و المتصدقات * و يمحق الربّا ويُربي الصدقات * و اشهد ان محمدا عبده الرحيم * و رسوله الكريم * ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء * و ينتصف للفقراء من الاغنياء * فرفق صلى الله عليه و سلم بالمسكين * و خفض جناحه للمستكين * و فرض الحقوق في اموال المُثرين * و بيّن ما يجب للمقلّين على المكثرين * صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة * و على اصفيائه اهل الصفّة * اما بعد فان الله تعالى شرع النكاح لتعفّفوا * و سن التناسل لكي تضاعفوا * فقال سبحانه تعرّفوا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا * و هذا ابو الدرّاج * و لّاج بن خرّاج * ذو الوجه الوقاح * و الاوك الصّراح * و الهرير و

الصياح * والابرام والالحاح * بخطب سليطة العليا * وشريطة بعلها * قَنْبَس * بنت ابي العَنْبَس * لِما بلغه من الحافها بالحافها * واسرافها في اسفافها * وانكماشها على معاشها * وانتغاشها عند هراشها * وقد بذل لها من الصداق شُلافا وعكّازا * وصقاعا وكُرّازا * فَانْكِحوه انكاحَ مثله * وصلوا حبلكم بحبله * وان خِفْتم عيلةً فسوف يُغنيكم الله من فضله * اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم * واسأله ان يُكثّر في المَصاطب نسلكم * ويحرُسَ من المعاطب شملكم * فلما فرغ الشيخ من خطبته * وابرَم للختن عقدَ خطبته * تساقط من النثار * ما استغرق حدَّ الاكثار * واغرى الشحيحَ بالايثار * ثم نهض الشيخ يسحب اَذياله * ويقدم اَراذله * قال الحارث بن همام فتَبِعتُه لانظرَ عُرْجة القوم * واُكمل بَهجة اليوم * فعاج بهم الى سماط زيَّنته طُهاتُه * وتناصفتْ في الحسن جهاته * فحين ربعَ كل شخص في رِبْضته * وطفق يرتع في روضته * انسَلَلْت من الصف * وفررت من الزحف * فحانت من الشيخ لَفْتة اليّ * ونظرة هجم بها طرفه عليّ * فقال الى اين يا بَرَم * هلا عاشرتَ مُعاشرةَ من فيه كرَم * فقلت والذي خلقها طِباقا * وطبّقها اشراقا * لا ذُقتُ لَماقا * ولا لُستُ رُقاقا * او تُخبرني اين مدبُّ صِباك * ومن اين مهَبُّ صَباك * فتنفس الصَّعَداء مِرارا * وارسل البُكاء مِدرارا * حتى اذا استنزف الدمع * واستنصت الجمع * قال لي اَرْعِني السمع * نظم

مَسْقَطُ الراس سَروجُ * وبها كنت اموجُ

بلدةٌ يُوجَد فيها * كل شيء ويروجُ

وِرْدُها من سلسبيل * وصحاريها مُروجُ

و بنوها و مغانيهم نجوم و بروج
حبذا نفحة رياها ومرآها البهيج
و ازاهير رباها حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرسى جنة الدنيا سروج
و لمن ينزاح عنها زفرات و نشيج
مثل ما لاقيت مذ زحزحني عنها العلوج
عبرة تهمي و شجو كلما قر يهيج
و هموم كل يوم خطبها خطب مريج
و مساع في الترجي قاصرات الخطو عوج
ليت يومي حم لما حم لي منها الخروج

قال فلما بين بلده * و وعيت ما انشده * ايقنت انه علامتنا ابو زيد * و ان كان الهرم قد اوثقه بقيد * فبادرت الى مصافحته * و اغتنمت مواكلته من صحفته * و ظلت مدة مقامي بمصر اعشو الى شواظه * و احشو صدفتي من درر الفاظه * الى ان نعب بيننا غراب البين * ففارقته مفارقة الجفن للعين *

المقامة الحادية و الثلثون الرملية

حدث الحارث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب * و ريعان العيش اللباب * اقلي الاكتنان بالغاب * آهوى الاندلاق من القراب * لعلمي ان السفر * ينفج السفر * و ينتج الظفر * و معاقرة الوطن * تنفر العطن * و تحقر من قطن * فاجلت قداح الاستشارة * و اقتدحت زناد الاستخارة * ثم استجشت جاشا اثبت من الحجارة * و اصعدت الى ساحل الشام للتجارة * فلما خيمت

بالرملة * و القيت بها عصا الرحلة * صادفت بها رِكابا تُعَدُّ للسُّرى * و رحالا تُشَدُّ الى أُمّ القرى * فعصفت بي ريح الغَرام * و اهتاجَ لي شرق الى البيت الحرام * فزمَمْتُ ناقتي * و نَبَذتُ عُلَقِي و علاقتي * نظم

و قلت للائمي اَقْصِرْ فاني * ساختارُ المقام على المقام

و أنفق ما جمعت بارض جمع * و أسلو بالحَطيم عن الحُطام

ثم انتظمتُ مع رُفقة كنجوم الليل * لهم في السير جرية السيل * و الى الخير جري الخيل * فلم نزل بين ادلاج و تأويب * و ايجاف و تقريب * الى أن حبتنا أيدى المطايا بالتحفة * في ايصالنا الى الجحفة * فحللناها متاهبين للاحرام * متباشرين بادراك المرام * فلم يك الا ان انخنا الركائب * و حططنا الحقائب * حتى طلَع علينا من بين الهضاب * شخص ضاحى الاهاب * و هو يُنادي * يا اهل ذا النادي * هلُمَّ الى ما يُنجي يوم التنادي * فانخرط اليه الحجيج و انصلتوا * و احتفوا به و انصتوا * فلما رأى تألفهم حوله * واسطعامهم (†) قوله * تسنَّم احدى الاكام * ثم تنحنح مُستفتحا للكلام * و قال يا معشر الحُجّاج * الناسلين من الفجاج * اتعقلون ما تُواجهون * و الى من توجَّهون * ام تدرون على مَنْ تقدَمون * و عَلامَ تُقدِمون * اتخالون ان الحجّ هو اختيار الرَّواحل * وقطع المَراحِل * و اتخاذ المَحامِل * و ايقار الزوامل * ام تظنون ان النُّسك هو نضو الاَرْدان * و انضاءُ الابدان * و مفارقة الولدان * و التنائي عن البُلدان * كلَّا والله بل هو اجتذاب الخطيئة * قبل اجتلاب المَطِيَّة * و اخلاص النِّية * في قصد

(†) استعظامهم *

تنكب ابنية * و امحاض الطاعة * عند وجدان الاستطاعة * و اصلاح المعاملات * امام اعمال اليعملات * فهو الذي شرع المناسك * للناسك * و ارشد السالك * في الليل الحالك * ما ينقي الاغتسال بالذنوب * من الانغماس في الذنوب * و لا تعدل تعرية الاجسام * بتعبية الاجرام * و لا تغني لبسة الاحرام * عن المتلبس بالحرام * و لاينفع الاضطباع بالازار * مع الاضطلاع بالاوزار * و لا يجدي التقرب بالحلق * مع التقلب في ظلم الخلق * و لا يرحض التنسك بالتقصير * درن التمسك بالتقصير * و لايسعد بعرفة * غير اهل المعرفة * و لا يزكو بالخيف * من يرغب في الحيف * و لا يشهد المقام * الا من استقام * و لا يحظى بقبول الحجة * من زاغ عن المحجة * فرحم الله امرأ صفا * قبل مسعاه الى الصفا * و ورد شريعة الرضا * قبل شروعه في الاضا * و نزع عن تلبيسه * قبل نزع ملبوسه * و فاض بمعروفه * قبل الافاضة من تعريفه * ثم رفع عقيرته بصوت اسمع الصم * و كاد يزعزع الجبال الشم * و انشد * نظم

ما الحج سيرك تاويبا و ادلاجا * و لا اعتيامك اجمالا و احداجا
الحج ان تقصد البيت الحرام على * تجريدك الحج لا تقضي به حاجا
و تمتطي كاهل الانصاف متخذا * ردع الهوى هاديا والحق منهاجا
و ان تواسي ما اوتيت مقدرة * من مد كفا الى جدواك محتاجا
فهذه ان حوتها حجة كملت * و ان خلا الحج منها كان اخداجا
حسب المرائين غبنا انهم غرسوا * و ما جنوا و لقوا كدا و ازعاجا
وانهم حرموا اجرا و محمدة * و الحموا عرضهم من عاب او هاجا
اخي فابغ بما تبديه من قرب * وجه المهيمن ولاجا و خراجا
فليس تخفى على الرحمن خافية * ان اخلص العبد في الطاعات او داجا

و بادر الموت بالحسنى تُقدِّمها * فما يُنهنهُهُ داعي الموت ان فاجا
و اقنَ التواضعَ خلقاً لا تُزايله * عنك الليالي ولو البسنك التاجا
و لا تشمْ كلَّ حال لاح بارقه * و لو ترأى هتُون السُّحْب ثجّاجا
ما كل داعٍ باهل ان يُصاخ له * كم قد اصمَّ بنُعْي بعض من ناجا
و ما اللبيب سوى من بات مُقتنعا * ببلغة يُدرج الايام ادراجا
فكل كُثرٍ الى قُلٍّ مُغبّتهُ * و كل نازٍ الى لين و ان هاجا

قال الراوي فلما القح عقم الافهام * بسحر الكلام * استروحتُ ريحَ ابي زيد * و ماد بيَ الارتياح اليه ايَّ ميد * فمكثتُ حتى استوعبَ نثَّ حكمته * و انحدرَ من اكَمته * ثم دلفتُ اليه لانصفح صفحات مُحيّاه * و استشفَّ جوهرَ حِلاه * فاذا هو الضالة التي انشُدُها و ناظم القلائد اللاتي انشدها * فعانقتُه عِناقَ اللام الالف * ونزّلته منزلة البرء عند الدنف * و سألته ان يلازمني فابى * او يزاملني فنبا * و قال آليت في حجّتي هذه ان لا احتقب * و لا اعتقب * و لا اكتسب * و لا انتسب * و لا ارتفق * و لا أرافق * و لا أوافق * من يُنافق * ثم ذهب يهرول * و غادرني أولول * فلم ازل اقربه نظري * و اود لو يمشي على ناظري * حتى توقّل احد الاطواد * و وقف للحجيج بالمرصاد * فحين شاهد ايضاع الركبان * في الكثبان * وقّع بالبَنان * على البنان * و اندفع ينشد * نظم

ليس من زار راكبا * مثل ساعٍ على القدمْ
لا و لا خادم الطا * ع كعاصٍ من الخَدَمْ
كيف يا قوم يستوي * سعيُ بانٍ و من هدمْ
سيُقيم المفرِّطو * ن غدا مأتم الندمْ
و يقول الذي تقرَّ * ب طوبى لمن خدمْ

وَيْكِ يا نفسِ تقدّمي * صالحا عند ذي القدَمْ
وازدري زُخرُفَ الحيا * ة فموجودُه عدَمْ
واذكري مَصرع الحما * م اذا خطبُه صدَمْ
واندُبي فعلكِ القبيـ * ـح وسُحّي له بدَمْ
وادبغيه بتوبة * قبل ان يحلَم الادَمْ
فعسى الله ان يقيـ * ـك المصير الذي احتدَمْ
يوم لا عثرة تقا * ل ولا ينفع الندَمْ

ثم انه اغمد عضبَ لسانه * وانطلق لشانه * فما زلت في كل مورد أرِدُه * ومُعرَّس أتوسّده * اتفقده فافتقده * واستنجد بمن ينشده فلا يجده * حتى خلتُ ان الجِنّ اختطفته * والارضَ انتطفته * فما كابدت في الغُربة * كهذه الكُربة * ولا مُنيت في سفرة * بمثلها من زَفْرة *

المقامة الثانية والثلثون الحربية

حكى الحارث بن همام * قال اجمعت حين قضيت مَناسك الحج * واقمْت وظائفَ العجّ والثجّ * ان اقصد طيبة * مع رُفقة من بني شيبة * لازورَ قبرَ المصطفى * واخرُج من قَبيل مَن حجّ وجفا * فارجف بان المسالك شاغرة * وعُربُ الحرمَين متشاجرة * فحرت بين اشفاق يُثبّطني * واشواق يُنشّطني * الى ان أُلقِي في رُوعي الاستسلام * وتغليب زيارة قبره عليه السلام * فاعتامت القُعدة * واعددتُ العُدّة * وسرت والرفقة * لا الوي على عُرجة * ولا انثني في تأويب ولا دُلجة * حتى وافينا بني حرب * وقد أبوا من حرب * فازمعنا ان نُقضّي ذلك اليوم * في حِلّة القوم * وبينما نحن نتخيّر

المدانخ * و نرود الورد النُّقاخ * اذ رأيناهم يركضون * كأنهم الى نصب يُوفِضون * فرابنا انثيالهم * و سألنا ما بالهم * فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب * فاهرعهم هذا السبب * فقلت لرفقتي الا نشهد مجمع الحيّ * لنتبيَّن الرشد من الغيّ * فقالوا لقد اسمعتَ اذ دعوتَ * و نصحتَ و ما الوتَ * ثم نهضنا نتَّبع الهادي * و نؤمّ النادي * حتى اذا اظللنا عليه * و استشرفنا الفقيه المنهودَ اليه * الفيناه ابا زيد ذا الشُّقَر و البُقَر * و الفواقر و الفقَر * و قد اعتمّ القفداء * و اشتمل الصمّاء * و قعد القُرفُصاء * و أعيانُ الحي به مُحتفّون * و اخلاطهم عليه مُلتفّون * و هو يقول سلوني عن المُعضلات * واستوضحوا مني المشكلات * فوالذي فطر السماء * و علّم آدم الاسماء * اني لفقيه العرب العَرباء * و اعلم مَنْ تحت الجرباء * فصمد له فتىً فتيق اللسان * جريءُ الجَنان * و قال اني حاضرت فقهاء الدنيا * حتى انتخلتُ منهم مائةَ فُتيا * فان كنتَ ممن يرغب عن بنات غير * و يرغب منا في مَيْر * فاستمع و أجِبْ * لتُقابَل بما يجب * فقال الله اكبر * سيبين المخبر * و ينكشف المُضمر * فاصدعْ بما تُؤمَر *

قال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهرْ نعله * قال انتقض وضوءه بفعله * النعل الزوجة * قال فان توضأ ثم اتكأ البرد * قال تُجدّد الوضوء من بعد * البرد النوم * قال ايمسح المتوضي أُنثَيَيْه * قال قد نُدبَ اليه و لم تجب عليه * الأنثيان الأُذُنان * قال ايجوز الوضوءُ مما يقذفه الثعبان * قال و هل انظف منه للعُريان * الثعبان جمع ثَعْب و هو مسيل الوادي * قال أيُستباح ماء الضرير * قال نعم و يُجتنب ماء البصير * الضرير حَرْف الوادي و البصير الكلب *

قال ا يحلّ الطوف فى الربيع * قال يُكره ذلك للحدث الشنيع *
الطوف التغوط و الربيع النهر الصغير * قال ا يجب الغسل على مَنْ
أمذى * قال لا و لو تندّى * امذى نزل مذيٌ * يقال منه مذى و
امذى و امتذى * قال فهل يجب على الجنب غسل فُرْوته * قال
اجَلْ و غسل اِبْرته * الفروة جلد الرأس و الابْرة عظم المرفق * قال
فان اخلّ بغسل فأسه * قال هو كما لو الْغى غَسْل رأسه * الفأس
العظم المُشرِف على نُقرة القفا * قال ما تقول فيمن تيمّم ثم رأى
روضا * قال بطل تيممه فليتوضأ * الروض ههنا جمع روضة و هي
الصُّبابة تبقى فى الحوض * قال ا يجوز ان يسجُد الرجلُ فى العَذِرة *
قال نعم و ليجانب القذرة * العَذِرة فناء الدار * قال فهل له السجود
على الخلاف * قال لا و لا على احد الاطراف * الخلاف الكمّ * قال
فان سجد على شماله * قال لا بأس بفعاله * الشمال جمع شَمْلة *
قال فهل يجوز السجود على الكُراع * قال نعم دون الذراع * الكراع
ما استطال من الحَرّة * قال ا يصلي على رأس الكلب * قال نعم
كسائر الهَضْب * رأس الكلب ثنيّة معروفة * قال ما تقول فيمن صلى
و عانته بارزة * قال صلاته جائزة * العانة الجماعة من حُمُر الوحش *
قال فان صلى و عليه صوم * قال يُعيد و لو صلى مائة يوم * الصوم
ذرق النَّعام * قال فان حمَل جروًا و صلى * قال هو كما لو حمَل باقلّى *
الجرو الصغار من القثّاء و الرُّمّان * قال ا تصح صلاة حامل القَروة *
قال لا و لو صلى فوق المروة * القروة ميلغة الكلب * قال فان قطر
على ثوب المصلي نَجْو * قال يمضي في صلاته و لا غَرْو * النجو
السحاب الذي قد هَراق ماءه * قال ا يجوز ان يؤُم الرجال مُقنَّع *
قال نعم و مُدرَّع * المقنَّع لابس المغفر و المُدرَّع لابس الدرع *

قال فان أمّهم مَن في يده وقف * قال يعيدون و لو انهم الف * الوقف السوار من العاج او الذبل * و اراد به انه لا يجوز للرجال الايتمام بالنساء * قال فان أمّهم مَن فخذه بادية * قال صلاته وصلاتهم ماضية * الفخذ العشيرة و بادية يسكنون البدو و اختار بعضهم تسكين الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينها و بين الفخذ من الاعضاء * قال فان امّهم الثور الاجمّ * قال صلّ و خلاك ذمّ * الثور السيد و الاجم الذي لا رمح معه * قال ايدخل العصر في صلاة الشاهد * قال لا و الغائب الشاهد * صلاة الشاهد صلاة المغرب سميت بذلك لاقامتها عند طلوع النجم لان النجم يسمى الشاهد * قال أ يجوز للمعذور ان يفطر في شهر رمضان * قال ما رخّص فيه الا للصبيان * المعذور المختون و هو ايضا المعذر * قال فهل للمعرّس ان ياكل فيه * قال نعم بملأ فيه * المعرّس المسافر الذي ينزل في آخر ليلة ليستريح ثم يرتحل * قال فان افطر فيه العراة * قال لاتُنكر عليهم الولاة * العراة الذين تاخذهم العرواء و هي الحمّى برعدة * قال فان اكل الصائم بعد ما اصبح * قال هو احوط له و اصلح * اصبح اى استصبح بالمصباح * قال فان عمد لانّ اكل ليلا * قال ليشمّر للقضاء ذيلا * الليل ولد الحبارى و قيل هو ولد الكروان(؟) قال فان اكل قبل ان تتوارى البيضاء * قال يلزمه و الله القضاء * البيضاء من اسماء الشمس * قال فان استذار الصائم الكيد * قال افطرّ و من احلّ الصيد * الكيد القيء و استذاره استدعاه * قال أ له ان يفطر بالحاح الطابخ * قال نعم لا بطاهى المطابخ * الطابخ الحمّى الصالب * قال فان ضحكت المرأة في صومها * قال بطل صوم يومها * ضحكت

(؟) الليل الانثى من فرخ الحبارى على ما ذكره ابن دريد و قيل هو ولد الكروان و النهار ولد الحبارى *

أُهلها اي حاضت و منه قوله تعالى فضحكت فبشّرناها باسحاق *
قال فان ظهر الجُدَرِيُّ على عرتها * قال تُطهّر ان آذَنَ بمضرَّتها *
العرة اصل الابهام و اصل الثدي ايضا * قال ما تجب في مائة
صباح * قال حِقّتان يا صاح * الصباح الناقة التي تُصبح
في الحلوب * قال فان ملك عَشْر خَناجِر * قال تُخرج شاتين
ولا يُشاجِر * الخناجر النُّوق الغِزارُ واحدتها خنجر و خُنجُور * قال
فان سمح للساعي بحَميمته * قال يا بُشرى له يوم قيامته * الساعي
جابي الصدقة و الحميمة خيار المال * قال ايستحقّ حَمَلَة الاوْزار
من الزكاة جُزءا * قال نعم اذا كانوا غُزًّى * الاوزارُ السلاح و غُزًّى
جمع غازٍ * قال ايجوز للحاجّ ان يعتمر * قال لا ولا ان يختمر * الاعتمار
لبس العمارة و هي العِمامة * و الاختمار لبس الخمار * قال فهل
له ان يقتل الشجاع * قال نعم كما يقتُل السباع * الشجاع الحيّة *
قال فان قتل زمّارة في الحرم * قال عليه بدنة من النَّعم * الزمّارة
النَّعامة و اسم صوتها الزِمّار * قال فان رمى ساق حُرٍّ فجدّلَهُ *
قال يُخرج شاةً بدله * ساق حُرٍّ ذكر القَماريّ * قال فان قتل
أمَّ عوف بعد الاحرام * قال يتصدق بقبضة من طعام * ام عوف
الجرادة * قال ايجب على الحاجّ استصحاب القارب * قال نعم ليسوقهم
الى المشارب * الحاجّ اسم للجمع و الواحدِ و القاربُ طالب الماء
بالليل * قال ما تقول في الحرام بعد السبت * قال قد حلّ في
ذلك الوقت * الحرام المُحرِم و السبت حلق الرأس و حلَّ من
تحليل الحج * قال ما تقول في بيع الكُمَيْت * قال حرام كبيع
الميت * الكُمَيْت الخمر * قال ايجوز بيع الحلّ بلحم الجَمَل * قال
لا ولا بلحم الحَمَل * الحلّ ابن المخاض و لا يحلّ بيع اللحم بالحيوان

سواء كان من جنسه او من غير جنسه * قال أيحلّ بيع الهديّة *
قال لا ولا بيع السبيّة * الهديّة بالتشديد ما يُهدى الى الكعبة و يقال
فيها هَدْية بتسكين الدال و تخفيف الياء و السبيّة الخمر * قال
ما تقول في بيع العقيقة * قال محظور على الخليقة * العقيقة ما
يذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادته * قال أيجوز بيع
الداعي على الراعي * قال لا ولا على الساعي * الداعي بقية
اللبن في الضرع و الساعي جابي الصدقة * قال أيباع الصقر
بالتمر * قال لا ومالك الخلق و الامر * الصقر الدِّبْس * قال
أيشترى المسلمُ سَلَب المسلمات * قال نعم ويورث عنه اذا مات *
السَلَبُ لِحاءُ الشجر وهو ايضا خُوص الثُّمام * قال فهل يجوز
ان يُبتاع الشافع * قال ما لجوازه من دافع * الشافع الشاة التي معها
سَخْلُها * قال أيُباع الابريق على بني الاصفر * قال يكره كبيع
المغفر * الابريق السيف الصقيل الكثير الماء و بنو الاصفر الروم *
قال أيجوز ان يبيع الرجل صَيْفيّه * قال لا ولكن ليبع صَفيّه *
الصيفيّ الولد على الكِبَر * و الصفيّ الناقة الغزيرة الدرّ * قال
فان اشترى عبدا فبان بامّه جراح * قال ما في ردّه جُناح * الامّ
مجتمع الدماغ * قال أتثبت الشُّفعة للشريك في الصحراء * قال
لا ولا للشريك في الصفراء * الصحراء الاتان التي تُمازج بياضها
غُبرة * قال أيحلّ ان يُحمى ماء البئر و الخلا * قال ان كانا في الفلا
فلا * يُحمى يمنع و الخلا الكلأ * قال ما تقول في ميتة الكافر * قال
حِلٌّ للمقيم و المسافر * الكافر البحر و ميتته السمك الطافي فوق
مائه * قال أيجوز ان يُضَحّى بالحُول * قال هو اجدر بالقبول *
الحول جمع حائل * قال فهل يُضحّى بالطالق * قال نعم و يقري

منها الطارق * الطالق الناقة تُرسَل تَرعى حيث شاءت * قال فان ضحّى قبل ظهور الغزالة * قال شاة لحم بلا مُحالة * الغزالةُ الشمس و قال بعضهم يقال طلعت الغزالة و لا يقال غربت * قال أ يحل الكسب بالطَّرْق * قال هو كالقمار بلا فرق * الطرق الضرب بالحصى و هو من افعال الكهنة * قال أ يُسلّم القائم على القاعد * قال محظور فيما بين الاباعد * القاعد التي قعدت عن الحيض و عن الازواج * قال أ ينام العاقل تحت الرقيع * قال أَحْبِبْ به في البقيع * الرقيع السماء و عنى بالبقيع بقيعَ المدينة * قال أيمنَع الذمّيُّ من قتل العجوز * قال معارضته في العجوز لا تجوز * العجوز الخمر و قتلها مَزْجها * قال أ يجوز ان ينتقل الرجل عن عمارة ابيه * قال ما جُوِّز لخامل و لا نبيه * العمارة القبيلة * قال ما تقول في التهود * قال هو مفتاح التزهّد * التَّهوُّد التوبة و منه قوله تعالى انّا هُدْنَا اليك * قال ما تقول في صبر البليّة * قال أَعْظِمْ به من خطيّة * الصبر الحبس و البليّة الناقة تُحبَس عند قبر صاحبها فلا تُسقى و لا تُعلَف الى ان تموت و كانت الجاهلية تزعم ان صاحبها يُحْشَر عليها * قال أ يحل ضرب السفير * قال نعم و الحَمْل على المُستشير * السفير ما تساقطَ من ورق الشجر و المستشير الجمل السَّمين و هو ايضا الجمل الذي يعرف اللاقح من الحائل * قال أيُعزِّر الرجل اباه * قال يفعله البرُّ و لا ياباه * التعزير التعظيم و النصرة * قال ما تقول فيمن افقر اخاه * قال حبّذا ما توخّاه * افقره اعاره ناقة يركب فقارها * قال فان اعرى ولده * قال يا حُسن ما اعتمده * اعراه اعطاه ثمرة نخله عاما * قال فان اصلى مملوكه النار * قال لا إثم عليه و لا عار * المملوك العجين الذي قد اجيد عجنه حتّى قوي *

قال ا يجوز للمرأة ان تصوم بعلها * قال ما حظر احد فعلها * البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الارض * قال فهل تؤدب المرأة على الخجل * قال اجل * الخجل سوء احتمال الغني (§) قال ما تقول فيمن نحت أثلة اخيه * قال اثم و لو اذن له فيه * نحت اثلته اذا اغتابه و قدح في عرضه * قال ايحجر الحاكم على صاحب الثور * قال نعم ليأمن غائلة الجور * الثور الجنون * قال فهل له ان يضرب على يد اليتيم * قال نعم الى ان يرشد و يستقيم * يقال ضرب على يده اذا حجر عليه * قال فهل يجوز ان يتخذ له ربضا * قال لا و لو كان لمرضا * الربض الزوجة * قال فمتى يبيع بدن السفيه * قال حين يرى له الحظ فيه * البدن الدرع القصيرة * قال فهل يجوز ان يبتاع له حشا * قال نعم اذا لم يكن مغشي * الحش النخل المجتمع * قال ا يجوز ان يكون الحاكم ظالما * قال نعم اذا كان عالما * الظالم الذي يشرب اللبن قبل ان يروب و يخرج زبده * قال ا يستقضى من ليست له بصيرة * قال نعم اذا حسنت منه السيرة * البصيرة ههنا الترس * قال فان تعرى من العقل * قال ذاك عنوان الفضل * العقل ضرب من الوشي * قال فان كان له زهو جبار * قال لا انكار و لا اكبار * الزهو البسر الملون و الجبار النخل الذي فات اليد و ضده القاعد (†) * قال ا يجوز ان يكون الشاهد مريبا * قال نعم اذا كان اريبا * المريب الذي يكثر عنده اللبن الرائب * قال فان بان انه لاط * قال هو كما لو خاط * لاط الحوض اذا طينه * قال فان عثر على

(§) الغني و منه قوله عليه السلام للنساء انكن اذا جعتن دقعتن و اذا شبعتن خجلتن *

(†) فات اليد و القاعد من النخل ضدها *

انه غربل * قال تُردُّ شهادته ولاتُقبل * غربل اى قتل * (§)
قال فان وضح انه مائن * قال هو وصف له زائن *
المائن ههنا الذي يعول و يكفى المؤنة من مان يمون * قال
ما يجب على عابد الحق * قال يحلّف بالله الخالق * العابد ههنا
الجاحد و الحق الدّين * قال ما تقول في من فقأ عين بلبل عامدا *
قال تُفقأ عينه قولا واحدا * البلبل الرجل الخفيف * قال فان جرح
قطاة امرأة فماتت * قال النّفس بالنّفس اذا فاتت * القطاة
مابين الوركين * قال فان ألقت الحامل حشيشا من ضربه * قال
ليكفر بالاعتاق عن ذنبه * الحشيش الجنين الملقى ميتا * قال
ما يجب على المختفي فى الشرع * قال القطع لاقامة الردع *
المختفي نبّاش القبور * قال فان سرق ثمينا من ذهب * قال لاقطع
كما لو غصب * الثمين الثّمن كما يقال فى النصف نصيف و فى
السدُس سديس * قال فان بان على المرأة السرق * قال لاحرج عليها
ولافرق * السرق الحرير الابيض * قال أ ينعقد نكاح لم تشهده القواري *
قال لا و الخالق البارئ * القواري الشهود لانهم يقرون الاشياء اى
يتتبّعونها * قال ما تقول في عروس باتت بليلة حرّة * ثم ردّت في
حافرتها (†) بسُحْرة * قال يجب لها نصف الصّداق * و لا تلزمها عدّة
الطلاق * يقال باتت العروس بليلة حرّة اذا امتنعت على زوجها
فان افتضّها قيل باتت بليلة شيباء و الرد فى الحافرة بمعنى الرجوع
فى الطريق الاول و كنى به عن طلاقها و ردها الى اهلها * فقال له
السائل لله درّك من بحر لايغضغضه الماتح * و حبر لايبلغ مدحه

(§) قتل و منه قول الراجز * ترمي الملوك حوله مغربلة *

(†) ثم ردت على حافرتها - ثم عادت على حافرتها *

المادح * ثم أطرق اطراق الحيي * وارمّ ارمام العيّ * فقال له ابو زيد ايهٍ يا فتى * فالى متى والى متى * فقال انه لم يبق في كنانتي مرماة * ولا بعد اشراق صبحك مماراة * فبالله اى ابنِ ارضٍ انتَ * فما احسن ما آبنتَ * فانشد بلسان ذَلِق * وصوتٍ صَهصَلِق * نظم

آنا في العالم مُثلَه * ولاهل العلم قِبلَه
غير أنّي كلّ يوم * بين تعريسٍ و رحلَه
و الغريب الدار لو حـ * ـلّ بطوبى لم تطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هُدِيَ و يهدي * فاجعلهم ممن يهتدي و يُهدي * فساق اليه القوم ذَوْدًا مع قَيْنة * و سألوه ان يزورهم الفَيْنَةَ بعد الفَيْنَةَ * فنهض يُمنّيهم العود * و يُزجِي الامَة و الذَّود * قال الحارث بن همام فاعترضته وقلت له عهدي بك سفيها * فمتى صرت فقيها * فظلّ هُنَيّةً يجول * ثم انشأ يقول * نظم

لبستُ لكل زمان لَبُوسا * ولابستُ صرفَيْه نُعمى و بُؤسا
و عاشرت كل جليس بما * يُلائِمه لأروقَ الجليسا
فعند الرواةُ أُدير الكلام * وبين السقاةُ آدير الكؤسا
وطَورا بوَعْظي أُسيل الدموع * و طورا بلَهْوي أَسرُّ النفوسا
و اقرى المَسامع إمّا نطقت * بيانا يقود الحَرُونَ الشمُوسا
و ان شئتُ أُرعِف كفّي اليَراع * فساقَط دُرًّا يُحلّي الطُّروسا
و كم مشكلات حَكَين السُّها * خَفاءً فصِرن بكشفي شُموسا
وكم مُلَحٍ لي خَلَبْنَ العقول * و آسَرْنَ في كل قلب رسيسا
و عذراءَ فُهْتُ بها فانثنى * عليها الثناء طليقا حبيسا
على انني من زماني خُصِصْتُ * بكيد و لا كيدِ فرعونَ موسى

يُسعّـــرُ لي كل يوم وغًى * اطا من لظاها وطيسا وطيسا
ويطرُقني بالخطوب التي * يُذبن الثُّرى و يُشبن الرؤسا
ويُدني الى البعيدَ البغيضَ * ويبعد عني القريب الانيسا
ولولا خســاسةُ اخلاقه * لما كان حظّي منه خسيسا

فقلت له خفّض الاحزان * ولا تلُم الزمان * واشكر لمن نقلك عن مذهب ابليس * الى مذهب ابن إدريس * فقال دع الهِتار * ولا تهتك الاستار * وانهض بنا لنضرب * الى مسجد يثرب * فعسى ان نرحض بالمزار * درن الاوزار * فقلت هيهات ان اسير * او أفقه التفسير * فقال تالله لقد اوجبتَ ذمما * وطلبت اذ طلبت أمما * فهاكَ ما يشفي النفس * وينفي اللّبس * قال فلما اوضح لي المعمّى * وكشف عني الغُمّى * شددنا الاكوار * وسرت وسار * ولم ازل من مُسامرته * مدة مُسايرته * فيما انساني طعم المَشقّة * ووَدِدتُ معه بُعدَ الشُّقّة * حتى اذا دخلنا مدينة الرسول * وفُزنا من الزيارة بالسؤل * اشأمَ وأعرقتُ * وغرّب وشرّقتُ *

المقامة الثالثة والثلثون التفليسية

اخبر الحارث بن همام * قال عاهدتُ الله تعالى منذ يفعت * ان لا أؤخّر الصلاة ما ستطعت * فكنت مع جَوب الفلوات * ولهو الخلَوات * أراعي اوقات الصلوات * وأحاذر من مأثم الفوات * واذا رافقت في رِحلة * او حللت بمحلّة * مرحبت بصوت الداعي اليها * واقتديت بمن يُحافظ عليها * فاتفق حين دخلت تفليس * ان صلّيت مع عُصبة مفاليسَ * فلما قضينا

الصلاة * و آزمعنا الانفلات * برز شيخ بادي اللّقوة * بالي الكسوة و القوة * فقال عزمت على من خُلِق من طينة الحُرِّيَة * و تفوّق دَرَّ العصَبية * إلّا ما تكلف لي لُبْثة * و استمع مني نفثة * ثم له الخيار من بعد * و بيده البذل و الرد * فعقد له القوم الحُبا * و رسَوْا امثال الرُّبا * فلما آنسَ حسنَ انصاتهم * و رزانةَ حصاتهم * قال يا أولي الابصار الرامقة * و البصائر الرائقة * اما يغني عن الخبر العيان * و ينبئ عن النار الدخان * شَيْب لائح * و ضعف بائح * و وهن فادح * و داء واضح * و الباطن ففاضح * و لقد كنت و الله من مَلك و مالَ * و ولي و آلَ * و رفد و نال * و وصل و صال * فلم تزل الجوائح نُسْحِتُ * و النوائب تَنْحِتُ * حتى الوكر قَفْر * و الكف صِفْر * و الشعار ضُرّ * و العيش مُرّ * و الصبيَة يتضاغون من الطّوى * و يتمنّون مُصاصَة النّوى * و لم اقُمْ هذا المقامَ الشائن * و اَكْشف لكم الدفائن * الا بعد ما شقيت و لقيت * و شبتُ مما لقيت * فليتني لم اكُن بقيت * ثم تأوّهَ تأوُّهَ الاسيف * و انشد بصوت ضعيف * نظم

اشكو الى الرحمن سبحانه * تقلُّبَ الدهر و عُدوانه
و حادثات قرعت مروتي * و قوّضت مجدي و بُنيانه
واهتصرت عُودي و يا ويل من * تهتصر الاحداثُ اغصانه
و امحلت رَبعي حتى جلت * من ربعيَ المُمحل جِرذانه
و غادرتني حائرا بائرا * أكابد الفقر و اشجانه
من بعد ما كنت اخا ثروة * يسحب في النعمة اردانه
يختبط العافون اوراقه * و يحمد السارون نيرانه
فاصبح اليوم كأن لم يكن * اعانه الدهر الذي عانه

و ازورَّ من كان له زائراً * و عافَ عافي العُرفِ عِرفانَه
فهل فتىً يحزنُه ما يرى * من ضرِّ شيخٍ دهره خانه
فيفرج الهمَّ الذي همَّه * و يُصلِح الشانَ الذي شانه

قال الراوي فصبَت الجماعة الى ان تستثبتَه * لتستنجِش خبأتَه * و تستنفِض حقيبتَه * فقالت له قد عرفنا قدر زنتك * و رأينا درَّ مُزنتك * فعرِّفنا دوحةَ شُعبتك * واحسِر اللثامَ عن نسبتك * فاعرض اعراضَ من مُنِيَ بالاعنات * او بُشِّر بالبنات * و جعل يلعن الضرورات * و يتأفَّف من تغيُّض المروَّات * ثم انشد بلفظ صادع * و جَرسٍ خادع * نظم

لَعَمرك ما كل فرعٍ يدلُّ * جناه اللذيذُ على اصلهِ
فكل ما حَلا حين تُؤتى به * و لا تسأل الشهدَ عن نَحلهِ
وَمَيِّز اذا ما اعتصرتَ الكرومَ * سُلافَةَ عصرِكَ من خَلِّهِ
لتُغلي و تُرخص عن خِبرةٍ * و تشري كلاًّ شرى مثلهِ
فعارٌ على الفطِن اللَّوذَعي * دخولُ الغَميزة في عقلهِ

قال فازدهى القوم بذكائه * و دهائه * و اختلبهم بحسن ادائه * مع دائه * حتى جمعوا له خبايا الخُبن * و خَفايا الثُّبَن * و قالوا له يا هذا انك حُمتَ على رَكيّةٍ بَكيّة * و تعرَّضت لخَليّةٍ خليّة * فخُذ هذه الصُّبابة * و هبها لاخطأً و لا إصابة * فنزل قُلُّهم منزلة الكُثر * و وصل قبوله بالشكر * ثم تولى يجُرُّ شِقَّه * و يذهَب بالخبط طُرُقَه * قال المُخبِر بهذه الحكاية * فصُوِّر لي انه مُحيل لحِليته * متصنِّع في مشيته * فنهضتُ انهجُ مِنهاجَه * و اقفوا دِراجه * و هو يَلحظني شَزرا * و يوسعني هَجرا * حتى اذا خلا الطريق * و امكَن التحقيق * نظر اليَّ نظر من هشَّ و بشَّ *

و ماحَض بعد ما غشَّ * و قال اني لَاخالك اخا غُربة * و رائدَ صحبة * فهل لك في رفيق يرفُق بك و يرفق * و ينفُق عليك و يُنفق * فقلت له لو آتاني هذا الرفيق * لَوَاتاني التوفيق * فقال لي قد وجدتَ فاغتبط * و استكرمتَ فارتبط * ثم ضحك مَلِيًّا * و تمثّل لي بشرا سويًّا * فاذا هو شيخنا السروجي لا قلبة بجسمه * و لا شُبهة في وَسمه * ففرِحت بلُقيته * و كَذب لَقوته * و همِمت بملامته على سوء مقامته * فشحا فاه * و انشد قبل آن آلحاه * نظم

ظهرتُ بزيٍّ لكيما يقال * فقير يُزَجِّي الزمانَ المُزَجَّى
و اظهرتُ للناس ان قد فُلجتُ * فكم نال قلبي به ما ترجَّى
و لو لا الرقاعة لم يُرثَ لي * و لو لا التفالُجُ لم آلقَ فُلجا

ثم قال انه لم يبق بهذه الارض مَرتع * و لا في اهلها مَطمع * فان كنت الرفيق * فالطريقَ الطريقَ * فسرنا منها متجرِّدين * و رافقته عامين اجرَدَين * و كنت على ان اصحبه ما عشتَ * فابى الدهر المُشتِّت *

المقامة الرابعة و الثلثون الزبيدية

حكى الحارث بن همام * قال لما جبتُ البيدَ * الى زَبيدَ * صحبني غلام كنت ربّيته الى ان بلغ أشُدَّه * و ثقّفته حتى اكمل رُشده * و كان قد أنِس باخلاقي * و خبَر مجالب وِفاقي * فلم يكن يتخطى مَرامي * و لا يُخطِئ في المرامي * لاجرم ان قُربه الناطت بصفوي * و اخلصته لحضري و سفري * فالوى به الدهر المُبيد * حين ضمّتنا زَبيد * فلما شالت نعامته * و سكنت نامته * بقيت

عاما * لا أُسيغ طعاما * و لا أُريغ غلاما * حتى الجأتني شوائبُ الوحدة * و متاعب القومة و القعدة * الى ان اعتاض عن الدر الخرز * و ارتاد من هو سداد من عوز * فقصدتُ من يبيع العبيد * بسوق زبيد * و قلت اريد عبدا يُعجب اذا قُلِّبَ * و يُحمد اذا جُرِّب * و ليكن ممن خرَّجه الأكياس * و اخرجه الى السوق الافلاسُ * فاهتزّ كل منهم لمطلبي و وَثَبَ * و بذل تحصيله عن كَثَب * ثم دارت الاهلّة دُوَرَها * و تقلّبت كُوَرها و حُوَرها * و ما نُجِز من وعودهم وعد * و لا سحّ لها رعد * فلما رأيت النخّاسين * ناسين او متناسين * علمت ان ليس كل من خلق يفري * و ان لن يحُكَّ جلدي مثل ظُفري * فرفضتُ مذهب التفويض * و برزتُ الى السوق بالصُّفر و البيض * فاني لأستعرِض الغلمان * و استعرِف الاثمان * اذ عارضني رجل قد اختطم بلثام * و قبض على زند غلام * و قال * نظم

من يشتري مني غلاما صنَعا * في خَلقه و خُلقه قد برعا
بكل ما نُطتَ به مُضطلعا * يشفيك ان قال و ان قلتَ وعى
و ان تُصبك عثرة يقُل لعا * و ان تسُمه السعيَ في النار سعى
و ان تُصاحبه و لو يوما رعى * و ان تُقذِّعه بظلف قنعا
هو على الكَيس الذي قد جمعا * ما فاه قط كاذبا و لا ادّعى
و لا اجاب مطمَعا حين دعا * و لا استجاز نثّ سرٍّ أُودِعا
و طالما ابدع فيما صنعا * و فاق في النثر و في النظم معا
و الله لولا ضَنك عيش صدَعا * و صِبية اضحَوا عُراةً جُوَّعا
مابِعتهُ بمُلك كسرى اجمعا

قال فلما تاملت خلقه القويم * و حُسنه الصميم * خِلته من

ولدان جنة النعيم * و قلت ما هذا بشرا إن هذا الا مَلَك كريم *
ثم استنطقتُه عن اسمه * لا لرغبة في علمه * بل لانظر اين فصاحته
من صباحته * و كيف لهجته من بهجته * فلم ينطق بحلوة
و لا مُرّة * و لا فاه فوهة ابن أمة و لا حُرّة * فضربتُ عنه صفحا *
و قلتُ قُبحا لعيّك و شُقحا * فغار في الضحك و انجد *
ثم انغض رأسه اليّ و انشد * نظم

يامن تلهّبَ غيظه أنْ لم أبحْ * باسمي له ما هكذا مَن ينصفُ
ان كان لا يُرضيك الا كشفه * فاصغِ له انا يوسفُ انا يوسفُ
و لقد كشفتُ لك الغطاء فان تكن * فطِنًا عرفتَ و ما إخالك تعرفُ

قال فسرى عنّي بشعره * و استبى لُبّي بسحره * حتى شُدهتُ
عن التحقيق * و أُنسيتُ قصة يوسف الصديق * و لم يكن لي هم
الا مُساوَمة مولاه فيه * و استطلاع طلع الثمن لأوفّيه * و كنت
احسبُ انه سينظر شزرا اليّ * و يُغلي السيمة عليّ * فما حلق
الى حيث حلقتُ * و لا اعتلق بما به اعتلقتُ * بل قال ان
العبد اذا نزر ثمنه * و خفّتْ مؤنته * تبرّك به مولاه * و التحفَ
عليه هواه * و اني لاؤثر تحبيبَ هذا الغلام اليك * بان اخفّفَ
ثمنه عليك * فزِنْ مائتي درهم ان شئتَ * و اشكر لي ما حبيتُ *
فنقدته المبلغ في الحال * كما يُنقد في الرخيص الحلال * و لم
يخطُر لي ببال * ان كل مُرخَص غال * فلما تحققت الصّفقة *
وحقّت الفُرقة * هملتْ عينا الغلام * و لا همولَ دمع الغمام * ثم
اقبل على صاحبه و قال * نظم

لحاك اللـهُ هل مثلي يُباع * لكيمــا تشبعَ الكرشُ الجياع
و هل في شِرعة الانصاف اني * أكلّـف خُطّـةً لا تُستطاع

وان أبلى بروع بعد روع * ومثلي حين يبلى لا يراع
اما جربتني فخبرت مني * نصائح لم يمازجها خداع
وكم ارصدتني شركا لصيد * فعدت وفي حبائلي السباع
ونطت بي المصاعب فاستقادت * مطاوعة وكان بها امتناع
وأي كريهة لم أبل فيها * وغنم لم يكن لي فيه باع
وما ابدت لي الايام جرما * فيكشف في مصارمتي القناع
ولم تعثر بحمد الله مني * على عيب يكتم او يذاع
فاني ساغ عندك نبذ عهدي * كما نبذت برايتها الصناع
ولم سمحت قرونك بامتهاني * وان أشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عرضي عنه صوني * حديثك يوم جد بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا * سكاب فما يعار ولا يباع
فما انا دون ذاك الطرف لكن * طباعك فوقها تلك الطباع
على اني سانشد عند بيعي * اضاعوني واي فتى اضاعوا

قال فلما وعى الشيخ ابياته * وعقل مناغاته * تنفس الصعداء * وبكى حتى ابكى البعداء * ثم قال لي اني أحل هذا الغلام محل ولدي * ولا أميزه عن افلاذ كبدي * ولولا خلو مراحي * وخبو مصباحي * لما درج عن عشي * الى ان يشيع نعشي * وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين * والمؤمن هين لين * فهل لك في تسلية قلبه * وتسرية كربه * بان تعاهدني على الاقالة فيه متى استقلت * وان لا تستثقلني اذا تثقلت * ففي الاثار المنتقاة * المروية عن الثقات * من اقال نادما بيعته * اقال الله عثرته * قال الحارث بن همام فوعدته وعدا ابرزه الحياء * وفي القلب اشياء * فاستدناني حينئذ الغلام اليه * وقبل ما بين عينيه *

و انشد و الدمع يرفضّ من جفنيه * نظم

خفّض فدتك النفسُ ما تلاقي * من بُرحاء الوجد و الاشفاق
فما تطول مدةُ الفراق * ولا تَني ركائبُ التلاقي
بحُسن عون القادر الخلّاق

ثم قال له استودعك مَنْ هو نعمَ المولى * و شمّر ذيله وولّى * فلبث الغلام في زفير و عويل * ريثما يقطع مدى ميل * فلما استفاق * و كفكف دمعه المهراق * قال اتدري لم اعولتُ * و علامَ عوّلت * فقلت اظُن فراق مولاك * هو الذي ابكاك * فقال انك لفي واد * و انا في واد * و لكم بين مُريد و مُراد * ثم انشد * نظم

لم أبكِ و الله على إلفٍ نزح * و لا على فوت نعيم و فرح
و انما مَدمعَ اجفاني سفح * على غبيّ لحظه حين طمح
وَرَطه حتى تعدّى و افتضح * وضيّع المفقوشة البيض الوضح
ويكَ اما اناجتك هاتيك المُلَح * بانني حرّو بيعي لم يُبح
اذ كان في يوسف معنًى قد وضح

قال فتمثّلت مقاله في مرأة المداعب * و مَعرض الملاعب * فتصلّبَ تصلّب الأحمق * و تبرّأ من طينة الرق * فجعلنا في مخاصمة اتصلتْ بملاكمة * و افضت الى محاكمة * فلما اوضحنا للقاضي الصورة * و تلونا عليه السورة * قال الا ان من أنذر * فقد اعذر * و من حذّر * كمن بشّر * و من بصّر فما قصّر * و ان فيما شرحتماه لدليلا على ان هذا الغلام قد نبّهك فما آرعوَيْتَ * و نصح لك فما وعيْت * فاستدر بلهك واكتُمْه * و لُمْ نفسك و لا تَلُمْه * و حذارِ من اعتلاقه * والطمع في استرقاقه * فانه حُرٌّ الاديم *

غير معرّض للتقويم * و قد كان ابوه احضره امس * قُبيل أفول الشمس * و اعترف بانه فرعه الذي انشاه * و انْ لا وارث له سواه * فقلت للقاضي اوَ تعرف اباه * اخزاه الله * فقال و هل يُجهَل ابو زيد الذي جُرحهُ جُبار * و عند كل قاض له إِخبار و أَخبار * فتحرَّقتُ حينئذ و حَوقلتُ * و افقتُ و لكن حين فات الوقت * و ايقنْت ان لثامه كان شَرك مَكيدته * و بيت قصيدته * فنكّس طرفي ما لقيت * و آليت ان لا أُعامِل متلثّما ما بقيتُ * و لم ازلْ اتأوه لخُسر صفقتي * و الافتضاح بين رُفقتي * فقال لي القاضي * حين رای امتعاضي * و تبين حرّ ارتماضي * يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك * و لا أَجْرم اليك من ايقظك * فاتّعظ بما نابك * و كاتِم اصحابك ما اصابك * و تذكّر ابدا ما دهمك * لتتقيَ الذكرى دراهمك * و تخلّق بخُلُق من ابتُلي فصبر * و تجلّت له العبر فاعتبر * فودّعته لابسا ثوب الخجل و الحزن * ساحبا ذيلَ الغَبْن و الغَبَن * و نويتُ مكاشفة ابي زيد بالهَجر * و مُصارمته يدَ (†) الدهر * فجعلت اتنكّب عن ذراه * و اتجنّب ان اراه * الى ان غشِيَني في طريق ضيّق * فحيّاني تحيّة شَيّق * فما زدتُ على ان عبَست * و ما نبَست * فقال ما بالك شامخا (§) بانفك * على إِلفك * فقلت أ نسيت انك احتلْتَ و ختّلتَ * و فعلت فعلتك التي فعلت * فأضرط بي متهازيا * ثم انشد متلافيا * نظم

يا من بدا منه صُدو * دٌ مُوحش و تجهُّم
و غدا يرشّ مُلاوما * من دونهن الاسهُم

(†) مدى (§) بالك شمخت بانفك *

ويقول هل حرٌّ يُباع كما يُباع الأَدْهَم
أَفَصِرْ نمـا انا فيه بِدْعاً مثلَ ما تتوهَّم
قد باعت الاسباط قبلي يوسفا وهُمُ هُمُ
هذا وأُقسم بالتي يُسْري اليها المُتْهِم
والطائفين بها وهم شُعْثُ النواصي سُهَّم
ماقمت ذا الموقف المخزي وعندي درهم
فاعذرْ اخاك وكُفَّ عنه ملام من لا يفهم

ثم قال اما معذرتي فقد لاحت * و اما دراهمك فقد طاحت * فان كان اَشْعرَك مني * و ازْوارك عني * لفرط شَفقتك * على عُبَّر نفقتك * فلست ممن يلسَع مرتَيْن * و يوطِئ (‡) على جمرتَيْن * و ان كنت طويت كشْحك * واطعت شُحَّك * لتستنقذ ما علِق باشراكي * فلابْك على عقلك البواكي * قال الحارث بن همام فاضطَّرني بلفظه الخالب * وسحره الغالب * الى ان عُدتُّ له صفِيّاً * و به حفِيّاً * و نبذت فعلته ظهْرِيّاً * و ان كانت شيأً فرِيّاً *

المقامة الخامسة و الثلثون
الشيرازية

روي الحارث بن همام قال مررت في تَطْوافي بشيراز * على نادٍ يستوقف المجتاز * و لو كان على اوفاز * فلم اَستطع تعدِّيه * و لاخَطَتْ قدمي في تخطِّيه * فعُجْت اليه لاَسْبك (§) سرَّ جوهره * و انظر

(‡) ممن يسلع من جحر مرتين * و يوطا على جمرتين * وفي بعض النسخ ولا يوطي * (§) لاسبر *

كيف ثمرة من زهره * فاذا اهله أفراد * و العائج اليهم مُفاد * و بينما
نحن في مُفاكهة اطرب من الاغاريد * و اطيبَ من جنى العناقيد *
اذ احتفّ (†) بنا ذو طمرين * قد كاد يناهز العُمُرين * فحيّى بلسان
طليق * و ابان إبانة منطيق * ثم احتبى حَبْوة المتندّين * و قال
اجعلوا الالم من المهتدين * فابدوا له الجفوة لطِمْرته * و نسوا ان
المرء باصغريه * و اخذوا يتداعون فصلَ الخطاب * و يعدّون عُودَه
من الاحطاب * و هو لا يُغيض (‡) بكلمة * و لا يُبين عن سمة *
الى انَ سبر قرائحهم * و خبر شائلهم و راجحهم * فحين استخرج
دَفائنهم * و استنثل كنائنهم * قال يا قوم لو علمتم ان وراء
الفِدام * صفو المُدام * لما احتقرتم ذا أخلاق * و قلتم ما له من
خلاق * ثم فجّر من ينابيع الادب * و النُّكت النُّخَب * ما
جلب به بدائع العجب * و استوجب ان يُكتب بذَوْب
الذهب * فلما خلَب كل خلْب * و قلَب اليه كل قلب *
تحلحل * ليرحل * و تأهب * ليذهب * فعلقت الجماعة بذيله *
و عاقت مَسْرَب سيله * و قالت له قد اريتنا وَسم قدْحك *
فخبّرنا عن قَيضك و مَحّك * فصمَت صُموتَ من أفحم * ثم أعول
حتى رُحم * قال الراوي فلما رأيت شوب ابي زيد و روبه *
و أسلوبه المالوف و صوبه * تأمّلت الشيخ على سُهومة مُحيّاه *
و سُهوكة ريّاه * فاذا هو ايّاه * فكتمتُ سرّه كما يُكتم الداء الدخيل *
و سترتُ مكره و ان لم يكن بخيل * حتى اذا نزع عن اعواله * و قد
عرف عُثوري على حاله * رمقني بعين مضحاك * ثم طفق ينشد
بلسان متباك * نظم

(†) اذ هتف * (‡) يفيض *

استغفر الله و أعذوله * من فرطات أثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتق عانس * ممدوحة الاوصاف في الأندية
قتلتها لا أتقي وارثا * يطلب مني قودا أرديه
و كلما استذنبت في قتلها * احلت بالذنب على الاقضيه
و لم تزل نفسي في غيها * و قتلها الابكار مستشريه
حتى نهاني الشيب لما بدا * في مفرقي عن تلكم المعصيه
فلم أرق مذ شاب فودي دما * من عاتق يوما و لا مصبيه
و ها انا الان على ما يرى * مني و من حرفتي المكديه
أرب بكرا طال تعنيسها * و حجبها حتى عن الاهويه
و هي على التعنيس مخطوبة * كخطبة الغانية المغنيه
و ليس يكفيني لتجهيزها * على الرضا بالدون الا مئه (†)
و اليد لا توكي على درهم * و الارض قفر و السماء مصحيه
فهل معين لي على نقلها * مصحوبة بالقينة الملهيه
فيغسل الهم بصابونه * و القلب من افكاره المضنيه
و يقتني مني الثناء الذي * تضوع رياه مع الأدعيه (‡)

قال فلم يبق في الجماعة الا من نديت له كفه * و انباع اليه عرفه * فلما نجحت بغيته * و كملت مئته * اخذ يثني عليهم بصالح * و يشمر عن ساق سارح * فتبعته لاستعرف ربيبة خدره * و من قتل في حدثان امره * فكان وشك قيامي * مثل له مرامي * فازدلف مني * و قال افقه عني * نظم

فقل مثلي يا صاح مزج المدام * ليس قتلي بلهذم او حسام
و التي عنست هي البكر بنت الـ * ـكرم لا البكر من بنات الكرام

(†) مائة * (‡) على الادعيه * مع الاذديه *

ولتجهيزها الى الكاس والطاس قيامي الذي ترى ومُقامي
فتفهمّ ما قلته وتحكّـمْ * في التغاضي ان شئت او في الملام
ثم قال انا عِربيد * وانت رِعْديد * وبيننا بَوْنٌ بعيد * ثم
ودّعني وانطلق * وزوّدني نظرةً من ذي علَق *

المقامة السادسة والثلثون الملطية

اخبر الحارث بن همام قال انَخْت بمَلْطِيَةَ مطيّة البين * وحقيبتي
مَلْأى من العين * فجعلت هِجّيراي * مذ القيت بها عصاي *
ان اتورد موارد المرح * واتصيّد شوارد المُلَح * فلم يفُتْني بها منظر
ولا مسمع * ولا خلا مني ملعب ولا مَرْتع * حتى اذا لم يبق
لي فيها مأرَب * ولا في الثواء بها مَرْغَب * عمدتُّ لانْفاق الذهب *
في ابتياع الاُهَب * فلما اكملت الاعْداد * وتهيّأ الظعن منها
او كاد * رأيت تسعة رهط قد سبأوا قهوة * وارتبأوا رَبْوةً *
ودماثتُهم تَيِد الالحاظ * ونكاهتهم حلوة الالفاظ * فدعوتهم طلبا
لمُدامَتهم * لا لمدامتهم * وشغفا بممازَجتهم * لا بزُجاجتهم * فلما
انتظمت عاشرَهم * واضحيت مُعاشرِهم * الفيتهم ابناء علّات *
وقذائف فلوات * الا ان لُحمة الادب * قد الّفت شملهم الفة
النسب * وساوت بينهم في الرُّتب * حتى لاحوا مثل كواكب
الجوزاء * وبدَوْا كالجملة المتناسبة الاجزاء * فابتهجني الاهتداء
اليهم * واحمدت الطالع الذي اطلَعني عليهم * وطفقت اُفيض
بقدحي مع قداحهم * واستشفي برِياحهم لا براحهم * حتى
ادّتْنا شُجون المفاوضة * الى التحاجي بالمقايضة * كقولك اذا
عنَيْت به الكرامات * ما مثل النوم فت * فانشأنا نجلو السُّها

و القمر * و نجني الشوك و الثمر * و بينا نحن ننشر القشيب و الرثّ * و ننشل السمين و الغثّ * طلع علينا شيخ قد ذهب حبره و سبره * و بقي خبره و سبره * فمثل مثول من يسمع و ينظر * و يلتقط ما ننثر * الى ان نفضت الاكياس * و حصحص الياس * فلما رأى إجبال القرائح * و إكداء الماتح و المائح * جمع اذياله * و ولانا قذاله * و قال ما كل سوداء تمرة * و لا كل صهباء خمرة * فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء بالاعواد * و ضربنا دون وجهته بالاسداد * و قلنا له إن دواء الشقّ ان يحاص * و الا فالقصاص القصاص * فلا تطمع في ان تجرح * و تنهر الفتق و تسرح * فلوى عنانه راجعا * ثم جثم بمكانه راصعا * و قال اما اذا استذرتموني بالبحث * فساحكم حكم سليمان في الحرث * اعلموا يا ذوي الشمائل الادبيّة * و الشمول الذهبيّة * ان وضع الاحجيّة * لامتحان الالمعيّة * و استخراج الخبيئة الخفيّة * و شرطها ان تكون ذات مماثلة حقيقيّة * و الفاظ معنويّة * و لطيفة ادبيّة * فمتى نافت هذه النمط * ضاهت السقط * و لم تدخل السفط * و لم اركم حافظتم على هذا الحدود * و لا ميزتم بين المقبول و المردود * فقلنا له صدقت فكل لنا من لبابك * و افض علينا من عبابك * فقال افعل لئلا يرتاب المبطلون * و يظنّوا بي الظنون * ثم قابل ناظورة القوم و قال * نظم

يا من سما بذكاء * في الفضل واري الزناد
ما ذا يماثل قولي * جوع امدّ بزاد

ثم ضحك الى الثاني و انشد * نظم

يا ذا الذي فاق فضلا * و لم يدنّسه شين

ما مثل قول المحاجي * ظهر اصابته عين

ثم لحظ الثالث و انشا يقول * نظم

يا من نتائج فكره * مثل النقود الجائزه
ما مثل قولك للذي * حاجيت صادف جائزه

ثم أتلع الى الرابع وقال * نظم

ايا مستنبط الغامض * من لغز و إضمار
الا اكشف لي ما مثل * تداول الف دينار

ثم رمى الخامس ببصره و انشد * نظم

يا ايها الالمعي * اخو الذكاء المحاجي
ما مثل اهمل حلية * بين هديت و عجل

ثم التفت لفت السادس و قال * نظم

يا من تقصر عن مداه * خطا مجاريه و تضعف
ما مثل قولك للذي * اضحى يحاجيك اكفف اكفف

ثم خالج السابع بحاجبه و انشد * نظم

يا من له فطنة تجلت * و رتبة في الذكاء جلت
بين فمارلت ذا بيان * ما مثل قولي الشقيق أفلت

ثم استنصت الثامن و انشد * نظم

يا من حدائق فضله * مطلولة الازهار غضه
ما مثل قولك للمحا * جي ذي الحجى ما اختار فضه

ثم حدج التاسع ببصره و قال * نظم

يا من يشار اليه في الـ * ـقلب الذكي و في البراعه
اوضح لنا ما مثل قو * لك للمحاجي دس جماعه

قال الراوي فلما انتهى الي * هز منكبي * و قال * نظم

يا من له النُكَت التي * يُشجي الخصومَ بها و يبكت
انت المبين فقل لنا * ما مثل قولي خالي اسكت
ثم قال قد انهلتكم و امهلتكم * و ان شئتم ان اعلّكم علّلتكم * قال
فالجانا لهب الغُلل * الى استسقاء العلل * فقال لست كمن
يستاثر على نديمه * و لا ممن سمنه في اديمه * ثم كرّ على الاول
و انشد * نظم

يا من اذا اشكل المعمّى * جلّته افكاره الدقيقه
ان قال يوما لك المحاجي * خذ تلك ما مثله حقيقه

ثم ثنى جيده الى الثاني و قال * نظم

يا من بدا بيانه * عن فضله مبيّنا
ما ذا مثال قولهم * حمار وحش زُيّنا

ثم اوحى الى الثالث بلحظه و قال * نظم

يا من غدا في فضله * و ذكائه كالاصمعي
ما مثل قولك للذي * حاجيت انفق تقمع

ثم حملق الى الرابع و قال * نظم

يا من اذا ما عويص * دجا انار ظلامه
ما ذا يماثل قولي * استنشِ ريح مدامه

ثم اومض الى الخامس و انشد * نظم

يا من تنزّه فهمه * عن ان يُروّى او يشكّى
ما مثل قولك للذي * اضحى يحاجي غطّ هلكى

ثم اقبل قبل السادس و انشأ يقول * نظم

يا اخا الفطنة التي * بان فيها كماله
سار بالليل مدة * اي شيء مثاله

ثم نحا بصره الى السابع و قال * نظم

يا من تحلّى بفهم * اقام فى الناس سوقه
لك البيان فبيّن * ما مثل اَحبب فروقه

ثم قصد قصد الثامن و انشد * نظم

يا من تبوّأ ذروة * فى الفضل فاقت كل ذروة
ما مثل قولك اعط ابـ*ـريقا يلوح بغير عروة

ثم ابتسم الى التاسع و قال * نظم

يا من حوى حسن الدرا * ية و البيان بغيرشك
ما مثل قولك للمحا * جي ذي الذكاء الثور ملكي

ثم قبض بجمعه على ردني و قال * نظم

يا من سما بثقوب فطنته * فى المشكلات و نور كوكبه
ما ذا مثال صغيرِ جفنة * بيّنه تبيانا يتمّ به

قال الحارث بن همام فلما اطربنا بما سمعناه * و طالبنا بكشف معناه * قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان * و لا لنا بحلّ هذه العقد يدان * فان ابنت * مننت * و ان كتمت * غممت * فظل يشاور نفسيه * و يقلّب قدحيه * حتى هان بذل الماعون عليه * فاقبل حينئذ على الجماعة و قال ساعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون * و لا ظننتم انكم تعلمون * فاوكوا عليه الاوعية * و روّضوا به الاندية * ثم اخذ في تفسير صقل به الاذهان * و استفرغ معه الاردان * حتى آضت الافهام انور من الشمس * و الاكمام كان لم تغن بالامس * و لما هم بالمفرّ * سئل عن المقرّ * فتنفّس * كما يتنفّس الثكول * ثم انشأ يقول * نظم

كل شعب لي شعب * و به ربعي رحب

غيرَ اني بسَروجٍ * مستهام القلب صَبُّ
هي ارضى البكر والجـ*ـو الذي منه المهَبُّ
و الى روضتها الغـ*ـنّاء دون الروض اَصبو
ما حلا لي بعدها حُـ*ـلو و لا اعذَوذبَ عذْب

قال الراوي فقلت لاصحابي * هذا ابو زيد السروجي * الذي ادنى مُلَحه الَاحاجي * اخذتُ اَصفُ لهم حسن تَوشِيَته * و انقيادَ الكلام لمشيَّته * ثم التفتُّ فاذا به قد طمَر * و نآء بما قمَر * فعجبنا مما صنَع * و لم ندرِ آين سكَع و صقَع *

تفسير الاحاجي المودعة هذه المقامة

اما جُوعٌ اَمَدَّ بزاد فمثله طَواميِر * و اما ظَهْر اصابته عين فمثله مُطاعين * و اما صادَف جايزة فمثله الفاصلة * و اما تناوَل اَلْف دينار فمثله هاديه * و اما اهملَ حلية فمثله الغاشيه * و اما اكْفُف اكْفُف فمثله مَهْمَه * و اما الشقيق افلتَ فمثله الاَخطار * و اما ما اختار فضة فمثله ابارِقَة لان الرِقَةَ من اسماء الفضة و قد نطق بها النبيُّ صلى الله عليه و سلم فقال في الرِّقة رُبع العُشر * و اما دُسْ جماعةً فمثله طافيه * و اما خاليِّ اسكُت فمثله خالصه لانك اذا ناديتَ مضافا الى نفسك جاز لك حذف الياء و اثباتها ساكنةً و متحركةً و قد حذف هاهنا حرف النداء كما حذفهَ في اصل الأُحجِيَّة* وَصه بمعنى اُسكُت * و اما خُذ تلك فمثله(†) هاتيكْ * و اما حمار وحش زيِّنّا فمثله فرازين لان الفرا حمار الوحش و منه الخبَر كل الصيد في جوف الفرا * و اما قوله انفق تقَمَع فمثله منتقم لان الامر من مانَ يمُون مُن و مضارع وقَمت تَقِم * و اما

(†) فمعناه *

استنشِ ريح مدامة فمثله رحراح لان الامر من استدعاء الرايحة رَحْ * و اما غطّ هلكى فمثله صُنْبور لان البُور هُم الهلكى و في القرآن كنتم قوما بوراً * و اما سار بالليل مدة فمثله سراحين * و اما أحبب فروقة فمثله مقلاع لان الامر من ومِق يَمِق مِق و اللاع الجبان يقال فلان هاعٌ لاعٌ اذا كان جبانا جزوعا * و اما اعط ابريقا يلوح بغير عروة فمثاه أسكوب لان الأوس العطاء و الامر منه أُس والكوب الابريق بغير عروة * و اما التور ملكي فمثله اللآلي لان اللأى على وزن القفا هو ثور الوحش * و اما صفير جحفلة فمثاه مكاشفة لان المكا الصفير قال الله تعالى و ما كان صلواتهم عند البيت الا مُكاءً و تصديةً والاصل في المكا المدّ ولكنه قصره في هذه الأحجية كما حذف همزة الفرا في أحجيّته وكلا الأمرين من قصر الممدود و وحذف همزة المهموز جائز *

المقامة السابعة و الثلثون الصعدية

حكى الحارث بن همام قال أصعدتُ الى صعدةَ * و انا ذو شطاط يحكي الصعدةَ * واشتداد يجدر بذات صعدة * فلما رأيت نضرتها * و رعيتُ خضرتها * سألت نحارير الرواة * عمن تحويه من السراة * ومعادن الخيرات * لاتخذه جذوةً في الظلمات * ونجدةً في الظلامات * فنُعت لي قاضٍ بها رحيب الباع * خصيب الرباع * تميميّ النسب و الطباع * فلم ازل اتقرّب اليه بالالمام * و اتنفّق عليه بالاجمام * حتى صرت صدى صوته * و سلمانَ بيته * و كنت مع اشتيار شهده * و اقتباس زنده * اشهد مشاجر الخصوم * و أسفر بين المعصوم منهم و الموصوم * فبينما القاضي جالس للاسجال * في

يوم المحفل والاحتفال * اذ دخل شيخ بالي الرياش * بادي الارتعاش * فتبصر الحفل تبصُّرَ نقّاد * ثم زعم أنّ له خصما غير مُنقاد * فلم يكن الا كضوء شرارة * اووحي اشارة * حتى أُحضِر غلام * كأنه ضرغام * فقال الشيخ ايّد الله القاضي * وعصمه من التغاضي * ان ابني هذا كالقلم الرديّ * والسيف الصديّ * يجهل اوصافَ الانصاف * ويرضع (†) اخلافَ الخلاف * ان اقدمتُ أحجَمَ(‡) * واذا اعربت أعجم * وان أذكيتُ أخمدَ * ومتى شَويتُ رمّدَ * مع اني كفلته مُذ دَبَّ * الى ان شبَّ * وكنت له الطف مَن رَبّى وربَّ * فاكبر القاضي ما شكا اليه * واطرف به من حوّاليه * ثم قال اشهد ان العُقوق احد الثُّكلَين * ولَرُبَّ عُقْم اقرُّ للعين * فقال الغلام * وقد امَضَّه هذا الكلام * والذي نَصَب القضاة للعدل * وملّكهم أعِنَّة الفضل والفصل * انه ما دعا قط الا امَّنتُ * ولا ادعى الا آمنتُ * ولا لَبّى الا وأحرمتُ * ولا أورى الا وأضرمتُ * بَيْدَ انه كمن يبغي بَيض الأنوق * ويطلب الطَيَران من النوق * فقال له القاضي وبِمَ أعنتك * وامتحن طاعتك * قال انه مذ صفر من المال * ومُنِيَ بالامحال * يسومني ان اتلمَّظ بالسؤال * واستمطر سُحُب النوال * ليفيض شِربه الذي غاض * وينجبر من حاله ما انهاض * وقد كان حين اخذني بالدَّرس * وعلّمني ادب النفس * اشرب قلبي ان الحرص مَتعَبة * والطمع معيَبة (§) والشَّره مَتخَمة * والمسئلة ملأمَة * ثم انشدني من فلْق فيه * ونحت قوافيه * نظم

اِرضَ بادنَى العيش واشكر عليه * شكـــرَ مَن القُلُّ كثيـرٌ لديه

(†) يرتضع (‡) احجم (§) معتبة .

و جانب الحرص الذي لم يزل * يحطّ قدر المترافي اليه
و حام عن عرضك و استبقه * كما يحامي الليث عن لبدتيه
و اصبر على ما ناب من فاقة * صبر أولى العزم و أغمض عليه
و لا تُرِقْ ماء المحيّا و لو * خوّلك المسئول ما في يديه
فالحرّ من ان قذيتْ عينه * أخفى قذى جفنيه عن ناظريه
و من اذا اخلق ديباجه * لم ير ان يُخلق ديباجتيه

قال فعبس الشيخ و اكفهرّ * و اندرأ على ابنه و هرّ * و قال له مه يا عُقق * يا من هو الشجى و الشرق * ويلك أتعلّم أمّك البضاع * و ظئرك الارضاع * لقد تحككت العقرب بالافعى * و استنّت الفصال حتى القرعى * ثم كانه ندم على ما فرط من فيه * وحدته المقة على تلافيه * فرنا اليه بعين عاطف * و خفض له جناح مُلاطف * و قال ويك يا بُنيّ ان من أمر بالقناعة * و زجر عن الضراعة * هم ارباب البضاعة * و اولو المكسبة بالصناعة * فاما ذوو الضرورات * فقد استثني بهم في المحظورات (†) * و هبك جهلت هذا التاويل * و لم يبلغك ما قيل * الست الذي عارض اباه * اذ قال و ما حاباه * نظم

لا تقعدنّ على ضرّ و مسغبة * لكي يقال عزيز النفس مصطبرُ
و انظر بعينك هل ارض معطّلة * من النبات كارض حفّها الشجرُ
فعدّ عما يشير الاغبياء به * فاي فضل لعود ما له ثمرُ
و ارحل ركابك عن ربع ظمئت به * الى الجناب الذي يهمي به المطرُ
و استنزل الريّ من درّ السحاب فان * بُلّت يداك به فليهنك الظفرُ
و ان رددت فما في الرد منقصة * عليك قد ردّ موسى قبل و الخضرُ

(†) فقد سوغوا المحظورات *

فلما رأى القاضي تنافيَ قول الفتى و فعله * و تحلّيه بما ليس من اهله * نظر اليه بعين غَضبى * و قال اتميميًّا مرة و قَيسيًّا آخرى * أُفٍّ لمن ينقُض ما يقول * و يتلوّن كما يتلون الغُول * فقال الغلام و الذي جعلك مفتاحا للحق * و فتّاحا بين الخلق * لقد أُنسيتُ مذ أَسيتُ * و صَدِئ ذهني مذ صَدِيتُ * على انه ابن الباب الفُتُح * و العطاء السُّرُح * و هل بقِي من يتبرّع بالنُّها * و اذا استُطعِم يقول ها * فقال له القاضي انّ مع الخواطي سهم صائب * و ما كل برق خالب * فميز البروق اذا شِمتَ * و لا تشهد الا بما علمتَ * فلما تبين للشيخ ان القاضي قد غضب للكرام * و اعظم تبخيل جميع الانام * علم انه سينصر كلمتَه * و يُظهِر اكرومته * فما كذّب ان نصَب شبكته * و شوى في الحريق سمكته * و انشاء يقول * نظم

يا ايها القاضي الذي علمه * و حلمه ارسخ من رضوى
قد ادعى هذا على جهله * ان ليس في الدنيا اخوجدوى
و ما درى انك من معشر * عطاءهم كالمنّ و السلوى
فجُد بما يثنيه مستخزيا * مما افترى من كذب الدعوى
و انثني جَذلانَ أُثني بما * اوليت من جدوى و من عدوى

قال فهش القاضي لقوله * و اجزل له من طوله * ثم لفَتَ وجهه الى الغلام * و قد نصَل له اسهُم الملام * و قال له أرأيت بُطْلَ زعمك * و خطأَ وهمك * فلا تعجَلْ بعدها بذم * و لا تنحت عودا قبلَ عجْم * و اياك و تأبّيك * عن مطاوعة ابيك * فانك ان عدت تعُقُّه * حاق بك مني ما تستحقُّه * فسقط الفتى في يده * و لاذ بحقو والده * ثم نهض يحفد * و تبعه الشيخ يُنشِد * نظم

من ضامه او ضاره دهره * فليقصد القاضي في صعده
سماحه ازرى بمن قبله * و عدله اتعب من بعده

قال الراوي فحِرتُ بين تعريف الشيخ و تنكيره * الى ان احوروف لمسيره * فناجيت النفس باتباعه * و لوالى رباعه * لعلّي اظهر على اسراره * و اعرف شجرة ناره * فنبذت العلق * و انطلقت حين انطلق * و لم يزل يخطو و اعتقب * و يبعد و اقترب * الى ان ترأى الشخصان * و حق التعارف على الخلصان * فابدى حينئذ الاهتشاش * و رفع الارتعاش * وقال من كاذب اخاه فلا عاش * فعرفت عند ذلك انه السروجي بلا محالة * و لا حُوُول حالة * فبادرت اليه لاصافحه * و استعرف سانحه و بارحه * فقال دونك ابن اخيك البرّ * و تركني و مرّ * فلم يَعْدُ الفتى ان افترّ *
ثم فركما فرّ * فعدت و قد استبنتُ عينهما * و لكن اين هما *

المقامة الثامنة والثلثون المروية

حكى الحارث بن همام قال حُبّبَ الي مذ سعت قدمي * ونفث قلمي * ان اتخذ الادب شرِعة * و الاقتباس منه نجعة * وكنت اُنقبُ عن احباره * و خزنة اسراره * فاذا الفيت منهم بُغية الملتمس * و جذوة المقتبس * شددت يدي بغرزه * و استنزلت منه زكوة كنزه * على اني لم الق كالسروجي في غزارة اُسُحب * و وضع الهناء مواضع النقب * الا انه كان اسير من المثل* و اسرع من القمر في النُّقل * و كنت لهوى ملاقاته * و استحسان مقاماته * ارغب في الاغتراب * و استعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب * فلما تطوّحتُ الى مرو * و لا غرو * بشّرني بملقاه

زجر الطير * و الفال الذي هو بريد الخير * فلم ازل انشده
في المحافل * و عند تلقي القوافل * فلا اجد عنه مخبرا * و لا ارى
له اثرا و لا عثيرا * حتى غلب الياس الطمع * و انزوى التاميل
و انقمع * فاني لذات يوم بحضرة والي مرو * وكان ممن جمع
الفضل و السرو * اذ طلع ابو زيد في خَلَق مِملاق * و خُلُق مَلّاق *
فحيّى الوالي تحية المحتاج * اذا لقِيَ ربَّ التاج * ثم قال له اعلم
وُقيت الذم * و كُفيت الهم * أن من عُذقت به الاعمالُ * اُعلقت
به الامالُ * و من رُفعت له الدرجات * رُفعت اليه الحاجات *
و ان السعيد من اذا قدَرَ * و واتاه القدَرُ * ادّى زكوةَ النِّعم *
كما يؤدّي زكوةَ النَّعم * و التزم لاهل الحُرم * كما يلتزم للاهل و الحرم *
و قد اصبحتَ بحمد الله عميدَ مصرك * و عمادَ عصرك * تُزجى
الركائبُ الى حرمك * وتُرجي الرغائب من كرمك * و تُنزل
المطالب بساحتك * و تُستنزَلُ الراحة من راحتك * و كان فضلَ
الله عليك عظيما * و احسانه لديك عميما * ثم اني شيخ تَرِبَ
بعدَ الاتراب * و عدم الاعشابَ حين شاب * قصدتك من محَلّة
نازحة * و حالة رازحة * آمُلُ من بحرك دُفعة * و من جاهك
رِفعة * و التأميل افضل وسائل السائل * و نائل النائل * فاوجب
لي ما يجب عليك * و احسن كما احسن الله اليك * و اياك
ان تلويَ عذارك * عمّن ازدارك * و أمّ دارك * او تقبض راحك *
عمن امتاحك * و امتار سماحك * فوالله ما مجُدَ من جمد *
ولا رشد من حشد * بل اللبيب من اذا وجدَ جاد * و إن بدأ
بعائدة عاد * والكريم من اذا استُوهبَ الذهب * لم يهَبْ ان يهَبَ *
ثم امسك يرقُب أكل غرسه * و يرصُد مطيبة نفسه * واحبَّ الوالي

ان يعلم هل نُطفته تَنِد * ام لقريحته مدد * فاطرق يروّي في استيراء زنده * و استشفاف فرنده * والتبس على ابي زيد سرُّ صمتته * وسببُ ارجاء صلته * فتوغّر غضبا * و انشد مُقتضبا * نظم

لا تحقرنّ ابيتَ اللعنَ ذا ادبٍ * لان بدا خلَقَ السربال سُبْرُوتا
و لا تُضع لاخي التأميل حرمتَه * اكان ذا لَسنٍ ام كان سكّيتا
وادفع بعُرفك من وافاك مُختبطا * وانعش بغوثك من الفيتَ منكوتا
فخيرُ مال الفتى مالٌ اشادَ له * ذكرا تناقَلَه الركبانُ او صيتا
وما على المشتري حمدا بموهبة * غبن ولو كان ما اعطاه ياقوتا
لولا المُروّة ضاق العذرُ عن فطنٍ * اذا اشرأبّ الى ما جاوز القوتا
لكنه لابتناء المجد جد ومن * حُبّ السماح ثنى نحو الغنى ليتا
وما تنشّق نشرَ الشُّكر ذو كرم * الا وازري بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل لم يُقضَ اجتماعهما * حتى لقد خيل(١) ذا ضبًّا وذا حوتا
والسمحُ في الناس محبوب خلائقُه * والجامد الكف ما ينفك ممقوتا
وللشحيح على امواله علل * يوسعنَه ابدا ذمًّا وتبكيتا
فجُد بما جَمعت كفّاك من نشب * حتى يُرى مجتدي جدواك مبهوتا
وخُذ نصيبك منه قبلَ رائعةٍ * من الزمان تريك العود منحوتا
فالدهر انكد من ان تستمرّ به * حالٌ تكرّهتَ تلك الحالَ ام شئتا

فقال له الوالي تالله لقد احسنت * فاي ولد الرجل انت *

فنظر اليه عن عُرْض * ثم انشد وهو مُغْض * نظم

لاتسألِ المرءَ من ابوه ورُزْ * خلالَه ثم صِلْه او فاصْرِم
فما يشين السُّلاف حين حلا * مذاقُها كونُها ابنة الحِصْرِم

قال فقرّبه الوالي لبيانه الفاتن * حتى احلّه مقعد الخاتن *

---

(١) لقد قيل *

ثم فرض له من سيوب ذيله * ما آذن بطول ذيله * و قصر ليله *
فنهض عنه بردن ملان * و قلب جذلان * و تبعته حاذيا حذوه *
و قافيا خطوه * حتى اذا خرج من بابه * و فصل عن غابه *
قلت له هُنّيتَ بما ارتيت * و مُلّيتَ بما اوليت * فاسفروجهه
و تلالا * و والى شكرا لله تعالى * ثم خطر اختيالا * و انشد
ارتجالا * نظم

من يكن نال بالحماقة حظًّا * او سما قدره لطيب الاصول
فبفضلي انتفعتُ لابفضولي * و بقولي ارتفعتُ لا بقبُولي

ثم قال تعسا لمن جدب الادب * و طوبى لمن جد فيه و دأب * ثم
ودعني وذهب * و اودعني اللهب *

المقامة التاسعة والثلثون العمانية

حدث الحارث بن همام قال لهجتُ مُذ اخضرَّ ازاري * و بقل عذاري *
بان اجوبَ البراري * على ظهور المهاري * أنجدُ طورا * و اسلكُ
تارة غورا * حتى فليتُ المعالم و المجاهل * و بلوت المنازل
و المناهل * و ادميتُ السنابك و المناسم * و انضيت السوابق
و الرواسم * فلما مللتُ الاصحار * و قد سنح لي أرَبٌ بصُحار *
ملت الى اختبار التيار * و اختيار الفلك السيار * فنقلتُ
اليه اساودي * و استصحبت زادى و مزاودي * ثم ركبتُ فيه
ركوب حاذر ناذر * عاذل لنفسه و عاذر * فلما شرعنا فى القُلعة *
و رفعنا الشُّرُع للشرعة * سمعنا من شاطئ المرسى * حين
دجي الليل و اغسى * هاتفا يقول يا اهل ذا الفلك القويم *
المُزجّى في البحر العظيم * بتقدير العزيز العليم * هل اُدُلُّكم

على تجارة تُنجيكم من عذاب اليم * فقلنا له اقبسنا نارك ايها
الدليل * و ارشدنا كما يُرشدُ الخليلَ الخليل * فقال أتستصحبون
ابنَ سبيل * زادُه في زُبيل * وظلُّه غيرُ ثقيل * ما يبغي سوى
مقيل * فاجمعنا على الجنوح اليه * و ان لانبخل بالماعون عليه *
فلما استوى على الفُلک * قال اعوذ بمالک الملک * من مسالک
الهُلک * ثم قال انا رُوِينا فى الاخبار * المنقولة عن الاحبار *
ان الله تعالى ما اخذ على الجهال ان يتعلموا * حتى اخذ على
العلماء ان يعلموا * و إنَّ معي لعُوذة * عن الانبياء ماخوذة *
و عندي لكم نصيحة * براهينها صحيحة * و ما وسعني الكتمان * و لا
من خيمي الحرمان * فتدبَّروا القولَ و تفهَّموا * و اعملوا بما تُعلَّمون
و علِّموا * ثم صاح صيحة المُباهي * و قال اتدرون ما هي * هي و الله
حِرزُ السَّفْر * عند مسيرهم في البحر * و الجُنَّةُ من الغم * اذا
جاش موج اليَمّ * و بها استعصم نوحٌ يوم الطوفان * و نجا و من معه
من الحيوان * على ما صدَعَتْ به آيُ القران * ثم قرأ بعد اساطير
تلاها * و زخارفَ جلاها * و قال اركبوا فيها * بســم الله مُجْراها
و مُرساها * ثم تنفَّس تنفُّسَ المغرمين * اوعباد الله المكرمين *
و قال اما انا قد قمتُ فيكم مقام المُبلِّغين * و نصحتُ لكم نُصح
المبالغين * و سلكت بكم (†) محجة الراشدين * فاشهد اللهم و انت
خير الشاهدين * قال الحارث بن همام فاعجبنا بيانه البادي الطُّلاوة *
و عجَّتْ له أصواتنا بالتلاوة * و آنس قلبي من جَرْسه * معرفة عين
شمسه * فقلتُ له بالذي سخَّر البحر اللُّجّي * السْتَ السروجي *
فقال الي بلى * و هل يخفي ابن جلا * فاحمدت حينئذ

(†) ودعوتكم الى •

السفر * و سفرتُ عن نفسي اذ سفر * و لم نزل نسير و البحر
رهو * و الجو صحو * و العيش صفو * و الزمان لهو * و انا اجد
للقيانه * وجْد المُثري بعقيانه * و افرحُ بمناجاته * فرح الغريق
بمنجاته * الى ان عصفت الجَنوب * و عسفت الجُنوب * و نسي
السفْرُ ما كان * و جاءهم الموجُ من كل مكان * فملنا لهذا الحدَث
الثائر * الى احدى الجزائر * لنُريح و نستريح * ريثما تواتي
الريح * وتمادى (†) اعتياصُ المسير * حتى نفد الزادُ غير اليسير *
فقال لي ابو زيد انه لن نُحرز جنَى العُود بالقُعود * فهل لك في
استثارة السُّعود بالصُّعود * فقلت له اني لك لاتبع من ظلك *
و اطوع من نعلك * فنهضنا الى الجزيرة * على ضعف من المريرة *
لنركضَ في امتراء الميرة * و كلانا لا يملك (‡) فتيلا * و لا يهتدي فيها
سبيلا * فاقبلنا (§) نجوس خلالَها * و نتفيأُ ظلالها * حتى افضينا
الى قصر مشيد * له باب من حديد * و دونه زُمرة من عبيد *
فناسمناهم لنتخذهم سُلَّما الى الارتقاء * و ارشيةً للاستقاء * فالفينا
كلا منهم في مسك حسير * و كرب اسير * فقلنا ايتها الغلْمة * لِمَ هذي
الغُمّة * فلم يجيبوا النداء * ولا فاهوا ببيضاءَ و لا سوداء * فلما رأينا نارهم
نار الحُباحب * و خبرهم كسراب السباسب * قلنا شاهت الوجوه *
و قبُح اللُّكَعُ و من يرجوه * فابتدر خادم قد علته كبرة * و عرته
عبرة * فقال يا قومِ لا توسعُونا سبًّا * و لا توجعونا عتبا * فانا لفي
حزن شامل * و شغل عن الحديث شاغل * فقال له ابو زيد نفِّس
خناق البثّ * و انفثْ إن قدرت على النفث * فانك ستجد مني
عرّافا كافيا * و وصّافا شافيا * فقال اعلم ان رب هذا القصر هو

(†) وتمادى (‡) و ما فينا من يملك (§) فلم نزل *

قَطَبُ هذه البقعة * و شاهُ هذه الرُّقعة * إلا انه لم يخلُ من كمَد *
لخلوه من ولد * و لم يزل يستكرم المغارس * و يتخير من المفارش(§)
النفائس * الى ان بُشّر بحمل عقيلة * و آذَنَتْ رَقْلَتُه بفسيلة *
فنُذِرت النذور(†) * و أُحصيت الايام و الشهور * و لما حان النتاج *
و صيغ الطوق (‡) و التاج * عسُر مخاض الوضع * حتى خيف على
الاصل و الفرع * فما فينا من يعرِفُ قرارا * و لا يطعَم النوم الا
غِرارا * ثم اجهَشَ بالبكاء و اعول * و ردد الاسترجاع و طوَّل * فقال
له ابو زيد أُسكن يا هذا و استبشر * و ابشر بالفرج و بشِّر * فعندي
عزيمة الطَّلْق * التي انتشر سمعُها في الخلق * فتبادرت الغلمة الى
مولاهم * متباشرين بانكشاف بلواهم * فلم يكن الا * كلا و لا *
حتى برز من هلمّ بنا اليه * فلما دخلنا عليه * و مَثَلْنا بين يديه *
قال لابي زيد ليهنِك مَنالُك * ان صَدَق مقالُك * و لم يفِل
فألك * فاستحضر قلما مبريا * و زَبَدا بحريا * و زعفرانا قد
ديف * في ماء ورد نظيف * فما ان رجع النفس * حتى احضر
ما التمس * فسجد ابو زيد و عفّر * و سبّح و استغفر * ثم اخذ
القلم و اسحنفر * و كتب على الزَّبَد بالمزعفر * نظم

ايُّهذا الجنينُ اني نصيح * لك والنصح مِن شروط الدين
انتَ مستعصِم بكِنٍّ كنينٍ * و قرارٍ من السكون مكين
ماترى فيه ما يروعك من الـ*ـف مداجٍ و لا عدوٍّ مبين
فمتى ما برزتَ منه تحولـ*ـت الى منزل الاذى والهُون
و ترا أى لك الشقاء الذي تلـ*ـقى فتبكي له بدمع هَتُون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر * ان تبيع المحقق بالمظنون

(§) و يتخير المفارش * (†) فنذرت له النذور * (‡) و صيغ له الطوق *

و احترسْ من مُخادع لك بِوَقيعةٍ كي يُلْقيك في العذاب المُهين

و لعَمْري لقد نصحتُ و لكن * كم نصيحٍ مشبَّهٍ بظنين

ثم انه طَمَسَ المكتوب على غفلة * و تَفَل عليه مائة تفلة * و شد الزبَدَ في خرقة حرير * بعد ما ضمّخها بعبير * و امر بتعليقها على فخذ الماخض * و ان لا تعلَق بها يدُ حائض * فلم يكُ الا كَفُواق شارب * او فُواق حالب * حتى اندلَق شخصُ الولد * لِخَصِيصَي الزبد * بقدرة الواحد الصمد * فامتلا القصرُ حُبورا * و استُطير عميده و عبيدُهُ سُرورا * و احاطت الجماعة بابي زيد تُثني عليه * و تُقبِّل يديه * و تتبرّكُ بمساس طِمريه * حتى خُيِّلَ اليَّ انه القرنيُّ اُويس * او الاسديُّ دُبيس * ثم انثال عليه من جوائز المجازاة * و صائل الصِّلات * ما قيَّضَ له الغنى * و بيَّضَ وجهَ المُنى * و لم يخلُ ينتابه (†) الدخل * مذ نُتِجَ السَّخْل * الى ان اُعطِىَ البحرُ الامان * و تسنَّى الانام الى عُمان * فاكتفى ابو زيد بالنِّحْلة * و تأهّب للرحلة * فلم يسمح الوالي بحركته * بعد تجربة بركته * بل اوعز بضمّه الى حِزانته * و ان تُطلق يدُهُ في خِزانته * قال الحارث بن همام فلما رأيته قد مال * الى حيث يكتسب المال * انحيت عليه بالتعنيف * و هجّنتُ له مُفارقة المألف و الاليف *

فقال اليك عني * و اسمع مني * نظم

لا تصبُوَنَّ الى وطَنْ * فيه تُضام و تمتهَنْ

و ارحَل عن الدار التي * تُعلي الوِهادَ على القُنن

و اهرَبْ الى كِنٍّ يقي * و لو انه حضنا حَضَن

و اربأ بنفسك ان تقيم بحيث يَغشاك الدَّرَن

(†) و لم يخل من ان ينتابه *

وجُبِ البلاد فأيها * ارضاك فاختره وطن
ودع التذكر للمعا * هد والحنين الى السكن
واعلم بان الحر في * اوطانه يلقى الغَبَن
كالدر في الاصداف يستزرى ويُبْخَس في الثمن

ثم قال حسبك ما استمعت * وحبذا انت لو اتبعت * فاوضحت له معاذيري * وقلت له كن عذيري * فعذر واعتذر * وزوّد حتى لم يذر * ثم شيعني تشييع الاقارب * الى ان ركبت في القارب * فودعته وانا اشكو الفراق وأذمّه * وأودّ لو كان هلك الجنين وأمّه *

المقامة الاربعون التبريزية

اخبر الحارث بن همام قال ازمعت التّبريز * من تَبْرِيز * حين نبتْ بالذليل والعزيز * وخلَتْ من المُجِير والمُجيز * فبينا انا في اعداد الاهبة * وارتياد الصحبة * لقيت ابا زيد السروجي ملتفًّا بكساء * ومحتفًّا بنساء * فسالته عن خَطْبه * الى اين يسرُبُ مع سِرْبه * فأومأ الى امرأةٍ منهنّ باهرةِ السُّفُور * ظاهرةِ النُّفور * وقال تزوجتُ هذه لتؤنسني في الغربة * وترحض عني قَشَفَ العُزْبة * فلقيتُ منها عَرَق القربة * تمطلني بحقّي * وتكلفني فوق طوقي * فانا منها نِضْوُ وجًى * وحِلْفُ شجوٍ وشجًى * وها نحن قد تساعينا الى الحاكم * ليضرب على يد الظالم * فان انتظم بيننا الوفاق * والا فالطلاق والانطلاق * قال فملتُ الى انْ أخبُرَ لمن الغلب * وكيف يكون المنقلب * فجعلت شغلي دَبْرَ أذني * وصحبتُهما وان كنتُ لا أُغني * فلما حضرا القاضيَ وكان ممن يرى فضلَ الامساك * ويَضِنُّ بنُفاثةِ السِّواك * جثا

ابو زيد بين يديه * و قال أيَّد الله القاضي و احسن اليه * ان مطيّتي هذه ابيّةُ القياد * كثيرة الشِّراد * مع اني اطوَعُ لها من بَنانها * و احنى عليها من جَنانها * فقال لها القاضي ويحكِ اما علمتِ ان النشوز يُغضب الربَّ * و يوجبُ الضرب * فقالت انه ممن يدور خَلْفَ الدار * و ياخذ الجارَ بالجار * و ليس لي على ذلك اصطبار * فقال له القاضي تَبًّا لك اتبذُر في السِّباخ * و تستفرخُ حيثُ لا إفراخ * أغْرُبْ عني لا نعِمَ عوفُك * و الا آمن خوفُك * فقال ابو زيد ابها و مرسلِ الرياح * لاكذَبُ من سَجاح * فقالت بل هو و من طوّق الحمامة * و جنَّح النَّعامة * اكذَبُ من ابي ثُمامة * حين مُخْرَق باليمامة * فزفر ابو زيد زفيرَ الشُّواظ * و استشاط إستشاطةَ المغتاظ * و قال لها ويلكِ يا دَفارِ * يا فجارِ * يا غُصَّةَ البَعْلِ و الجار * ا تعمدينَ في الخلوة لتعذيبي * و تُبدينَ في الحَفْلة تكذيبي * و قد علمتِ اني حين بنَيتُ عليكِ * و رنوتُ اليكِ * الفيتُكِ اقبحَ من قِرْدة * و ايبَسَ من قِدَّة * و اخشنَ من لِيفَة * و انتنَ من جيفة * و اثقَل من هَيضَة * و اقذَر من حَيضَة * و ابرز من قِشرة * و ابردَ من قِرّة * و احمقَ من رِجلة * و اوسعَ من دِجلة * فسترتُ عُوارَكِ * و لم أبدِ عارَكِ * على انَّه لو حبَتْكِ شيرينُ بجمالها * و زُبيدةُ بمالها * و بِلْقيسُ بعَرْشها * و بُورانُ بفَرْشها * و الزَّبّاءُ بمُلكها * و رابعةُ بنُسْكها * و خِندِفُ بفخرها * و الخَنْساءُ بشعرها في صَخْرها * لانفتُ ان تكوني قعيدةَ رَحْلي * و طَرُوقَةَ فحلي * قال فتذمَّرتِ المرأةُ و تنمَّرتْ * و حسرتْ عن ساعدها و شمَّرت * و قالت له يا ألأمَ من مادِر * و أشأم من قاشِر * و اجبنَ من صافِر * و أطيشَ من طامِرٍ * ا ترميني بشَنارِك * و تَفري

عرضي بشفارك * و انت تعلم انك احقر من قُلامة (†) *
و اعيب من بغلة ابي دُلامة * و افضح من حبقةٍ في حَلْقَة *
و احير من بَقّة في حُقّة * و هَبْك الحَسَن في لفظه و وعظه *
و الشّعبيّ في علمه و حفظه * و الخليل في عروضه و نحوه *
و جَرِيراً في غزله و هجوه * و قُسًّا في فصاحته و خطابته * و عبدَ
الحميد في بلاغته و كتابته * و ابا عمرو في قراءته و اعرابه * و ابنَ
قُريب في روايته عن اعرابه * ا تظُنني ارضاك اماما لمحرابي *
و حُساما لقرابي * لا و الله و لا بوّابا لبابي * و لا عصاً لجرابي *
فقال لهما القاضي اراكما شَنًّا و طَبَقَة * و حِدَاةً و بُنْدُقة * فاترُكْ
ايّها الرجل اللدد * و اسلُك في سيرك الجَدَد * و اما انت
فكُفّي عن سبابه * و قَرّي اذا اتى البيتَ من بابه * فقالت
المرأة و الله ما اسجُنُ عنه لساني * الا اذا كساني * و لا ارفع
له شِراعي * دون اشباعي * فحلف ابو زيد بالمُحرّجات (§)
الثلاث * انه لا يملك سوى اطماره الرِّثاث * فنظر القاضي في
قَصَصهما نظَر الالمعي * و افكر فكرة اللوذعي * ثم اقبل عليهما
بوجه قد قطّبه * و مِجَنٍّ قد قلّبه * و قال ا لم يكفكما التسافهُ في
مجلس الحُكم * و الاقدامُ على هذا الجرم * حتى ترافيتما من
فُحش المُقاذعة * الى خبث المخادعة * و ايمُ الله لقد اخطأت
استُكُما الحُفرة * و لم يُصِبْ سهمكما الثُّغْرة * فانّ اميرالمؤمنين *
اعز الله ببقائه الدين * نصبني لاقضي بين الخُصَماء * لا لاقضيَ دين
الغرماء * و حق (‡) نعمته التي احلّتني هذا المحل * و ملّكتني
العقد و الحلّ * لئن لم توضحا لي جليّة خطبكما * و خبيّة خبّكما *

(†) احقر من قلامة في قمامة (§) بالمحرّجات (‡) و حق *

لأنددن بكما في الامصار * ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار * فاطرق ابو زيد اطراق الشجاع * ثم قال له سماع سماع * نظم

انا السروجي و هذي عرسي * و ليس كفو البدر غير الشمس
و ما تنافى انسها و انسي * و لا تناءى ديرها عن قسي
و لا عدت سقياي ارض غرسي * لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى و نمسى * لا نعرف المضغ و لا التحسي
حتى كان لخفوت النفس * اشباح موتى نشروا من رمس
فحين عز الصبر و التأسي * و شفنا الضر الاليم المس
قمنا لسعد الجد او للنحس * هذا المقام لاجتلاب فلس
و الفقر يلجي الحر حين يرسي * الى التحلي في لباس اللبس
فهذه حالي و هذا درسي * فانظر الى يومي و سل عن امس
و اءمر بجبري ان تشأ او حبسي * ففي يديك صحتي و نكسي

فقال له القاضي ليثب انسك * و لتطب نفسك * فقد حق لك ان تغفر خطيئتك * و توفر عطيتك * فثارت الزوجة عند ذلك و استطالت * و اشارت الى الحاضرين و قالت * نظم

يا اهل تبريز لكم حاكم * اوفى على الحكام تبريزا
مافيه من عيب سوى انه * يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغي جنى * عود له ما زال مهزوزا
فسرح الشيخ و قد نال من * جدواه تخصيصا و تمييزا
وردني اخيب من شائم * برقا خفا في شهر تموزا
كانه لم يدر انى التي * لقنت ذا الشيخ الاراجيزا
و انني ان شئت غادرته * اضحوكة في اهل تبريزا

قال فلما رأى القاضي اجتراء جنانهما * و انصلات لسانهما * علم

انه قد مُنِيَ منهما بالداء العياء * والداهية الدهياء * وانه متى منَح احدَ الزوجين * وصرف الاخَرَ صَفِرَ اليدين * كان كمن قضى الدين بالدين * او صلى المغربَ رَكعتين * فطَلْسَم و طَرْسَم * و اِخْرَنْطَمَ و بَرْطَم * و همهم و غمغم * ثم التفتَ يَمْنة و شأمة * و تململ كآبة و ندامة * و اخذ يذُمُّ القضاء و متاعِبَه * و يُعدِّد شوائبَه ونوائبه * و يُفَنِّد طالبَه و خاطِبَه * ثم تنفَّسَ كما يتنفس الحريب * و انتحب حتى كاد يفضحه النحيب * وقال ان هذا لشيءٌ عجيب * أَ أُرشَق في موقفٍ بسهمين * أ أُلزَم في قضيّة مغرمين * أ أُطيق ان أُرضي الخصمين * ومن اين * و من اين * ثم عطف الى حاجبه * المُنَفِّذ لمآربه * و قال ما هذا يوم حكم و قضاء * و فصل و امضاء * هذا يوم الاغتمام * هذا يوم الاغترام * هذا يوم البُحران * هذا يوم الخُسران * هذا يوم عصيب * هذا يومٌ نُصاب فيه و لا نُصيب * فارحني من هذين المهذارين * و اقطع لسانهما بدينارين * ثم فرِّق الاصحاب * و اغلِق الباب * و اشِعْ انه يومٌ مذموم * و ان القاضي فيه مهموم * لئلا يحضُرني خُصوم * قال فامَّنَ الحاجب على دعائه * و تباكى لبكائه * ثم نقد ابا زيد و عِرسَه المثقالين * و قال اشهد انكما لاحيلُ الثقلين * لكن احترما مجالس الحكام * و اجتنبا فيها فُحشَ الكلام * فما كل قاضٍ قاضيَ تبريز * و لا كل وقت تُسمع الاراجيز * فقالا له مثلك من حجب * و شكرك قد وجب * و نهضا وقد حُظيا بدينارين * و اصلَيا قلبَ القاضي نارين *

تفسير ما تضمن هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية

قوله لقيت منها عَرَق القِربة - هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة

في الامر الذي يزوله كما ان حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق * و قوله جعلته دبر اذني - يعني اطرحته و هو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم * و قوله اكذب من سجاح - يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب * وسارت اليه لتناظره و تختبره * ثم آمنت به و وهبت نفسها له * و هذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام و قطام لكونه من الاسماء المعدولة و اشتقاقه من السجاحة و هي السهولة و منه قولهم ملكت فاسجح * و قولها اكذب من ابي ثمامة - هذه كنية مسيلمة الكذاب و كان تنبأ باليمامة و مخرق بها الى ان سار اليه خالد بن الوليد و قتله * و قوله لا نعم عوفك - العوف الحال و هو ايضا الذكر * و يدعى للباني على اهله فيقال له نعم عوفك * و قوله يا دفار و يا فجار - هذان الاسمان معدولان عن دفرة و فاجرة و الدفر النتن و به سميت الدنيا ام دفر و كل ما سمي بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند النداء كقولك يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار و لا يجوز استعمال ذلك في غير النداء الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر * نظم

اطوف ما اطوف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

و اما قوله احمق من رجلة - فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيجترفها * و اما قولها الأم من مادر - فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا لسقي ابله فلما رويت سلح فيه و مدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده (†) * و اما قولها اشأم من قاشر - فانه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة ما طرق ابلا الا ماتت * و قيل المراد به العام المجدب و سمي قاشرا

(†) ينتفع به من بعده *

القشرة وجه الارض من النبات * و اما قولها اجبن من صافر . فقد اختلف في تفسيره قال بعضهم عُني به كل ما يصفر من الطير * و خُصّ بالجُبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو و مصائد الارض * و قيل انه طائر بعينه اذا جنّه الليل تعلق ببعض الاغصان و لم يزل يصفر طول ليلته خوفا من ان ينام فيوخذ * و قيل انه الذي يصفر بالمرأة لريبة وهو يجبن وقت صفيره مخافة ان يُظهَر على امره * و قيل ان المراد به في المثل المصفور به و هو الذي يُنذر بالصفير ليهرب فعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق و كقولهم راحلة بمعنى مرحولة و هو كثير في كلامهم و قد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا * و اما قولها الطيش من طامر . فالمراد به البُرغوث و يسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه * و اما قول القاضي اراهما شنًّا و طبقة و حدأة و بندقه . فانه اراد به ان كلا منكما كفو لصاحبه و مقاوم له و لكل من المثلين تفسير مختلف فيه * اما شنّ و طبقة فان العلماء مختلفون في معني قولهم وافق شنّ طبقة فقال الاكثرون انهما قبيلتان فشن هو ابن افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار * و طبقة حيّ من اياد و كانت طبقة لاتطاق فاوقعت بها شن فانتصفت منها * و قال بعضهم كان شنّ رجلا من دهاة العرب و كان الزم نفسه الّا يتزوج الا بامرأة تلائمه فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض اسفاره فلما اخذ منهما السير قال له شنّ ا تحملني ام احملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكبُ الراكبَ فامسك و سارا حتى اتيا على زرع فقال له شنّ ا ترى هذا الزرع قد أكل ام لا فقال له يا جاهل

اما تراه في سُنْبُله فامسك الى ان استقبلتهما جنازة فقال له شن اترى صاحبها حيًّا ام لا فقال له ما رأيت اجهل منك اتراهم حملوا الى القبر حياً ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله و كانت له بنت تسمى طَبَقَة فاخذ يُطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا بالصواب و لا استفهمك الا عما يُستَفهَم عن مثله اما قوله اتحملني ام احملك فانه اراد اتحدثني ام اُحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث و اما قوله اترى هذا الزرع اُكل ام لا فانه اراد هل استسلف اهله(†) ثمنه ام لا و اما استفهامه عن صاحب الجنازة(‡) فانه اراد اخلف عَقِباً يحيى ذكره به ام لا فلما خرج الى الرجل حدثه بتاويل ابنته كلامه فخطبها اليه فزوجه اياها فلما سار بها الى قومه و خَبِروا ما فيها من الدهاء و الفطنة قالوا وافق شن طبقة فسارت مثلا * و حكى ان الاصمعي سئل عن تفسير هذا المثل فقال اظُنُّ الشن وعاء من ادم كان قد استشن فلما اتُّخذ له غطاء وافقه ضُرب فيه هذا المثل * و اما حِدأةُ و بُندُقة فانه يقال في المثل المضروب لمن يفزَّع بعدوه او يُبلى بنظيره حدأ حدأ وراءك بُندقةُ و كان الاصل حِدأة باثبات الهاء فرُخِّمَ في النداء و قد اختُلِفَ في المراد بهما فقيل هما الطائر المعروف و بُندقةُ الرامي و قيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة فاغارت حِدأة و كانت تنزل بالكوفة على بندقة و كانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرت بُندقةُ على حِدأة فانحت عليهم و روى بعضهم هذا المثل حِدا حِدا غير مهموز على مثال عصا و قفا * و زعم انه اسم القبيلة * و اما قوله اخطأتِ استُكُها الحفرة فانه مثل يضرب لمن يُخطئ في مقصده

(†) اربابه (‡) الجنازة اعى هو فانه •

و يضع الشيء في غير موضعه * و اما قوله طَلْسَمَ و طَرْسَمَ - فمعنى طلسم كَرَّه وجهه و معنى طرسم اطرق * و قوله اِخْرَنْطَم و برطم - اى غضب وقطّب وقيل معنى اخرنطم اى غضب مع تكبر و معنى برطم اى غضب مع تعبس * و قوله همهم و غمغم - اى لم يبين الكلام *

المقامة الحادية و الاربعون

التنيسية

حدث الحارث بن همام قال اطعتُ دواعي التصابي * في غُلَواء شبابي * فلم ازل زيرا للغيد * و اُذُنا الاغاريد * الى ان وافي النذير * و ولّى العيش النضير * فتَرمتُ الى رُشد الانتباه * و ندمت على ما فرّطت في جنب الله * ثم اخذت في كَسْع الهنات بالحسنات * وتلافي الهفوات قبل الفَوات * فملت عن مغاداة الغادات * الى ملاقاة التقاة * و عن مُقاناة القَينات * الى مُداناة اهل الديانات * و آليت ان لا اصحب الا من نزع من (†) الغيّ * وفاء منشره الى الطيّ * و ان الفيتُ من هو خليع الرَّسَن * مديد الوسن * انأيت داري عن داره * و فررت من عره و عاره * فلما القتني الغربة بتِنّيس * و احتّتني مسجدها الانيس * رأيت به ذا حلقة مُلتحِمة * ونظّارة مزدحمة * و هو يقول بجاش متين * و لسان مُبين * مسكين ابن آدم و اىُّ مسكين * ركَن من الدنيا الى غير ركين * و استعصم منها بغير مكين * و ذُبح من حبها بغير سكّين * يَكْلَف بها لغَباوته * يكْلَبُ عليها لشقاوته * و يعتدّ فيها

(†) عن *

لمفاخرته * ولا يتزود منها لاخرته * أقسمُ بمن مرج البحرين * ونوّر القمرين * ورفع قدر الحجرين * لو عقل ابنُ آدم * لما نادم * ولو افكر فيما قدّم * لبكى الدّم * ولو ذكر المكافاة * لاستدرك ما فات * ولو نظر فى المآل * لحسّنَ قُبحَ الاعمال * يا عجبا كلّ العجب * لمن يقتحم ذات اللهب * فى اكتناز الذهب * وخزن النشب * لذوى النسب * ثم من البدع العجيب * ان يعظك وخطُ المشيب * وتؤذنَ شمسُك بالمغيب * ولستَ ترى ان تُذيب * وتُهذّب المعيب * ثم اندفع يُنشد * إنشاد من يرشد * نظم

يا ويحَ من انذره شيبُـه * وهو على غيّ الصّبا منكمشْ
يعشو الى نار الهوى بعد ما * اصبح من ضعف القوى يرتعشْ
ويمتطى اللهو ويعتـدّه * اوطأ ما يفترشُ المفترشْ
لم يهب الشيب الذي ما رأى * نجومه ذو اللب الا دُهشْ
ولا انتهى عما نهـاه النّهى * عنه ولا بالى بعرضٍ خُدشْ
فذاك ان مات فسُحقا له * وان يَعِشْ فهو كمن لم يعشْ
لا خيرَ في محيا امرءٍ نشره * كنشر مَيْتٍ بعد عشرٍ نُبشْ
وحبذا مَن عرضهُ طيّبٌ * يروقُ حُسنًا مثلَ بُردٍ رُقشْ
فقل لمن قد شاكه ذنبُهُ * هلكتَ يا مسكينُ او تنتقشْ
فاخلصِ التوبةَ تطمسْ بها * من الخطايا السود ما قد نُقشْ
وعاشرِ الناسَ بخُلقٍ رضًا * ودارِ مَن طاشَ ومَن لم يطشْ
وريشْ جناحَ الحُـرّ ان حصّهُ * زمانُهُ لا كان من لم يُرِشْ
وانجدِ الموتورَ ظلما فان * عجزتَ عن انجاده فاستجشْ
وانعَشْ اذا ناداك ذو كَبوةٍ * عساك فى الحشر به تنتعشْ
وهاكَ كاسَ النُّصح فاشرب وجُدْ * بفضلة الكاس على من عطشْ

قال فلما فرغ من مبكياته * و قضى إنشاد ابياته * نهض صُبيٌّ قد شَدَن * و اعرى البدن * و قال يا ذوى الحَصاة * و الانصات الى الوَصاة * و قد وعيتم الانشاد * وفقهْتم الارشاد * فمن نوى منكم ان يقبل * و يُصلح المستقبل * فليُبْنْ ببري عن نيته * ولايَعدل عني بعطيته * فوالذي يَعلَم الاَسْرار * و يَغفِر الإصْرار * إنَّ سري لَكما تَرْون * و ان وجهي ليستوجب الصَوْن * فاعينوني رُزِقْتم العون * قال و اخذ الشيخ فيما يَعطف عليه القلوب * و يستّي له المطلوب * حتى انبط حفره (†) * و اعشوشب قفره * فلما ان ترِع الكيس* انصلت يُميس* و يحمد تَنْيس* و لم يحل للشيخ المقام * بعدما انصاع الغلام * فاسترفع الايدي للدعاء * ثم نحا نحو الانكفاء * قال الراوي فارتَمحت الى ان اعْجُمه * و احُلّ مترجمه * فتبعته و هو يشتدّ في سَمْته * و لا يَفتَق رَتْق صَمْته * فلما اَمِن المُفاجئ * و امكن التناجي* لفت جيده اليَّ * و سلم تسليم البشاشة عليَّ * ثم قال اراقك ذَكاء ذاك الشُوَيْدن* فقلت اى و المؤمن المُهيْمِن* قال انه فتى السروجي * و مُخرج الدُّر من اللجي * فقلت اشهد انك لَشجرةُ ثَمَرتِه * و شُواظُ شررَتِه * فصدّق كهانتي * و استحسن ابانتي* ثم قال هل لك في ابتدار البيت* لنتنازَع كاس الكُميت * فقلت له ويحك اتامُرون الناس بالبر و تنسَوْن انفسكم * فافترّ افترار متضاحك * و مرّ غير مُماحك * ثم بدا له ان تراجع اليّ * و قال احفظها عني و طي * نظم

اصرف بصرْف الراح عنك الاسى * و رَوّح القلب و لا تكتئبْ
و قل لمن لامك فيمـا به * تدفع عنك الهم قَدْك اتّئب

(†) جفره *

ثم قال اما انا فسانطلق * الى حيث اصطبح و اغتبق * و اذا كنت لا تصحب * و تلائم من يطرب * فلست لي برفيق * و لا طريقك لي بطريق * فخل سبيلي و نكب * و لا تنقر عني و لا تنقب * ثم ولى مدبرا و لم يعقب * قال الحارث بن همام فالتهبت وجدا عند انطلاقه * و وددت لو لم الاقه *

المقامة الثانية والاربعون النجرانية

حكى الحارث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى * و مساري الهوى * الى ان صرت ابن كل تربة * و اخا كل غربة * الا اني لم اكن انطع واديا * و لا اشهد ناديا * الا لاقتباس الادب المسلي عن الاشجان * المغلي قيمة الانسان * حتى عرفت لي هذه الشنشنة * و تناقلتها عني الالسنة * و صارت اعلق بي من الهوى ببني عذرة * و الشجاعة بآل ابي صفرة * فلما القيت الجران بنجران * و اصطفيت بها الخلان و الجيران * تخذت انديتها معتمري * و موسم فكاهتي و سمري * فكنت اتعهدها صباح مساء * و اظهر فيها على ما سر و ساء * فبينما انا في ناد محشود * و محفل مشهود * اذ جثم لدينا هم * عليه هدم * فحيى تحية ملق * بلسان ذلق * ثم قال يا بدور المحافل * و بحور النوافل * قد بين(†) الصبح لذي عينين * و ذاب العيان مذاب عدلين * فماذا ترون فيما ترون * اتحسنون العون * ام تنأون اذ تدعون * فقالوا تالله لقد غظت * و رمت ان تنبط فغضت * فناشدهم الله عما ذا صدهم * حتى استوجب ردهم * فقالوا كنا نتناضل بالالغاز * كما يتناضل يوم البراز * فما تمالك ان شعث من المنضول * و الحق هذا الفضل

(†) تبين *

بَدمْطِ الفضول * فلَسَبَتهُ السُنُ القوم * و وخزوه بأَسنّة اللوم * و اخذ هو يتنصَّل من هفوته * و يتندَّم على نوهته * و هم مُضِبُّون على مواخذته * و ملبُّون داعي منابَذته * الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال من كرم الطبع * فعدوا عن اللذْع و القَذْع * ثم هلُمَّ الى ان نُلْغِز * و نحكم المبرز * فسكن عند ذلك توقُّدهم * و انحلّت عُقَدهم * و رضوا بما شرط عليهم و لهم * و اقترحوا ان يكون اولهم * فامسك ريثما يُعْقَد شِسْع * او يُشَدّ نِسْعٌ * ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش * و لُقيتم العيش * و انشد مُلغِزا في مروحة الخيش * نظم

و جارية في سيرها مشمعلّة * و لكن على اِثْر المسير قُفُولها
لها سائق من جنسها يستحثُّها * على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في اوان القيظ تَنْطُف بالنَّدى * و يبدو اذا ولّى المَصيف قُحُولها

ثم قال و هاكم يا اولى الفضل * و مراكز العقل * و انشد ملغزا في حابول النخل * نظم

و منتسب الى أمّ * تنشّأ اصله منها
يُعانقها و قد كانت * نَفَتْه بُرهَةً عنها
به يتوصل الجاني * ولا يُلحى و لا يُنهى

ثم قال و دونكم الخفية العَلَم * المعتكرة الظُّلَم * و انشد مُلغزاً في القلم * نظم

و مامــوم به عُرِف الامامُ * كما باهت بصحبته الكرامُ
له اذ يرتوي طيشان صادٍ * و يسكنُ حين يعروه الأُوامُ
و يذري حين يستسعي دموعا * يُرَقّن كما يروق الابتسامُ

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل * الفاضحة ما قيل * و انشد ملغزا في الميل * نظم

وما ناكح أُختين جهرا و خفية * و ليس عليه فى النكاح سبيلُ
متى يغش هذي يغشَ فى الحال هذه * و ان مال بعل لم تجده يميلُ
يزيدهما عند المشيب تعهُّدا * و برًّا و هذا فى البُعول قليـلُ

ثم قال و هذه يا ذوى الالباب * معيار الاداب * و انشد ملغزا فى الدولاب * نظم

و جاف وَهْوَ موصول * وصول ليس بالجـافي
غـريق بارز فاعجب * له من راسب طاف
يَسُـحّ دُموعَ مهضوم * و يَهضِـم هَضم متلاف
و يُخشى منـه حدّتهُ * و لكـن قلبـه صاف

قال فلما رَشَق * بالخمس التي نَسَق * قال يا قوم تدبَّروا هذه الخمس * و اعقدوا عليها الخمس * ثم رأيكم و ضمّ الذيل * او الازدياد من الكيل * قال فاستفزت القومَ شهوةُ الزيادة * على ما أُشرِبوا من البلادة * فقالوا له ان وقوفنا دون حدّك * ليفهمنا عن استيراء زَندك * فان اتممتَ عَشرا فمن عندك * فاهتزّ اهتزازَ من فلَج شهمُه * و انخزل خصمه * ثم افتتح النطق بالبَسْمَلَة * و انشد ملغزا فى المُزمَّلَة * نظم

و مسرورةٍ مغمومةٍ طولَ دهرها * وما هي تدري ما السرورُ ولا الغمُّ
تُقرَّب احيانا لأجل جنينهـا * و كم ولد لـولاه طُلّـقت الأُمُّ
و تُبعَدُ احيانا و ما حال عهدُها * و ابعادُ مَن لم يستحل عهدُه ظلمُ
اذا قَصُر الليلُ استُلِذّ وصالهـا * و ان طال فالاعراض عن وصلها نُعْمُ
لها ملبس بادٍ انيقٌ مُبطّنٌ * بما يُزدرى لكن لما يزدرى الحكمُ

ثم كَشَر عن أنيابه الصُّفر * و انشد ملغزا فى الظُّفْر * نظم

و مرهوبِ الشـبا نامٍ * و ما يرعى و لا يُشرَبْ

يُرى في العشر دون النحر * فاسمع وصفه واعجبْ

ثم تخاززَ تخازُرَ العفريت * وانشد ملغزا في طاقة الكبريت * نظم

وما محقورة تُدنى وتُقصى * وما منها اذا فكّرت بدٌّ
لها رأسان مشتبهان جدًّا * وكل منهما لاخيه ضدٌّ
تُعذّب ان هما خُضبا وتُلغى * اذا عَدما الخضابَ ولا تُعَدُّ

ثم تخطّط تخطّط الثَرْم * وانشد ملغزا في حلَب الكَرْم * نظم

وما شيء اذا فسدا * تحوّل غيّه رشدا
وان هو راق اوصافا * اثار الشرّ حيث بدا
زكيّ العِرق والدُهُ * ولكن بئس ما ولدا

ثم اعتضد عصا التّسْيار * وانشد ملغزا في الطيّار * نظم

وذي طيشة شقّه مائل * وما عابَهُ بهما عاقلُ
يُرى ابدا فوق عليّة * كما يعتلي الملك العادلُ
تساوى لديه الحصا والنُضار * وما يستوي الحقُّ والباطل
واعجبُ اوصافه ان نظرت * كما ينظر الكيّس الفاضل
تراضى الخصوم به حاكما * وقد عرفوا انّه مائل

قال فظلّت الافكار تهيم في اودية الاوهام * وتجول جولان المستهام * الى ان طال الامَد * وحصحص الكمَد * فلما رآهم يَزندون ولا سَنا * ويُقضّون النهار بالمُنى * قال يا قوم الامَ تُنظَرون * وحتّامَ تُنظَرون * الم يأن لكم استخراج الخبيّ * او استسلام الغبي * فقالوا له تالله لقد اعوصْت * ونصبْت الشرك فقنَصْت (§) * فتحكم كيف شئت * وحُز الغُنْم والصيت * ففرض عن كل معمى فرضا * واستخلصه منهم نضًّا * ثم فتح الاقفال * وسم الاغفال * وحاول

(§) فاقتنصت .

الاجمال * فاعتلق به مدرةُ القوم * و قال له لا لُبسةَ بعد اليوم * فاستنسب قبل الانطلاق * و هَبها مُتْعَةَ الطَّلاق * فاطرق حتى قلنا مُريب * ثم انشد و الدمع سجيب * نظم

سروجُ مَطلعُ شمسي * و رَبْعُ لهوي و انسي
لكن حُرمت نعيمي * بها و لذّةَ نفسي
و اعتضتُ عنها اغترابا * امرَّ يومي و امسي
ما لي مَقَرٌّ بارض * و لا قرار لعَنسي
يوما بنجدٍ و يوما * بالشام أُضحي و أُمسي
أُزجى الزمان بقوت * منغَّصٍ مستخسّ
و لا ابيت و عندي * فلس و من لي بفلس
و من يَعِش مثل عيشي * باعَ الحياة ببخس

ثم انه اختَبَى خلاصة النَّضّ * و بدر ضاربا فى الارض * فناشدناه ان يعود * و اسنينا له الوُعود * فلا و ابيك ما رجع * و لا الترغيب له نجع *

المقامة الثالثة و الاربعون البدوية المعروفة بالبكر و الثيب

اخبر الحارث بن همام * قال هفا بى البين المطوِّح * و السير المبرِّح * الى ارض يَضِلُّ بها الخِرِّيت * و تفرق فيها المصاليت * فوجدت ما يجد الحائر الوحيد * و رأيت ما كنت منه أحيد * الا انى شجَّعتُ قلبى المزؤود * و نسأتُ نِضوى المجهود * و سرت سيرَ الضارب بقِدْحين * المستسلم للحين * و لم ازل بين وَخْد

وذميل * واجازة ميل بعد ميل * الى ان كادت الشمس تجب *
والضياء يحتجب * فارتعت لاظلال الظلام * واقتحام جيش حام *
ولم ادرأ اكفت الذيل وارتبط * ام اغتدي الليل واختبط * وبينا
انا اقلب العزم * واستخص النجوم * تراأى لي شبح جمل *
مستذر بجبل * فترجيته قعدة مريح * وقصدته قصد مشيح *
فاذا الظن كهانة * والركوبة عيرانة * والمريح قد ازدمل ببجاده *
واكتحل برقاده * فجلست عند رأسه * حتى هب من نعاسه *
فلما ازدهر سراجاه * واحس بمن فاجاه * نفر كما ينفر المريب *
وقال أاخوك ام الذيب * فقلت بل خابط ليل ضل المسلك *
فاضئ لي اقدح لك * فقال ليسر عنك همك * فرب اخ لم تلده
امك * فانسرى عند ذلك إشفاقي * وسرى الوسن الى
آماقي * فقال عند الصباح يحمد القوم السرى * فهل ترى كما
ارى * فقلت اني لك لاطوع من حذائك * واوفق من
غذائك * فصدع بمحبتي * وبخبخ بصحبتي * ثم احتملنا
مجدين * وارتحلنا مدلجين * ولم نزل نعاني السرى * ونعاصي
الكرى * الى ان بلغ الليل غايته * ورفع الفجر رايته * فلما اسفر
الفاضح * ولم يبق الا واضح * توسمت رفيق رحلتي * وسمير
ليلتي * فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد * ومعلم الراشد * فتهادينا
تحية المحبين * اذا التقيا بعد البين * ثم تباثثنا الاسرار *
وتناثثنا الاخبار * وبعيري يئط من الكلال * وراحلته تزف زفيف
الرأل * فاعجبني اشتداد اسرها * وامتداد صبرها * واخذت
استشف جوهرها * واسائله من اين تخيرها * فقال ان لهذه الناقة *
خبرا حلو المذاقة * مليح السياقة * فان احببت استماعه فانخ *

وان لم تشأ فلا تُصِخ * فانحتُ لقوله نِضوي * واهدفتُ السمعَ
لما يروي * فقال اعلم اني استعرضتها بحضرموتَ * وكابدت في
تحصيلها الموت * فما زلت اجوب عليها البلدان * واطِسُّ باخفافها
الظِّرّان * الى ان وجدتها عُبْرَ اسفار * وعُدَّةَ فرار * لا يلحقها
العِثاء * ولا تواهقها وَجْناء * ولا تدرى ما الهِناء * فارصدتها للخير
والشر * واحللتها محل البَرّ السَّر * فاتفق ان ندّتْ منذ مُدَّة *
وما لي سواها قُعْدة * فاستشعرتُ الاسف * واستشرفت التلف *
ونسيتُ كلَّ رُزءٍ سَلَف * ومكثتُ ثلثا * لا استطيع انبعاثا * ولا
اطعم النومَ الا حثاثا * ثم اخذت فى استقراء المسالك * وتفقد
المسارح والمبارك * وانا لا استنشي منها ريحا * ولا استغشي
يأسا مريحا * وكلما ادكرت مضاءها في السير * وانبراءها لمباراة
الطير * لاعني الادكار * واستهوتني الافكار * فبينما انا في حواء *
بعض الاحياء * اذ سمعت من شخص مُبتعد * وصوت مُنجرِد * مَن
ضلّت له مطية * حضرميةٌ وطيّة * جلدها قد وُسِم * وعُرّها قد حُسِم *
وزمامها قد ضُفِر * وظهرها كان قد كُسِر ثم جُبِر * تزينُ الماشيةَ * وتُعين
الناشية * وتقطع المسافة النائية * وتظلّ ابدا لك مُدانية *
لا يعتورها الونى * ولا يعترضها الوجى * ولا تحوجُ الى العصا *
ولا تعصي فيمن عصى * قال ابو زيد فجذبني الصوتُ الى
الصائت * وبشّرني بدرك الفائت * فلما افضيت اليه *
وسلّمت عليه * قلت له سلّم المطيّة * وتسلّم العطيّة * فقال وما
مطيّتك * غُفِرت خطيّتك * قلت ناقة جُدّتها كالهَضْبة * وذُروتها
كالقُبّة * وحَلَبُها ملأ العُلبة * وكنت اعطيت بها عشرين *
اذ حللت بيَبرين * واستزدت الذي اعطى * ودريت انه اخطأ *

قال فاعرض حين سمع صِفَتي * و قال لست بصاحب لقطتي * فاخذت بتلابيبه * و اصررت على تكذيبه * و هممت بتمزيق جلابيبه * و هو يقول ياهذا ما مَطِيَّتي بطلبك * فاكفف من غربك * و عدّ عن سبّبك * و الا فقاضني الى حَكَم هذا الحي * البريّ من الغي * فان اوجبها لك فتسلّم * و ان زواها عنك فلا تتكلم * فلم ارَ دواء قصتي * و لا مساغ غصتي * الا ان آتيَ الحَكَم و لو لُكم * فانخرطنا الى شيخ ركين التصبة * انيق العصبة * يُونَس منه سكون الطائر * و ان ليس بالجائر * فاندرأت انظلّم و اتالم * و صاحبي مُرُّم لايترمرم * حتى اذا انثلتُ كنانتي * وقضيتُ من القصص لُبانتي * ابرز نعلا رزينةَ الوزن * محذوّةً لمسلك الحزن * و قال هذه التي عرَفتُ * و اياها وصفتُ * فان كانت هي التي اعطى بها عشرين * و ها هو من المُبْصِرين * فقد كذب في دعواه * و كبُر ما افتراه * اللهم اِلّا ان يمُدَّ قذاله * و يُبيّنَ مصداقَ ما قاله * فقال الحكم اللهم غَفْرا * و جعل يقلب النعل بطنا و ظهرا * ثم قال اما هذه النعل فنعلي * و اما مطيّتك ففي رَحلي * فانهض لتسلّم ناقتك * و اجعل الخير بحَسَب طاقتك * فقمت و قلت * نظم

اقسم بالبيت العتيق ذى الحُرُم * و الطائفين العاكفين فى الحَرم
اِنّك نعــم من اليه يحتكَم * و خيرُ قاض فى الاعاريب حكَم
فاسلَم و دُم دومَ النَّعام و النَّعَم *

فاجاب من غير رويّة * و لا عقد نيّة * و قال * نظم

جُزيتَ عن شكرك خيرا ياابن عم * اذ لستُ استوجِبُ شكرا يلتزمْ
شرُّ الانام من اذا استقضى ظلَمْ * ثم مَنِ استرعِي فلم يرعَ الحرَمْ
فذانِ و الكلبُ سَواءٌ فى القيَمْ

ثم انه نقد بين يدي * من سلم الناقة الي * ولم يمتن علي * فرحت اجر ذيل الطرب * و اقول يالعجب * قال الحارث بن همام فقلت له تالله لقد اطرفت * و هرفت بما عرفت * فناشدتك الله هل لقيت اسحر منك بلاغة * و احسن للفظ صياغة * فقال اللهم نعم * فاسمع و انعم * كنت عزمت * حين اتهمت * على ان اتخذ ظعينة * لتكون لي معينة * فحين تعين الخطب * و كان الامر يستتب * افكرت فكر المتحرز من الوهم * المتأمل كيف مسقط السهم * و بت ليلتي أناجي القلب المعذب * و اقلب العزم المذبذب * الى ان اجمعت على ان اسحر * و اشاور اول من ابصر * فلما قوضت الظلمة اطنابها * و ولت الشهب اذنابها * غدوت غدو المتعرف * و ابتكرت ابتكار المتعيف * فانبرى لي يافع * في وجهه شافع * فتيمنت بمنظره البهيج * و استقدحت رأيه في التزويج * فقال او تبغيها عوانا * ام بكرا تعانى * فقلت اختر لي ما ترى * فقد القيت اليك العرى * فقال الي التبيين * و عليك التعيين * فاسمع انا افديك * بعد دفن اعاديك * اما البكر فالدرة المخزونة * و البيضة المكنونة * و الثمرة الباكورة * و السلافة المذخورة * و الروضة الانف * والطوق الذي ثمن و شرف * لم يدنسها لامس * و لا استغشاها لابس * و لا مارسها عابث * و لا وكسها طامث * ولها الوجه الحيي * و الطرف الخفي * و اللسان العيي * و القلب النقي * ثم هي الدمية الملاعبة * و اللعبة المداعبة * و الغزالة المغازلة * و الملحة الكاملة * و الوشاح الطاهر القشيب * و الضجيع الذي يشب و لا يشيب * و اما الثيب فالمطية المذللة * و اللهنة المعجلة * و البغية المسهلة * و الطبة المعللة *

و القرينة المتحببة و الخليلة * المتقربة * و الصناع المدبرة *
و الفطنة المختبرة * ثم انها عجالة الراكب * و أنشوطة الخاطب *
و نُعدةُ العاجز * و نهزة المبارز * عريكتها لينة * و عُقلتها هيّنة *
و دخلتها متبينة * و خدمتها مُزيّنة * و أقسم لقد صدقتَ
في النعتين * و اجليت المهاتين * فبأيتهما هام قلبك *
و على ايتهما قام زبك * قال ابو زيد فرأيته جندلة يتّقيها
المراجم * و تدمى منها المحاجم * إلا اني قلتُ له كنتُ
سمعتُ ان البكر اشدّ حبًّا * و اقل خبًّا * فقال قد لعمري قيل
هذا * و لكن كم قولٍ آذى * ويحك اما هي المهرةُ الابيّةُ
العنان * و المطية البطيئةُ الاذعان * و الزندةُ المتعسّرةُ الاقتداح *
و القلعة المستصعبةُ الافتتاح * ثم ان مؤونتها كثيرة * و معونتها
يسيرة * و عشرتها صَلِفة * و دالّتها مكلّفة * و يدها خرقاء * و فتنتها
صمّاء * و عريكتها خشناء * و ليلتها ليلاء * و في رياضتها عناء *
و على خبرتها غشاء * و طالما اخزت المُدِل * و فركت المُغازل *
و احنقت الهازل * و اضرعت الفنيق البازل * ثم انها التي تقول
انا البسُ و اجلسُ * فاطلب من يطلق و يحبسُ * فقلت له فما
ترى في الثيب * يا ابا الطيب * فقال ويك ا ترغب في فضالة
المآكل * و ثمالة المنهل * و اللباس المستبذل * و الوعاء المستعمل *
و الذوّاقة المتطرّفة * و الخرّاجة المتصرّفة * و الوقاح المتسلّطة *
و المحتكرة المتسخطاة * ثم كلمتها كنتُ و صرتُ * و طالما بغي
عليّ فنصرتُ * و شتّان بين اليوم و امس * و اين القمر (†) من
الشمس * و ان كانت الحنّانة البروك * او الطمّاحة الهلوك *

(†) وهيهات القمر •

فهي الغُلّ القَمِلُ * و الجُرحُ الذي لا يندمل * فقلتُ له هل ترى ان اترهّب * و اسلكَ هذا المذهب * فانتهرني انتهار المؤدّب * عند زلّة المتأدّب * ثم قال ويلك ا تقتدي بالرُّهبان * و الحقّ قد استبان * افٍّ لك ولوهن رايك * وتُبًّا لك و لاولئك * اَ تُراك ما سمعتَ بان لا رُهبانية في الاسلام * و لا حُدّثت بما نكح نبيُّك عليه السلام * ثم ما تعلم ان السكن الصالحة تربُّ بيتك * وتُلبّي صوتك * و تغضّ طرفك * و تُطيّبُ عَرفَك * و بها ترى قُرّةَ عينك * و ريحانةَ انفك * و فرحةَ قلبك * و تعلّةَ يومك و غدك * فكيف رغبتَ عن سنّة المرسلين * و مُتعة المتأهّلين * و شرعة المُحصنين * و مَجلَبة المال و البنين * والله لقد ساءني فيك * ما سمعتُ من فيك * ثم اعرضَ اعراضَ المُغضَب * و نزا نُزوان العُنظُب * فقلت له قاتلك الله اتنطلق متبخترا * وتدعُني متحيرا * فقال اظُنُّك تدعى الحيرة * لتجلد عُمَيرة * وتستغني عن المُهيرة * فقلت له قبّح الله ظنَّك * و لا اشبَّ قرنك * ثم رُحتُ عنه مراح الخَزيان * و تبتُ من مُشاورة الصبيان * قال الحارث بن همام فقلت له أقسم بمن انبت الأيك * إنّ الجدل منك و اليك * فاغرَبَ في الضحك * و طرب طَربةَ المنهَتِك * ثم قال إلعق العسَل * ولا تسَل * فاخذت اسهِبُ في مدح الادب * و اُفضّل ربّه على ذي النشَب * و هو ينظر الي نظر المستجهِل * و يغضى عني اغضاء المُمهِل * فلما اسرفتُ في العَصبية * للعصبة الادبية * قال لي صَهْ * و اسمع مني وافقه * نظم

يقولون اِنّ جمـــالَ الفتى * و زيـنَـــته ادبٌ راسخٌ
وما ان يزين سوى المكثرين * و مَن طَودُ سُودَدِه شامخٌ

فامـا الفقيـــر فخيـــر له * من الادب القُرضُ و الكامخ

و ايُّ جمـــال له ان يُقال * اديبٌ يعلّـــمُ او نـــاسخُ

ثم قال سيضح لك صدق لهجتي * و استنارةُ حجّتي * و سرنا لا نالوا جُهدا * و لا نستفيق جَهدا * حتى اداَنا السير * الى قريةٍ عزب عنها الخير * فدخلناها للارتياد * و كلانا منفضٌ من الزاد * فما ان بلغنا المحط * و المُناخ المختَطّ * ان لقينا غلام لم يبلغ الحِنثَ * وعلى عاتقه ضِغثٌ * فحيّاه ابوزيد تحيةَ المُسلم * و سأله وقفةَ المُفهِم * فقال وعمَّ تسألُ وفّقك الله * قال ا يباعُ ههنا الرُّطَب * بالخُطَب * قال لا و الله * قال و لا البَلَحُ * بالمُلَح * قال كلا و الله * قال و لا الثمرُ * بالسَّمَر * قال هيهات و الله * قال و لا العصيدة * بالقصيدة * قال أُسكت عافاك الله * قال و لا الثرائد * بالفرائد * قال اين يُذهَبُ بك ارشدك الله * قال و لا الدقيق * بالمعنى الدقيق * قال عَدِّ عن هذا اصلحك الله * و استحلى ابو زيد تراجع السوأل و الجواب * و التكايُلَ من هذا الجراب * و لمح الغلامُ ان الشوط بَطين * و الشيخ شُيَيطين * فقال له حسبُك يا شيخُ قد عرفتُ فنّك * واستبنتُ أنّك * فخُذ الجواب صُبرة * و اكتف به خِبرة * اما بهذا المكان فلا يُشترى الشِّعرُ بشعيرة * ولا النثرُ بنُثارة * و لا القصص بقُصاصة * و لا الرسالة بغُسالة * و لا حُكمُ لُقمان بلقمة * و لا اخبارُ الملاحم بلَحمة * و اما جِيلُ هذا الزمان فما فيهم من يميح * اذا صِيغ له المديح * ولا من يُجيز * اذا أُنشد له الاراجيز * ولا من يُغيث * اذا اطربه الحديث * و لا من يَميرُ * و لو انه اَميرٌ * وعندهم ان مثل الاديب * كالرَّبع الجديب * ان لم تجد الربع ديمة * لم تكن له قيمة * و لا دانته

بهيمة * و كذا الادب * ان لم يعضده نشب * فدرسه نصب * و حزبه حصب * ثم انسدر يعدو * و ولى يحدو * فقال لي ابوزيد أ علمت ان الادب قد بار * و ولت انصاره الادبار * فبؤت له بحسن البصيرة * و سلمت بحكم الضرورة * فقال دعنا الان من المصاع * و خض في حديث القصاع * و اعلم ان الاسجاع * لا تشبع من جاع * فما التدبير فيما يمسک الرمق * و يطفی الحرق * فقلت الامر اليک * و الزمام بيديک * فقال اری ان ترهن سيفک * لتشبع جوفک و ضيفک * فناولنيه و اقم * لانقلب اليک بما تلتقم * فاحسنت به الظن * و قلدته السيف و الرهن * فما لبث ان رکب الناقة * و رفض الصدق و الصداقة * فمکثت مليا اترقبه * ثم نهضت اتعقبه * فکنت کمن ضيع اللبن فی الصيف * ولم القه و لا السيف *

المقامة الرابعة و الاربعون الشتوية و تعرف باللغزية

حکی الحارث بن همام * قال عشوت في ليلة داجية الظلم * فاحمة اللمم * الی نار تضرم علی علم * و تخبر عن کرم * و کانت ليلة جوها مقرور * و جيبها مزرور * و نجمها مغموم * و غيمها مرکوم * و انا فيها اصرد من عين الحرباء * و العنز الجرباء * فلم ازل انص عنسي * و اقول طوبی لک و لنفسي * الی ان تبصر الموقد آلی و تبين ارقالي * فانحدر يعدو الجمزی * و ينشد مرتجزا * نظم حييت من خابط ليل ساري * هداه بل آهداه ضوء النار

الى رحيب الباع رحب الدار * مرحب بالطارق المعتار
ترحاب جعد الكف بالدينار * ليس بمزور عن الزوار
و لا بمعتام القرى مختار * اذا اقشعرت ترب الاقطار
و ضنت الانواء بالامطار * فهو على بؤس الزمان الضاري
جم الرماد مرهف الشفار * لم يخل في ليل و لا نهار
من نحر وار و اقتداح واري

ثم تلقاني بمحيا حيي * و صافحني براحة اريحي * و اقتادني الى بيت عشاره تخور * و اعشاره تفور * و ولائده تمور * و موائده تدور * و باكساره اضياف قد جلبهم جالبي * و قلبوا في قالبي * وهم يجتنون فاكهة الشتاء * و يمرحون مرح ذوي الفتاء * فاخذت مأخذهم في الاصطلاء * و وجدت بهم وجد الثمل بالطلاء * و لما ان سرى الخصر * و انسري الخصر * اتينا بموائد كالهالات دورا * والروضات نورا * و قد شحن باطعمة الولائم * و حمين من العائب و اللائم * فرفضنا ما قيل في البطنة * و رأينا الامعان فيها من الفطنة * حتى اذا اكتلنا بصاع الحطم * و اشفينا على خطر التخم * تعاورنا مشوش الغمر * ثم تبوأنا مقاعد السمر * واخذ كل منا يشول بلسانه * ينشر ما في صوانه * ماعدا شيخا مشتهيا فوداه * مخلولقا برداه * فانه ربض حجرة * و اوسعنا هجرة * فغاظنا تجنبه * الملتبس موجبه * المعذور فيه مؤنبه * الا انا الناله القول * و خشينا في المسئلة العول * و كلما رمنا ان يفيض كما فضنا * او يفيض فيما افضنا * اعرض اعراض العلية عن الارذلين * و تلا ان هذا الا اساطير الاولين * ثم كان الحمية هاجته * و النفس الابية ناجته * فدلف و ازدلف * و خلع الصلف * و بذل ان يتلافى

ما سلف * ثم استدعى سمع السامر * واندفع كالسيل الهامر * وقال

نظم

عندي اعاجيب ارويها بلا كذب * عن العيان فكنوني ابا العجب
رأيت يا قوم اقواما غذاؤهم * بول العجوز وما اعنى ابنة العنب

بول العجوز لبن البقرة و العجوز ايضا من اسماء الخمر *

و مسنتين من الاعراب قوتهم * ان يشتووا خرقة تغني من السغب

الخرقة القطعة من الجراد (†) *

و كاتبين و ما خطت اناملهم * حرفا و لا قرأوا ما خط فى الكتب

الكاتبون الخرازون ـ يقال كتب السقاء و المزادة اذا خرزهما و كتب البغلة و الناقة اذا جمع بين شفريهما و خاطهما *

و قادرين متى ما سا صنعهم * او قصروا فيه قالوا الذنب للحطب

القادر الطابخ فى القدر و القدير المطبوخ فيها *

و تابعين عقابا في مسيرهم * على تكميهم فى البيض و اليلب

العقاب الراية ـ و كانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب (‡) *

و منتدين ذوي نبل بدت لهم * نبيلة فانتدوا منها الى الهرب

النبيلة الجيفة ـ و منه تنبل البعير اذا مات و اروح *

و عصبة لم تر البيت العتيق و قد * حجت جثيا بلا شك على الركب

(†) الجراد و السغب الجوع (‡) العقاب و اليلب ما كان من جنن الجلود و قيل اليلب البولاد *

معنى حَجّت جُثِيًّا اى غلبت بالحجة ۔
مجادلين جاثين على الركب ۔ وجثيٌّ
جمع جاثٍ *

و نسوة بين ما ادلجن من حلب * صبّحن كاظمة من غير ما تعب
كاظمة في هذا الموضع من كظم الغيظ *

و مدلجين سَرْوا من ارض كاظمة * واصبحوا حين لاح الصبح في حَلَب
اى اصبحوا (†) يحلبون اللبن *

و يافعا لم يُلامس قطُّ غانية * شاهدته و له نسل من العَقِب
اليافع الذي قد ترعرع و ناهز البلوغ و النسل
ههنا العَدو و منه قوله تعالى من كل حَدَب
يَنسلون و العَقِب موُخر القَدم *

و شائبا غير مُتْخف للمَشيب بدا * فى البدو وَهْو فَتِيُّ السّن لم يَشِب
الشائب ههنا مازِج اللَبَن ۔ و المشيب
اللبن الممزوج يقال فيه مشوب و مشيب *

و مُرْضَعا بلبان لم يفُهّ فمهُ * رأيته في شِجار بيّن السبب
الشِجار المِحَفّة ما لم تكن مظلّلة فان ظُلّلت
فهو الهودج ۔ و السبب ههنا الحَبْل و منه
قوله تعالى فليَمدُدْ بسبب الى السماء *

و زارعا ذُرّة حتى اذا حُصدت * صارت غُبَيْرآء يهواها اخو الطرب
الغبيرآء السَكر المتخذ من الذُرّة ۔ و فى
الحديث اياكم و الغبيرآء فانها خَمرُ العالم
و تسمى السُكُركَة ايضا *

(†) كاظمة *

و راكضا وَهْو مغلولٌ على فرس * قد غُلَّ ايضا و مايُفكّ من خُبُب

المغلول ههنا العشطان ــ و غُلَّ اى عَطِش *

و ذا يدٍ طُلُقٍ يقتـــاد راحلةً * مستعجلا وهو مأسور اخوكُرَب

الماسور الذي يَجد الاسر و هو احتباس البَوْل *

و جالسا ماشيا تهوي مَطِيَّتُه * به و ما في الذي اوردتُ من رِيَب

الجالس الاتي نَجدا والماشي الذي كثُرت

ماشيته و عليه فَسّر بعضهم قول الله تعالى

ان امشوا كانه دعاء لهم بالنماء و كَثْرة الماشية *

و حائكا اَجْذَم الكفيّن ذا خَرَس * فان عجبتم فكم في الخلق من عجب

الحائك ههنا الذي اذا مشى حَرَّك مَنْكِبَيْه

و فَحَّج بين رُكْبَتَيْه *

و صادعا بالقنا من غير ان علقت * كَفّـــاه يوما برمح لا و لم يذب

القنا ارتفاع الانف و تَحَدُّبُ وسطه و صدع به اى كشفه *

و ذا شطاط كصدر الرُّمْح قامته * صادتْه بمَنّي يشكو من الحَدَب

الحدب ما ارتفع من الارض *

و ساعيا في مَسَرّات الانام يرى * افراحهم مأثما كالظلم و الكَذِب

افراحُهم اثقالُهم بالديْن و منه قوله عليه السلام

لا يُترك في الاسلام مُفرَح اى مُثقَل *

و مغرَما بمناجاة الرجال له * و ماله في حديث الخلق من ارب

الخلق ههنا الكذب و منه قوله تعالى ان هذا

الا خُلُق الاولين *

وذا ذِمام وَفَتْ بالعهد ذمّته * ولا ذمام له في مذهب العرب

الذمام الاول العهد و الثاني جمع ذمة و هي

البئرُ القليلة الماء و عنى بالمذهب المملك

اى ما له فى البدو آبار قليلة الماء *

و ذا قُويٍّ ما استبانت قطُّ لينتُه * و لينُه مستبين غير محتجب

اللّين النخل الدَقَل ومنه قوله تعالى ما قطعتم

من لينَةٍ *

و ساجدا فوق فَحْل غير مكترث * بما اتى بل يراه افضل القُرَب

الفحل الحصير المتخذ من فُحّال النخل *

و عاذِرا مؤلِما مَن ظَلَّ يَعذِره * مع التلطف و المعذور في صُخُب

العاذر الختان و المعذور المختون *

و بلدة ما بهــا ماءٌ لمغترف * و الماء يَجري عليها جَرْيَ مُنسَرِب

البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى ايضا البُلْجَة *

و قرية دون أُفْحُوص القَطا شُحِنَت * بدَيْلم عيشهم من خُلْسة السَّلَب

القرية بيت النَّمْل و الديلم النمل الكثير *

و كوكبا يتــوارى عند رؤيته * الانسان حتى يُرى في امنع الحُجُب

الكوكب النُكتة من البياض التي تَحْدُث في

العين - و الانسان هاهنا انسان العين *

و رونة قُوِّمت مالا له خطــر * و نفس صاحبها بالمال لم تَطِب

الرونة مقدم الانف *

و صَحْفة من نُضار خالص شُرِبَت * بعد المكاس بقيراط من الذهب

النضار هٰهنا شجر النَّبْع و اياه عنى ابرهيم

النَخَعيّ بقوله لا بأس بان يُشرَب في قدح

النُّضار *

مستجيشا بخشخاش ليَدفَع ما * اظَلَّه من اعاديه فلم يَخِب

الخشخاش الجماعة عليهم دُرُوع و اسلحَة *

و طالما مرّ بي كَلْب و في فَمه * ثَوْر و لكنـــه ثور بلا عَبَـــب

الثور القطعة من الاقط *

و كم رأى ناظري فيلا على جَمَل * و قد تَوَرَّك فوق الرحْل و القَتَب

الفيل الرجل الفائل الرأى *

و كم رأت(†) مقلتي عينين مأوهما * يجري من الغرب والعينان في حلب

الغرب مَجْرَى الدمع و العينان ههنا المقلتان

و حلب البلدة المعروفة *

و كم لقيت بعُرْض البِيْد مشتكيا * و ما اشتكى قط في جدٍّ و لا لعب

المشتكي المتخذ شكوة و هي القربة الصغيرة *

كذت ابصرت كرّازا لراعية * بالدّو ينظُر من عينين كالشُّهُب

الكرّاز الكَبْش الذي يحمل عليه الراعي اداته *

و كم نزلت بارض لا نخيل بها * و بعد يوم رأيت البُسْر في القُلُب

البُسر جمع بُسرة و هي الماء الحديث

العهد بالمطر و القلب جمع قليب *

و كم رأيت باقطار الفلا طَبَقا * يطير في الجو منصبا الى صَبَب

الطَّبَق القطعة من الجَراد *

و كم مشائخ في الدنيا رأيتهم * مُخَلَّدين و من يَنجو من العَطَب

المخلد الذي ابطأ شيبه (‡) *

و كم بدا لي وحش يشتكي سَغَبا * بمنطق ذَلِق امضى من القُضُب

الوحش الرجل الجائع *

و كم دعاني مستَنْجٍ فحادثني * و ما اخَلَّ و لا اخللت بالادب

(†) و عاينت (‡) و كذلك المُخْلَد و المخلِد

المستنجي الجالس على نجوة و هي المكان المرتفع (†) *

وكم انخت قَلُوصي تحت جُنْبُذَة * تُظلّ ما شئت من عُرْب ومن عُرُب

الجُنْبُذة القُبّة و العُرُب جمع عَروب و هي المرأة

المتحببة الى زوجها *

وكم نظرت الى من سُرّ ساعته * و دمعه مستهلّ القَطْر كالسُّحُب

سُرّ اى قُطع سُرّه و يسمى ما يبقى بعد القطع السُّرّة *

و كم رأيت قميصا ضَرّ صاحبه * حتى انثني واهى الاعضاء والعَصَب

القميص الدابّة الكثيرة القماص *

وكم ازار لو ان الدهر اتْلَفه * لجفّ لُبّد حثيث السير مضطرب

الازار المرأة و منه قول الشاعر—ع

فدي لك من اخى ثقة ازاري (§)

هذا و كم من افانين معجّبـة * عندي ومن مُلَح تُلهى و من نُخَب

فان فطنتم للحن القول بان لكم * صدقي و دلكم طلعي على رطبى

و ان شُدهْتم فان العار فيه على * من لا يميز بين العود و الخشب

قال الحارث بن همام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه * و تاويل معاريضه * و هو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي * ويقول ليس بعُشّك فادرُجي * الى أن تعسّر النتّاج * و استحكم الارتتاج * فالقينا اليه المقادة * و خطبنا منه الافادة * فوقفنا بين الطمع و اليأس * و قال الايناس قبل الابساس * فعلمنا انه ممن يَرْغب فى الشُّكْم * و يرتشي فى الحُكْم * وسآء ابا مثوانا ان نُعَرّض للغُرْم * او نُخَيّب بالرَّغم * فاحضر ناقة عيدّية * وحُلّة سعيدية * و قال له خذهما حلالا * ولا ترزأ اضيافي زبالا * فقال اشهد انها شِنْشنة

(†) وهى المكان المرتفع الذي تظن انه نجاوك (§) و قيل عني به نفسه *

اخزَميّة * و أريَحيّة حاتمية * ثمّ قابلنا بوجه بِشْرُه يَشِفّ * و نَضْرَته تَرِفّ * و قال يا قوم ان الليل قد اجلوّذ * و النعاس قد استحوذ * فافزعوا الى المراقد * و اغتنموا راحة الراقد * لتشربوا نشاطا * و تبعثوا نشاطا * فتّعوا ما أُفسِر * و يتسهّل لكم المتعسّر * فاستصوب كل ما رآه * و توسّد وسادة كَراه * فلما وسنت الاجفان * و اغفت الضِيفان * وثب الى الناقة فرحلها * ثم ارتحلها و رحّلها * و قال مخاطبا لها * نظم

سَروجَ يا ناقَ فسيري و خِدي * و ادلجِي و أوِبي و أسْئدي
حتي تطاكُخفّاك مرعاها النّدِي * فتنعمِـي حينئذ و تسعـدي
و تأمني ان تتهمي او تنجدي * ايهٍ فدتك النّوقُ جدّي واجهدي
و افري اديم فدفدٍ فَفَـدفدِ * و اقتنعي بالنّشْحِ عند المـورد
و لا تحطّي دون ذاك المقصد * فقد حلفتُ حلفـةَ المجتهد
بحرمة البيتِ الرفيع العُمُـد * انّكِ ان احللتني في بلدي
حللتِ مني بمحـلّ الولد

قال فعلمت انه السروجي الذي اذا باع انباع * و اذا ملأ الصاعَ انصاع * و لما انبلج صباح اليوم * وهبّ النُوّام من النوم * اعلمتهم ان الشيخ حين اغشاهم السُّبات * طلّقهم البتات * و ركب الناقة و فات * فاخذهم ما قدُم و ما حدُث * و نسوا ما طاب منه بما خبُث * ثم انشعبنا في كل مَشعَب * و ذهبنا تحت كل كوكب *

قال القاسم بن علي رضي الله عنه قد فسّرت سرّ كل لُغز نحته * و لم أبعد على من يقرأه كشفه * و قد بقيت ألفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع اليه فاحببت ايضاحها له ليكفى حيرة الشبهة * و كُلفة الفكرة *

و وصمة البَحْث و المسئلة * و بالله تعالى الاستعانة و القوة * قوله عَشَوْتُ الى نار ـ يعني تذورتها فقصدتها فان لم تَقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى و من يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانا اي و من يُعرض * و قوله انا فيها اصرَدُ من عين الحرباء و العنز الجرباء ـ هذان مثلان يُضربان لمن يبلغ منه البرد و ذلك لان الحرباء يدور ابدا مع الشمس و تستقبلها بعينه و لذلك شبّه ابنُ الرومي الرقيبَ بالحرباء في قوله * نظم

ما بالها قد حُسِّنَت و رقيبها * ابدا قبيحٌ قُبِّحَ الرُّقباء
ما ذاك الا انها شمس الضحى * ابدا تكون رقيبها الحرباء

و العنز الجرباء لاتدفوءُ في الشتاء لقلة شعرها * و ذكَر بعضهم ان العنز الجرباء تصحيف المثل الاول * و قولهُ بحر وار ـ يعني الجمل المكتنز شحما الكثيرُ مُخًّا * و قوله عشاره تخُورُ و اَعشارهُ تفور ـ العشارُ النُّوق الحوامل واحدتُها عُشراء و هي التي اتى عليها في الحمل عشرة اشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضَعَ و الاعشار البُرْمَةُ العظيمةُ كأنها شُعّبت لعظَمها يقال بُرمةٌ اَعشارٌ و جَفنةٌ اَكسارٌ و ثوبٌ اسمالٌ و بُردٌ اخلاقٌ و حَبْلٌ اَرمامٌ و وصفُ الجماعة منها كوصف الواحد * و قوله فاكهةَ الشتاء ـ كنى بها عن النار و منه قولُ بعض المحدثين * نظم

النار فاكهة الشتاء فمن يُرِدْ * اكلَ الفواكه شاتياً فَلْيَصْطَلِ
إنَّ الفواكهَ في الشتاء شهيَّةٌ * و النارُ للمقرور افضلُ ماكلِ

و قوله موائد كالهالات ـ يعني دارات القمر واحدها هالة و دارةُ الشمس تُسمَّى الطُّفاوة * و قوله مَشُوش الغمر ـ يعني المنديل يقال مَشَّ يدهُ بالمنديلِ اى مسحها و منه قول امرء القيس * نظم

نُمُشُّ باعراف الجِيادِ اَكفنّا * اذا نحن قمنا عن شواءٍ مُضَهَّبِ

و قوله مُشتهبا فوداه - اى صار من الشيب في لون الاشهب و منه قول امرء القيس ايضا * نظم

قالت الخَنساء لمّا جئتُها * شاب بعدي رأسُ هذا واشتهَبْ

و قوله ربَضَ حَجرةً - يعني ناحيةً و يقال فى المثل لمن يُشارك في الرخاء و يُجانب عندَ البلاء يرتَع وسَطا و يربِضُ حَجرة * و قوله فاسترعى سمعَ السامر - يعني السُّمّار لان السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحَيِّ النازلين على الماء و كالباقر اسم لجماعة البقر و قال بعض اهل اللغة هو اسم للبَقَر مع رُعاتها و اشتقاق السامر من السَّمَر و هو ظل القمر ماخوذ من السُّمْرة فلما كان غالب احوال السُّمّار انهم يَتحدَّثون في ظل القمر اشتُقّ لهم اسم منه و الى هذا يرجع قولهم لا اُكلّمه القمر و السمر * و قوله ليس بعُشّك فادرُجي - هذا مثل يُضرَب لمن يَتعاطى ما لا ينبغي له و العُشّ ما يكون في شجرة فان كان في حائط او كَهْف جبل فهو وَكْر * و قوله الايناس قبل الابساس - هذا مثل ايضا و معناه انه ينبغي ان يُؤنَس الانسان ثم يُكلَّف و اصله اَنّ حالب الناقة يُؤنسها حين يروم حلبها ثم يبُسّ بها للحلَب و الابساس ان يقول لها بُسْ بُسْ لتسكن و تدُرّ و تسمى الناقة التي تدُرّ على الابساس البَسُوسَ * و قوله يرغَب فى الشُّكم - الشُّكْم ما اعطيته على سبيل المجازاة فان اَعطيته مبتدئا فهو الشُّكْد * و قوله ساء اَبا مثوانا - يعني المضيفَ الذي اَوَوا اليه و ثَوَوْا عنده * و قوله ناقة عِيدية - قيل انها منسوبة الى فَحل مُنجِب اسمه عِيدٌ و قيل انها منسوبة

الى فحذ من مَهْرَةَ و اسمه عيد (†) بن مَهرةَ و كانت مهرةُ و عيدُ تنجذان نجائب الابل فنسبت اليهما * و قوله حُلّةً سعيديّةً ـ هي منسوبة الى سعيد بن العاص و كان رسول الله صلى عليه و سلم كساه و هو غلامٌ حُلّةً فنسب جنسها ليه * و قوله لاترزأ اضيافي زبالا ـ اى لاترزاهم شيأ و ان قلّ و الاصل فى الزبال ما تحمله النملة بفيها * و قوله شِنْشِنة اَخزميّة ـ اشار به الى المثل الذي ضربه جدّ حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرَج بن اَخزم الطائي حين نشأ حاتم و تقيّل اخلاقَ جده اَخزمَ فى الجود فقال شِنْشِنة اعرِفُها من اَخزَمَ ـ و تمثل عَقيل بن عُلّفَةَ به حين قال * نظم

إنَّ بَنِيَّ ضَرَّجوني بالدم * من يلقَ آسادَ الرجال يُكْلَمِ

شِنْشِنةٌ اعرِفُها مِن اَخزَمِ

و من ادعى ان المثل له فقد سها فيه * و قوله إجلَوّذ ـ اى اسرع فى الذهاب و مثله اِخروّطَ * و قوله وثب الى الناقة فرحلها يعني شدّ عليها الرحلَ و به سميت الراحلة لانها فاعلة في معنى مفعولة كقوله تعالى في عيشةٍ راضيةٍ اى مرضية و من ماء دافق اى مدفوق و الراحلة تقع على الناقة و الجمل و دخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية و راوية * و قوله اِرتحلها اي ركبها و فى الحديث ان النبي صلى الله عليه و سلم سجد فركبه الحسن رضي الله عنه فابطأ في سجوده فلما قضى صلوته قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان أعجله * و قوله و رحّلها ـ اى ازعجها و اشخصها و اجدّ بها في الرحيل و منه الخبر تخرج عند اقتراب الساعة نار من قَعْرِ عَدَنَ تُرحِّلُ الناس * و قوله فادلجي و اوبي و اَسْئدي ـ الادلاج ان تسير الليل

(†) و اسمه عيد بن الامري على وزن العامري بن مهرة *

كله و الاسم منه الدَّلْجَة بفتح الدال والادلاج بالتشديد ان تسير من آخره و الاسم منه الدُّلْجة بضم الدال و قيل إن الدلجة بفتح الدال وضمها بمعنى واحد * و التأويب سير النهار وحده * و الاسآد ان تسير ليلا و نهارا * والخمس ان تشرب دون الريّ * و قوله فاخذهم ما قَدُمَ و ما حدُثَ يقال ذلك لمن تستولى الهمومُ عليه و تتلاعب به و تُضمّ الدَّالُ من حَدُثَ في هذا الموضع وحده ليوافق لفظها لفظَ قدُمَ فان أُفرد حدث عن قدُم وجب فتح الدال من حدث و مثله قولهم هنأني و مرأني بحذف الالف من امرأني اذا ذكر مع هنأني فان افردته وجب ان تقول امرأني الشيءُ و كذلك يقولون رِجسٌ نِجْسٌ فيكسرون النون من نَجَس و يُسكّنون الجيم ليزاوج لفظةَ رِجْسٍ فان أُفرِدَ قيل نَجَسٌ بفتح النون و الجيم كما قال الله تعالى انما المشركون نَجَسٌ * و قوله ذهبنا تحت كل كوكب — هذا مثل يُضرَبُ لمن يختلفُ في السفر طرقُهم و تتباينُ سبلُهم *

المقامة الخامسة والاربعون

الرملية

حكى الحارث بن همام قال كنت أخذتُ عن أُولى التجاريب * ان السفر مرآة الاعاجيب * فلم ازل اجوبُ كلَّ تنوفة * و اقتحم كلَّ مخوفة * حتى اجتليت كل اطروفة * فمن احسنِ ما لمحتُه * و اغربِ ما استملحتُه * اني حضرتُ قاضي الرَّمْلَة * و كان من ارباب الدولة والصَّولة * و قد تراقع اليه بالٍ في بال * و ذاتُ جمال في

أسمال * فهم الشيخ بالكلام * و تبيان المرام * فمنعته الفتاةُ من الافصاح * و خسأته عن النُّباح * ثم نضت عنها فضلة الوِشاح * و أنشدت بلسان السليطة الوقاح * نظم

يا قاضيَ الرملة يا ذا الذي * في يده النمرةُ و الجمرة
اليك اشكو جورَ بعلي الذي * لم يحجج البيت سوى مرة
و ليته لمّا قضى نسكه * وخفّ ظهرا اذ رمى الجمرة
كان على رأي ابي يوسف * في صلة الحجة بالعمرة
هذا على أني مذ ضمّني * اليه لم اعص له امرة
فمره إمّا الفة حلوة * ترضي و أمّا فرقة مرة
من قبل ان أخلع ثوب الحيا * في طاعة الشيخ ابي مرة

فقال له القاضي قد سمعت ما عزتْك اليه * و توعدتْك عليه * فجانب ما عرّك * و حاذر أن تفرك و تعرك * فجثا الشيخ على ثفناته * و فجّر ينبوعَ نفثاته * و قال *

نظم

إسمع عداك الذم قولَ امرئٍ * يوضح فيما رابها عذره
و الله ما اعرضتُ عنها قلىً * و لا هوى قلبي قضى نذره
و انما الدهر عدا صرفُه * فابتزّنا الدرة و الذرة
فمنزلي قفر كما جيدها * عطل من الخرزة و الشذرة
و كنتُ من قبلُ أرى في الهوى * و دينه رأيي بني عذرة
فمذ نبا الدهر هجرت الدمى * هجران عفّ آخذ حذره
و ملت عن حرثي لا رغبةً * عنه و لكن اتّقي بذره
فلا تلم من هذه حاله * و اعطف عليه و احتمل هذره

قال فالتظت المرأة من مقاله * و انتضت الحجج لجداله *

و قالت له ويلك يا مُرْقعانُ * يا مَن هو لا طعامٌ و لا طعانٌ (§) *
اتضيق بالولد ذرعا * و لكن الاحولة مرعىً * لقد ضلّ فهمُك و اخطا
سهمُك * و سَفِهتْ نفسُك * و شقيَتْ بك عرسُك * فقال لها
القاضي اَمّا انتِ فلو جادلت الخنساء * لا نثنَتْ عنك خرساء *
و امّا هو فان كان صدق في زُعْمه * و دعوى عُدْمه * فله في هَمّ قبقبه *
ما يشغلهُ عن ذَنْبه * فاطرقتْ تنظُر ازورارا * و لا ترجعُ حوارا *
حتى قلنا قد راجعها الخَفَر * او حاق بها الظفر * فقال لها الشيخ
تعساً لكِ اِن زخرفْتِ * او كتمتِ ما عرفتِ * فقالت ويحك
و هل بعد المنافرة كتم * او بقي لنا على سرٍ ختم * و ما فينا الا من
صدَق * و هتك صونه اذ نطق * فليتنا لاقينا البُكم * و لم نلق
الحَكَم * ثم التفعتْ بوشاحها * و تباكتْ لافتضاحها * و جعل
القاضي يعجَبُ من خَطْبهما و يُعجّبُ * و يلومُ الدهرَ لهما
و يُؤنّبُ * ثم احضرَ من الورق الفيْن * و قال ارضيا بهما الاجوفيْن *
و عاصيا النازغ بين الالفيْن * فشكراه على حسن السَّراح * و انطلقا
و هما كالماء و الراح * و طفق القاضي بعدُ مسرحهما * و تنائي
شبحهما * يُثْني على ادبهما * و يقول هل من عارفٍ بهما *
فقال له عينُ اعوانه * و خالصةُ خُلْصانه * اما الشيخ فالسروجيُّ
المشهود بفضله * و اما المرأة فقعيدة رحْله * و امّا تحاكمُهما
فمكيدة من فعْله * و احبولة من حبائل خَتْله * فاحفظَ
القاضيَ ما سمع * و تلهّبَ كيْف خُدع * ثم قال للمواشي بهما *
قم فرُدّهما * ثم اقصدْهما و صدْهما * فنهضَ ينفُضُ مذرويْه * ثم
عاد يضربُ اَصْدَرَيْه * فقال له القاضي اظهرْنا على ما نبثتَ *

(§) لا طعام عنده و لا طعان *

و لا تُخف عنّا ما استخبثتَ * فقال ما زلتُ استقرى الطُرُق * و استفتح الغُلُق * الى ان ادركتُهما مُصحرِيَن * و قد زمَّا مطىّ البيْن * فرغّبتُهما في العَلَل * و كفلتُ لهما بنيل الامل * فأُشرِبَ قلبُ الشيخ ان ييأسَ * و قال الفِرارُ بقراب اكيَسُ * و قالت هي بلِ العَودُ احمدُ * و الفروقةُ يكمَدُ * فلما تبيّن الشيخ سفَهَ رائها * و غرَرَ اجترائها * امسك ذلاذلها * ثم انشأ يقول لها * نظم

دونك نصحي فاوفي سُبْلَه * و اغني عن التفصيل بالجُملة

طيري متى نقرتِ من نخلةٍ * و طلّقيها بتّةً بتْلة

و حاذري العَوْدَ اليها و لو * سبّلها ناطُورُها الابلَه

فخيرُ ما للّصّ ان لا يرى * ببقعةٍ فيها له عمْلَه

ثم قال لي لقد عنّيتَ بما وليت * فارجع من حيثُ جئتَ *

و قل لمرسلك إن شئت * نظم

رويدك لا تعقب جميلك بالاذى

فتضحى و شملُ المال و الحمد مُنصدِعْ

و لا تغضبْ من تزيّد سائل

فما هو في صوغ اللسان بمُبتدِعْ

و ان تكُ قد ساءتك مني خديعةٌ

فقبلك شيخُ الاشعريّين قد خُدِعْ

فقال القاضي قاتله الله فما احسن شُجُونه * و املحَ فُنُونه * ثم انه اصحب رائدهُ بُرْدَين * و صُرّةً من العين * و قال له سِرْ سَيْرَ من لا يري الالتفات * الى ان ترى الشيخ و الفتاة * فبُثّ يدَهما بهذا الحِباء * و بيّنْ لهما انخداعي للادباء * قال الراوي فلم ار في الاغتراب * كهذا العُجاب * و لا سمعتُ بمثله ممن جال و جاب *

المقامة السادسة والاربعون
الحلبية

حدث الحارث بن همام قال نزع بي الى حلب * شوق غلب * وطلب يا له من طلب * و كنت يومئذ خفيف الحاذ * حثيث النفاذ * فاخذت اهبة السير * و خففت نحوها خفوف الطير * و لم ازل مذ حللت ربوعها * و ارتبعت ربيعها * أفاني الايام * فيما يشفي الغرام * و يروي الأوام * الى ان اقصر القلب عن ولوعه * و استطار غراب البين بعد وقوعه * فاغراني البال الخلو * و المرح الحلو * بان اقصد حمص لاعطاف ببقعتها * و اسبر رقاعة اهل رقعتها * فاسرعت اليها إسراع النجم * اذا انقض للرجم * فحين خيمت بربوعها * و وجدت روح نسيمها * لمح طرفي شيخا قد اقبل هريره و ادبر غريره * و عنده عشرة صبيان * صنوان و غير صنوان * فطاوعت في قصدة الحرص * لاخبر به أدباء حمص * فبش (†) بي حين وافيته * و حيا (‡) باحسن مما حييته * فجلست اليه لابلو جني نطقه * و اتفهم كنه حمقه * فما لبث ان اشار بعصيته * الى اكبر أصيبيته * و قال له انشد الابيات العواطل * و احذر ان تماطل * فجثا جثوة ليث * و انشد من غير ريث * نظم

اعدد لحسادك حد السلاح * و اورد الآمل ورد السماح
و صارم اللهو و وصل المها * و اعمل الكوم و سمر الرماح

(†) فهش (‡) حياني *

واسعُ لادراكِ محلٍّ سما * عمادهُ لا لادّراع المراح
واللهِ ما السودَدُ حسوُ الطِّلا * ولا مرانُ الحصنِ رودُ رداح
واهًا لحُرٍّ صدرهُ واسعٌ * وهمّه ما سرَّ اهلَ الصلاح
موردهُ حلوٌ لسُوّاله * ومالهُ ما سألوهُ مُطاح
ما اسمعَ الآملَ ردًّا ولا * ماطلَهُ والمطلُ لومٌ صُراح
ولا اطاعَ اللهوَ لمّا دعا * ولا كسا راحا له كاسَ راح
سوّده اصلاحهُ سرَّهُ * وردعهُ اهواءه والطماح
وحصّلَ المدحَ له علمهُ * ما مُهرُ العُورِ مُهورُ الصحاح

فقال له احسنتَ يا بُدَير * يا راسَ الدَّير * ثم قال للتلو * المشتبه بصنوه * أدنُ يا نوَيرةُ * يا قمر الدُّويرة * فدنا ولم يتباطأ * حتى حلَّ منه مقعد المُعاطي * فقال له اجُلِ الابياتَ العرائسَ وان لم يكن نفائس * فبرى القلمَ وقطَّ * ثم احتجر اللوح وخطَّ * نظم

فتنَتْني فجنَّنتني تجنّي * بتجنٍّ يفتّنُ غِبَّ تجنّي
شغفتني بجفنِ ظبيٍ غضيضٍ * غَنِجٍ يقتضي تغيُّضَ جفني
غشيتني بزينتَين فشفّتني بزيٍّ بشفٍّ بيِّنِ تثنّي
فتظنّيتُ تجتبيني فتجزيني بنفثٍ بشفي فتيتُ ظنّي
ثبّتَتْ في غشِّ جيبٍ بتزيينٍ خبيثٍ بغيٍ تُتَقّي ضِغْني
نفَرَتْ في تجنُّبي فتثنَّتني * بنشيجٍ يُشجي بفنٍّ ففنِّ

فلما نظر الشيخ الى ما حبَّره * وتصفح ما زبَّره * قال له بورك فيك من طلا * كما بورك في لا ولا * ثم هتف أُقرُبْ * يا قُطرُبُ * فاقترب منه فتىً يحكي نجمَ دُجية * او تمثالَ دمية * فقال له ارقم الابيات الاخياف * وتجنَّب الخلاف * فاخذ القلم * ورقم * نظم

اسمح فبثُّ السَّماح زينٌ * ولا تُخِبْ آملًا تضيَّفْ

و لا تُجز ردَّ ذي سؤال * فَنَنَّ ام في السؤال خَفَّف
و لا تظنّ الدهورَ تُبقى * مالَ ضنين ولو تقشّف
و احلمْ فجفنُ الكرام يُغضي * و صدرُهم في العطاء نَفْنَف
و لا تخُنْ عهدَ ذي وداد * ثبت و لا تبغ ما تزيّف

فقالَ له لا شلّت يداك * و لا كلّت مُداك * ثم نادى يا غشمشم * يا عطرَ منشم * عليّ بدواة غلامٍ دُرّة غوّاص * و جُؤذر قنّاص * فقال له اكتُبِ الابياتَ المتائيم * و لا تكن من المَشائيم * فتناولَ القلمَ المثقّف * و كَتَب و لم يتوقّف * نظم

زيّنَت زينبُ بقدٍّ يَقُدُّ * و تلاهُ وَيْلاهُ نَهْدٌ يَهُدُّ
جندُها جيدُها وظرفٌ وطرفٌ * ناعسٌ ناعشٌ بحدٍّ يحُدُّ
قدرُها قد زها و تاهت و باهت * و اعتدت و اغتدت بخدٍّ يخُدُّ
فارقتني فأرّقتني و شطّت * و سطَت ثم نمَّ وجدٌ و جدٌّ
فدنت فديت وحنّت وحيّت * مُغضَباً مُغضياً يودُّ يودُّ

فطفق الشيخ يتأمّلُ ما سطرَه * و يقلّبُ فيه نظرَه * فلما استحسنَ خطَّه * و استصحّ ضبطَه (†) * قال له لا شلّ عشرُك * و لا استخبث نشرُك * ثم اهابَ بفتىً فتّانٍ * يسفرُ عن ازهار بستان * فقال له انشد البيتين المطرفين * المشتبهي الطرفين * اللذين اسكتا كلّ نافث * و امنا ان يُعزَّزا بثالث * فقال له اسمع لا وُقرَ سمعك * و لا هُزِمَ جمعك * و انشد من غير تلبّث و لا تريّث * نظم

سِمْ سِمةً تحسُنُ آثارها * و اشكر لمن اعطى و لو سمسمة

(†) و استصح شكله و ضبطه و في بعض النسخ فلما استملح خطه و ارتضى شكله و ضبطه ٭

و المكر مهما استطعت لا تأته * لتقتني السودد و المكرمة

فقال له اجدت يا زعلول * يا ابا الغلول (†) * ثم نادى ارضع يا ياسين * ما يشكل من ذوات السين * فنهض و لم يتأن * و انشد بصوت اغن * نظم

نقس الدواة و رسغ الكف مثبتة * سيناهما خطّا وإن درسا
و هكذا السين في قسب و بسقة * والسقخ والبخس والقسر واقتبس قبسا
و في تقسست بالليل الكلام و في * مسيطر و شموس و اتخذ جرسا
و في قريس و برد قارس فخذ الصـ * ـواب مني كن للعلم مقتبسا

فقال له احسنت يا نغيش * يا صاجة الجيش * ثم قال ثب يا عنبسة * و بين الصادات الملتبسة * فوثب وثبة شبل مذار * و انشد (‡) من غير عثار * نظم

بالصاد يكتب قد قبضت دراهما * باناملي و اصخ لتستمع الخبر
و بصقت ابصق و الصماخ وصنجة * و القص و هو الصدر و اقتص الاثر
و بخصت مقلته و هذي قرصة * و قد ارعدت منه الفريصة للخور
و قصرت هذا الى دبست وقددنا * فصح النصارى و هو عيد منتظر
و قرصته و الخمر قارصة اذا * حذت اللسان و كل هذا مستطر

فقال له رعيا لك يا بني * فلقد اقررت عيني * ثم استنهض ذا جثة كالبيدق * و نغشة كالشودق * و امره بان يقف (§) بالمرصاد * و يسرد ما اجري على السين و الصاد * فنهض يسحب برديه * ثم انشد مشيرا بيديه * نظم

ان شئت بالسين فاكتب ما ابيّنه * و ان تشأ فهو بالصادات يكتتب
مغس و نقس و مسطار و مملس * و سالغ و سراط الحق و السقب

(†) يا ابا الغول (‡) ثم انشد (§) و امره ان يقف .

المغس الوجع المعترض في الجوف و هو مُسكّن الغين و الغقس نقس البيضة * و المُسطار الخمرة المزة و يقال لها المسطارة ايضا * و المملس الذي يسقط من يديك ولا تشعر به * و السالغ آخر اسنان ذوات الظلف * و السقب القرب * نظم

و السامغان و سقرُ والسويق ومِشْـ*ـلاق و عن كل هذا تُفصح الكتب

السامغان جانبا الفم * و المسلاق الشديد الصوت * و منه قوله تعالى سَلَقُوكم بالْسنة حداد * فقال له احسنت يا حبقة * يا عين بقة * ثم نادى يا دُعْفُل * يا ابا زَنْفَل * فلباه فتًى احسنُ من بَيْضة * في روضة * فقال له ما عقد هجاء الافعال * التي آخرها حرف الاعتلال * فقال له اسمع لاصمَّ صداك * ولا سمعتَ عداك * ثم انشد * و (†) ما استرشد * نظم

إذا الفعلُ يوما غمَّ عنك هجاؤه * فالحق به تاءَ الخطاب و لا تقف
فان تر قبل التاء ياءً فكتبُـه * بياء و الا فهو يُكتب بالالف
و لا تحسب الفعل الثلاثي والذي * تعدّاه و المهموز في ذاك يختلف

فطَرِبَ الشيخ لما اداه * ثم عوّذه وفدّاه * ثم قال هلمّ يا قعقاعُ * يا باقعةَ البقاع * فاقبل فتىً احسنُ من نار القرى * في عين ابن السُّرى * فقال له اِصدَعْ بتمييز الظاء من الضاد * لتصدع اكباد الاضداد * فاهتزّ لقوله و اهتَشّ * ثم انشد بصوت اجَشّ *

نظم

ايها السائلي عن الظاء و الضا * د لكيلا تضُلَّه الالفاظ
انّ حفظ الظاءات يغنيك فاسـ*ـمعها استماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياءُ و المظالم و الاظـ*ـلام و الظلم و الظبى و اللحاظ

(†) بعد *

و العظما و الطايم و الظَّبي و الـتشيظم و الظلُّ و اللظَّى و الشُّواظ
و التظنّي و اللّغظ و النظم و التقريظ و القيظ و الظماء و اللماظ
و الحظي و النظير و النظر و الجاحظ و الناظرون و الايقاظ
و التشظّي و الظّلف و العظم و الظنبوب و الظهر و الشظى و الشّظاظ
و الاظافير و المظفر و المحظور و الحافظون و الاحفاظ (*)
و الحظيرات و المظنة و الظنة و الكاظمون و المغتاظ
و الوظيفات و المواظب و الكظّة و الانتظار و الالظاظ
و ظيف و ظالع و عظيم * و ظهير و الغظ (†) و الاغلاظ
و نظيف و الظرف و الظلف الظا * هر ثم الغظيع (‡) و الوعّاظ
و عكاظ و الظعن و المظّ و الحنظل و القارظان و الارشاظ

المظ رمّان البرّ * و القارظ جاني القرظ وهو النبات المدبوغ به *
و الاوشاظ الاخلاط و الجماعات * نظم

و ظراب الظران و الشظف الباهظ و الجعظري و الجوّاظ

الظراب الربا الصغار واحدها ظرب * و الظرّان الحجارة المحدّدة
واحدها ظرر * و الشظف البؤس و سوء العيش * و الباهظ المثقل *
و الجعظري المتنفخ (||) بما ليس عنده * و الجواظ الفاجر و قيل
الاكول المختال * نظم

و الظرابين و الحناظب و العنظب ثم الظيّان و الارعاظ

الظرابين جمع ظربان و هي دابّة لا يطاق فسوها و تجمع ايضًا على
ظرابي بحذف النون و على ظربى و هو شاذ (§) و لم يجئ على
فعلى الا هذا و حجلى جمع حجل * و الحناظب ذكور الخنافس *

(*) الاحفاظ (†) الفظ (‡) الفظيع (||) المنتفخ (§) و هو جمع شاذ *

و العُنظُبُ ذَكَر الجَراد * و الظَّيّان ياسمين البَر * و الارعاظ جمع رُعْظ
و هو مدخَل النَّصل في السهم * نظم

والشناظي والداظ(¶)والظّأب والظبظاب و العُنْظُوان و الجِنْعَاظُ

الشناظي نواحي الجبل * و الداظ الدفع * و الظاب الصخب($)
و قد تُبدل الداء منه ميما و قيل ان الظاب و الظأم اسمان لسلف
الرجل * و العُنْظُوان نَبت * و الظبظاب الداء يقال ما به ظبظاب
كما يقال ما به قَلَبة * و الجنعاظ الاحمق و قيل المتسخط
عند الطعام * نظم

و الشناظير و التعاظُل و العِظْلِم و البَظْرُ بعدُ و الانعاظُ

الشناظير جمع شِنظير * و هو السيئ الخُلق * و التعاظُل تلازم الجراد
و الكلاب عند السِّفاد * و العِظْلِم الخِطْمي * نظم

هي هٰذي سوى النوادر فاحفظها لتقفو آثارك الحفّاظُ

واقض فيما صرفت منها كما تقضيه في اصله كقيظ و قاظوا

فقال له الشيخ احسنت لافض فوك * و لا بر من يجفوك * فو الله
انك مع الصبا الغضّ * لاحفظ من الارض * و اجمع من يوم
العرض * و لقد اوردتك و رُفقاتك زلالي * و ثقّفتكم تثقيف العوالي *
و الحقتكم جناح تكرمتي * و سقيتكم سُلافة كرْمتي * حتى لحقتم
بالعلية * و تحلّيتم من الادب باحسن الحلية * فاذكروني اذكركم
و اشكروا لي و لا تكفرون * قال الحارث بن همام فعجبت لما أبدى
من براعة * معجونة برقاعة * و اظهر من حذاقة * ممزوجة بحماقة *
و لم يزل بَصَري يصعّد فيه و يصوّب * و ينقّر عنه و ينقّب * و هو
كمن ينظر في ظلماء * او يسري في يهماء * فلما استراث تنبّهي

(¶) الداظ ($) السخب *

و استبان تدلهي * حملق اليّ و تبسم * و قال لم يبق من يتوسم * فبهتُ(†) لفحوى كلامه * و وجدته ابا زيد عند ابتسامه * و اخذت الومه على تدثر بقعة الذكي * و تخير حرفة الحمقى * فكأن وجهه أسف رمادا * او أشرب سوادا * الا انه انشد و ما تمادى * نظم

نخيّرت حمض و هذي الصناعه * لأرزق حظوة اهـــل الرقاعه
فما يصطفي الدهر غير الرقيع * و لا يوطن المال الا بقاعـــه
و لا لاخي اللب من دهــــره * سوى ما لعير ربيـــط بقاعـــه

ثم قال اما ان التعاليم اشرف صناعة * و اربح بضاعة * و انجح شفاعة * و افضل براعة * و ربه ذو إمرة مطاعة * و هيبة مشاعة * و رعية مطواعة * يتسيطر تسيطر امير * و يرتب ترتيب وزير * و يتحكم تحكم قدير * و يتشبه بذي ملك كبير * لولا انه يخرف في آمد يسير * و يتسم بحمق شهير * يتقلب بعقل صغير * و لا ينبئك مثل خبير * فقلت له تالله انك ابن الايام * و علم الاعلام * والساحر اللاعب بالافهام * المذلّل له سبل الكلام * ثم لم ازل معتكفا بناديه * مغترفا من سيل واديه * الى ان غابت الايام الغر * و نابت الاحداث الغبر * ففارقته و لعيني العبر *

المقامة السابعة و الاربعون
الحجرية

حكى الحارث بن همام قال احتجت الى الحجامة و انا بحجر اليمامة * فأرشدت الى شيخ يحجم بلطافة * و يسفر عن نظافة *

(†) فبهت *

فبعثت غلامي لاحضاره * و ارصدت نفسي لانتظاره * فابطأ بعد ما انطلق * حتى خلته قد ابق * او ركب طبقا عن طبق * ثم عاد عود المخفق مسعاه * الكل على مولاه * فقلت له ويلك آبطأ فذ * و صلود زند * فزعم ان الشيخ اشغل من ذات النحيين * وفي حرب كحرب حنين * فعفت الممشى الى حجام * و حرت بين اقدام واحجام * ثم رأيت ألاّ تعنيف * على من ياتي الكنيف * فلما شهدت موسمه * و شاهدت ميسمه * رأيت شيخا هيئته نظيفة * و حركته خفيفة * و عليه من النظّارة اطواق * و من الزحام طباق * وبين يديه فتىً كالصمصامة * مستهدف للحجامة * والشيخ يقول له اراك قد ابرزت راسك * قبل ان تبرز قرطاسك * ولّيتني قذالك * و لم تقل لي ذالك * و لست ممن يبيع نقدا بدين * و لا من يطلب أثرا بعد عين * فان ادت رضخت بالعين * حجمت في الاخدعين * وان كنت ترى الشح اولى * و خزن الفلس في النفس احلى * فاقرأ عبس و تولى * واغرب عني و الاّ * فقال الفتى و الذي حرم صوغ المين * كما حرم صيد الحرمين * اني لافلس من ابن يومين * فثق بسيل تلعتي * و انظرني الى سعتي * فقال الشيخ ويحك ان مثل الوعود * كغرس العود * هو بين ان يدركه العطب * او يدرك منه الرطب * فما يدريني أ يحصل من عودك جنىً * ام احصل منه على ضنىً * ثم ما الثقة بانك حين تبتعد * ستفي بما تعد * و قد صار الغدر كالتحجيل * في حلية هذا الجيل * فارحني بالله من التعذيب * و ارحل الى حيث يعوي الذئب * فاستوى الغلام اليه * و قد استولى الخجل عليه * وقال و الله ما يخيس بالعهد * غير الخسيس الوغد * و لا يرد

غدير الغدر * إلا الوضيع القدر * و لو عرفت من انا * لما استعذبي الخنا * لكنك جهلت نقلت * و حيث وجب ان تسجد بلت *

و ما اقبح الغربة و الاقلال * و احسن قول من قال * نظم

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه ما تشين الحر موجعة * فالمسك يسحق والكافور مفتوت
و طالما اصلي الياقوت جمر غضا * ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا ويلة ابيك * و عولة اهليك * أ أنت في موقف فخر يظهر * و حسب يشهر * ام موقف جلد يكشط * و قفا يشوط * و هب انك نجيت * كما ادعيت * أ تحتص بذلك * حجبم تذالك * لا و الله و لو ان اباك أناف * على عبد مناف * او لخالك دان * عبد المدان * فلا تضرب في حديد بارد * و لا تطلب ما لست له بواجد * و باه اذا باهيت بموجودك * لا بجدودك * و بمحصولك * لا باصولك * و بصفاتك * لا برفاتك * و باعلاقك * لا باعراقك * و لا تطع الطمع فيذلك * و لا تتبع الهوى فيضلك *

و لله القائل لابنه * نظم

بني استقم فالعود تنمي عروقه (‡) * قويما و يغشاه اذا ما التوى التوى (†)
ولا تطع الحرص المذل و كن فتى * اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلق * الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى * على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
و حافظ على من لا يخون اذا دنا * زمان و من يرعى اذا ما الذوى نوى
و ان تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ * اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى
و اياك و الشكوى فلم تر ذا نهي * شكى بل اخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

(‡) فروعه (†) التوى ذوي *

فقال الغلام للنظارة يا للعجيبة * و الطُرفة الغريبة * انف في السماء * و است في الماء * و لفظ كالصهباء * و فعل كالحصباء * ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط * و غيظ مستشيط * و قال أفٍّ لك من صوّاغ باللسان * روّاغ عن الاحسان * تأمر بالبِرّ * و تعقّ عقوق الهِرّ * فان يكن سبب تعنّتك * نفاق صنعتك * فرماها الله بالكساد * و افساد الحُسّاد * حتى تُرى اورغ من حجّام ساباطَ * و اضيق رزقا من سَمّ الخياط * فقال له الشيخ بل سلّط الله عليك بثْر الفم * و تبيّغ الدم * حتى تلجأ الى حجام عظيم الاشتطاط * ثقيل الاشتراط * كليل المشراط * كثير المُخاط و الضُّراط * قال فلما تبين الفتى انه يشكو الى غير مُصمِت * و يُراوِد استفتاح باب مُصمَت * اضرب عن رَجْع الكلام * و اختفز للقيام * و علِم الشيخ انه ذو الام * بما اسمع الغلام * فجنح الى سلْمه * و بذل ان يذعن لحكمه * و لا يبغي اجرا على حجمه * و ابى الغلام الا المشي بدآئه * و الهرب من لقآئه * و ما زالا في حِجاج و سِباب * و لزاز و جِذاب * الى ان ضجّ الفتى من الشّقاق * و تلا رُدْنُه سورة الانشقاق * فاعول حينئذ لوفارة خُسْره * و انعطاط عرضه و طمْره * و اخذ الشيخ يعتذر من فرطاته * و يُغيض من عَبراته * و هو لا يصغي الى اعتذاره * و لا يُقصر عن استعباره * الى ان قال له فداك عمّك * و عَداك ما يغمّك * اما تسأم الاعوال * اما تعرف الاحتمال * الم تسمع بمن اقال * و اخذ بقول من قال *

نظم

اخمِد بحلمك ما يذكيه ذو سَفَهٍ

من نار غيظك واصفح ان جنا جاني

فالعلم افضل ما ازدان اللبيب به
و الاخذ بالعفوا حلى ماجني جاني

فقال له الغلام * اما انك لو ظَهرت على عيشي المنكدر * لعَذرت في دمعي المنهمر * و لكن هان على الاملس ما لاقى الدَّبَر * ثم كأنه نزع الى الاستحياء * فاقلَعَ عن البكاء * و فاء الى الارعواء * و قال للشيخ قد صرتُ الى ما اشتهيتَ * فارقَع ما أوهيتَ * فقال هيهات شغَلَتْ شعابي جَدوايَ * فشم بارقَ سوايَ * ثم انه نهَض يستقري الصُّفوف * و يستَجدي الوقوف * و ينشدني ضمن ما يطوف * نظم

أقسمُ بالبيت الحرام الذي * تهوي اليـه الزُّمَرُ المُحرِمه
لو أنَّ عندي قُوتَ يوم لما * مسَّت يدي المشراط والمحجمه
و لا ارتضت نفسي التي لم تزل * تسمو الى المجد بهذي السِّمه
و لا اشتكى هذا الفتى غلظةً * مني و لا شاكته مني حُمَه
لكن صروف الدهر غادرنَني (†) * كخابطٍ في الليلة المظلمـه
و اضطرّني الفقر الى موقف * من دونه خوض اللَّظى المضرَمه
فهل فتىً تُدركه رِقَّةٌ * عليَّ او تعطفه مرحمه

قال الحارث بن همام فكنت اول من اوى لبَلواه * و رَقَّ لشكواه * فنفَحتُه بدرهمين * و قلتُ لا كانا و لو كان ذا مين * فابتَهج بباكورة جَناه * و تَفأل بهما لغناه * و لم تزل الدراهمُ تَنهالُ عليه * و تنثال لديه * حتى آل ذا عيشة خضرآء * حَقيبة بَجْرآء * فازدهاه الفرح عند ذلك * وهَنأ نفسه هُنالك * و قال للغلام هذا رَيع انت بَذرُه * و حلب لك شَطرُه * فهلُمَّ لنَقتَسم * و لا نحتشم * فتقاسماه بينهما شِقَّ الأبلمه * و نهضا متفقي الكلمه * و لما انتظم

(†) غادرتني *

عقد الاصطلاح * و همّ الشيخ بالرواح * قلت له قد تبوّغ دمي * و نقلت اليك قدمي * فهل لك في ان تعجمني * و تكفكف ما دهمني * فصوّب طرفه يّ و صعّد * ثم ازدلف اليّ و انشد * نظم

كيف رايتَ خُدعتي و خَتلي * و ماجرى بيني و بين سَخْلي
حتى انثنيتُ فائزا بالخَصْــل * آرعى رياضَ الخصب بعد المَحْل
بالله يا مهجــةَ قلبي قل لي * هل ابصرَتْ عيناك قطُّ مثلي
يفتحُ بالرُّقيــــة كل قفـــل * و يستبي بالسحر كل عقـــل
و يعجنُ الجـــدَّ بماءِ الهزل * إن يكُن الاسكندري قبلـــي
فالطَّلُّ قد يبدو امام الوَبْل * و الفضل للوابل لا للطَّـــلِّ

قال فنبّهتني ارجوزتُه عليه * و ارتني انّه شيخُنا المشار اليه * فقرّعتُه على الابتذال * و الالتحاق بالارذال * فاعرضَ عما سمع * و لم يبُلْ بما قُرِّعَ * و قال كُلُّ الحذاء يحتذي الحافي الوقع * ثم

قاصاني مقاصاة المُهان * و انطلق هو و ابنُه كفرسي رِهان *

قال ابو محمد القاسمُ بن عليّ رضي الله عنه * قد اودعت هذه المقامة بِضعةَ عشَرَ مثلا من امثال العرب * و ها انا اُفسّرُ منها ما خلته (†) يلتبس على من يقتبس * اما قوله بُطءٍ قُذٍّ - فهو مولى عايشة بنت سعد بن ابي وقّاصٍ و كانت بعثته بالمدينة ليقتبسَ لها نارا فقصد مصر و اقام بها سَنَة ثم جاءها بعد السنة يشتدُّ و معه جمرٌ فتبدّد منه فقال تعسَت العَجَلةُ * و اما ذاتُ النحيَيْن - فهي امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرتْ سُوقَ عُكاظَ و معها نِحْيا سَمْنٍ فاستخلى بها خَوّاتُ بن جُبَيْر الانصاري ليبتاعهما منها ففتح احدهما و ذاقه و دفعه اليها فاخذته

(†) اخاله *

باحدى يديها ثم فتح الآخر وذاقه و دفعه اليها فامسكته بيدها الاخرى ثم غشيها و هي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين و شدّها على السّمن فلما قام عنها قالت لا هناك فضُرِبَ المثلُ فيمن شغل و هي في هذا المثل مفعولة لانها شُغلَتْ و اكثرُ الامثال التي على افعل ياتي من فعل الفاعل * و اما قوله انف في السماء و است في الماء - فيُضرَبُ هذا المثلُ لمن يتكبّر مقالا و يصغر فعالا * و اما قوله افرغ من حجّام ساباط - فذُكرَ انه كان حجاما ملازما ساباط المدائن يحجُمُ الجُنديَّ بدانق نَسيئةً و ربما مرّت عليه بُرهةٌ لا يقربُه فيها احدٌ فكان يبرز أُمَّه عند تمادي عُطلَته فيحجُمُها لئلا يُقرَّع بالبَطالَة فما زال يحجُمُها حتى نزف دمها و ماتت * و اما قوله يشكو الى غير مُصمَت - فهو مثل يُضرَب لمن لا يكترثُ بشان صاحبه و لا يُبالي باستمرار شكايته لانه لو اشكاه لصَمَتَ و امسك عن الكلام و منه قول الراجز يُخاطِبُ جملا له *

نظم

انك لا تشكو الى مُصمِّتٍ * فاصبرْ على الحمل الثقيل او مُتِ

و نحو هذا المثل هان على الاملس ما لاقى الدَّبِرُ * و اما قوله شغلَتْ شِعابي جَدْوي فالمراد به انه ليس يفضل عني ما اصرفه الى غيري والشعاب الذراري و احدها شِعْبٌ * و قوله كلّ الحذاء يحتذي الحافي الوقع - معناه ان المجهودَ يقنَعُ بما يجد و الوَقَعُ ان تُصيبَ الحجارةُ القدَمَ فتوهنها * فاما البعيرُ المُوقَّع - فهو الذي يكثُرُ آثارُ الدَّبَر بظَهره *

المقامة الثامنة والاربعون

الحرامية

روى الحارث بن همام عن ابي زيد السروجي * قال ما زلتُ مُذ رَحلتُ عَنْسي * و ارتحلتُ عن عِرسي و غَرْسي * احِنُّ الى عِيانِ البَصْرة حنين المظلوم الى النُّصرة * لما اجمعَ عليه ارباب الدِّراية * واصحابُ الرِّواية * من خصائص معالمها و عُلمائها * ومآثر مُشاهدها و شُهدائها واَسالُ اللهَ تعالى ان يُوطِّئني ثَراها * لافوز بمرآها * و ان يُمطِيَني قَراها * لاقتري قُراها * فلما احانيها الحظُّ * و سرح لي فيها اللحظُ * نظم

رأيت بها ما يملا العينَ قُـــرَّةً * و يُسلي عن الاوطان كلَّ غريب

فغلستُ في بعض الايام * حين نَصَل خضابُ الظَّلام * و هتف ابو المُنذر بالنُّوامَّ * لاخطُوَ في خِطَطها * و اقضيَ الوطَرَ من توسُّطها * فاداني الاختراقَ في مسالكها * والانصلاتُ في سككها * الى مَحَلَّة موسومة بالاحترام * منسوبةٍ الى بني حَرام * ذات مساجدَ مشهودة * و حِياضٍ مورودَة * و مَبانٍ وثيقة * و مَغانٍ أنيقة * و خصائصَ اثيرة * و مَزايا كثيرة * نظم

بها ما شئتَ من دينٍ و دنيا * و جيـــرانٍ تنافَوا في المعاني
فمشغوفٌ بآيات المثـــاني * و مفتـــونٌ بـــرنَّات المثاني
و مضطلـــعٌ بتلخيصِ المعاني * و مُطَّلـــعٌ إلى تخليص عاني
و كـــم من قارىءٍ فيـــها و قارٍ * اضـــرَّا بالجفـــون و بالجفـــان
و كـــم من مُعلـــمٍ للعلمِ فيها * و نادٍ للنَّـــدى حُلوِ المجاني

و مُغنىً ما تزال تُعَنّ فيه * اغاريد الغواني و الاغاني
فَصلّ ان شئتَ فيها من يُصلّي * و امّا شئتَ فادنُ من الدّنان
و دونک صحبة الاكياس فيها * ان الكاسات مُنطلق العنان
قال فبينما انا انفُض طُرقها * و استشفُّ رونقها * اذ لمحتُ عند دُلوک براح * و اظلال الرَّواح * مسجدا مشتهرا بطرائفه * مزدهرا بطوائفه * و قد اجرى اهله ذكر حروف البدل * و جروا في حَلبة الجَدَل * فعجتُ نحوهم * لاستمطرَ نوءهم * لا لاقتبس نحوَهم * فلم يکُ الا کقبسة العَجلان * حتى ارتفعت الاصواتَ بالاذان * ثم ردف التأذين بروزُ الامام * فاغمدت ظُبَي الكلام * و حُلّت الحُبى للقيام * شُغلنا بالقنوت * عن استمداد القوت * و بالسجود * عن استنزال الجود * و لما قُضيَ الفرض * و كاد الجمع ينفضُّ * انبرى من الجماعة * كهلٌ حُلو البراعة * له مع السَّمت الحَسَن * ذلاقة اللَّسن * و فصاحة الحَسَن * و قال يا جيرتي * الذين اصطفيتُهم على اغصان شَجرتي * و جعلتُ خطَّتَهم دار هجرتي * و اتخذتهم كرِشي و عيبتي * و اعددتهم لمحضري و غيبتي * اما تعلمون انّ لبوس الصدق ابهى الملابس الفاخره * و ان فُضُوح الدنيا اهونُ من فُضوح الاخرة * و ان الدين إمحاضُ النصيحة * و الارشادَ عنوان العقيدة الصحيحة * و ان المُستشارَ مؤتَمَنٌ * و المسترشدَ بالنصح قَمِنٌ * و ان اخاک هو الذي عذلک * لا الذي عذَرک * و صديقک من صدَقک * لا من صدّقک * فقال له الحاضرون ايها الخِلُّ الودود * و الخِدن المودود * ما سِرُّ كلامک الملغز * و ما شرح خطابک الموجَز * و ما الذي تبغيه منا لينجز * و لو اعجز * فوالذي حبانا

بمحبتك * و جعلنا من صفوة احبتك * ما نالوك نصحا * و لا نذّخر عنك نَصحا * فقال لهم جُزيتم خيرا * و وقيتم ضيرا * فانكم ممن لا يشقى بهم جليس * و لا يصدُر عنهم تلبيس * و لا يخيب فيهم مظنون * و لا يُطوي دونهم مكنون * سابثُكم ما حكّ في صدري * و استفتيكم فيما عيل له صبري * اعلموا اني كنت عند صُلود الزَّند * و صدود الجَد * اخلصت مع الله نية العقد * و اعطيته صفقة العهد * على ان لا اسبا مُداما * و لا اعاقر نَدامى * و لا احتسي قهوة * و لا اكتسي نشوة * فسولّتْ لي النفسُ المضلة * و الشهوة المزلّة * ان نادمتُ الابطال * و عاطيت الارطال * و اضعت الوَقار * و ارتضعت العقار * و امتطيت مطا الكميت * و تناسيتُ التوبة كالمَيْت * ثم لم اقنع بهاتيكمُ المرَّة * في طاعة ابي مُرَّة * حتى عكفتُ على الخَنْدَريس * في يوم الخميس * و بتُّ صريع الصهباء * في الليلة الغراء * و ها انا بادي الكأبة * لرفض الاذابة * نامي الندامة * لوصل المدامة * شديد الاشفاق * من نقض الميثاق * معترفٌ بالاسراف * في عَبِّ السُّلاف * فيا قوم هل كفّارة تعرفونها تُباعدُ من ذنبي * و تُدني الى ربي * قال ابو زيد فلما حلّ اُنشوطَةَ نَفْثه * و قضي الوطَر من اشتكاء بَثّه * ناجتني نفسي يا ابا زيد * هذه نُهزةُ صيد * فشمّرْ عن يدٍ و اَيد * فانتهضت من مَجثِمي انتهاض الشهم * و انخرطت من الصف انخراط السهم * و قلت *

نظم

ايهـــا الاروع الـــذي * فاق مجـــدا و سوددا

والذي يبتغـي الرشا * د لينجـــو به غـدا

ان عندي علاجَ ما * بتُّ منه مُسَهَّدا

فاستمعها عجيبة * غادرتني مُلَدَّدا

انا من ساكني سُرُو * جَ ذوي الدين و الهدا

كنتُ ذا ثروةٍ بها * و مطاعًا مُسَوَّدا

مَربعي مألفُ الضيو * فِ و مالي لهم سُدا

اشتري الحمدَ باللُّهى * واقي العِرضَ بالجَدا

لا أبالي بمُنْفِسٍ * طاح في البَذْلِ و النَّدا

أُوقد النار باليَفا * عِ اذا الَنكسُ اخمدا

و يَرانِي المُؤَمِّلو * نَ مَلاذًا و مَقصدا

لم يشم بارقي صَدٍ * فانثنى يشتكي الصَّدا

لا و لا رام قابسٌ * قدحَ زَنْدي فاصلَدا

طالما ساعدَ الزما * نُ فاصبحتُ مُسعَدا

فقضى الله ان يغـ * ـيِّرَ ما كان عَوَّدا

بَوَّأ الروم ارضنا * بعد ضِغْنٍ تولّدا

فاستباحوا حريمَ مَن * صادفوه موحِّدا

و حووْا كلّ ما استسـ * ـرّبها لي و ما بَدا

فتطَوَّحْتُ في البلا * د طريدا مُشَرَّدا

اجتدي الناسَ بعد ما * كنت من قبلُ مجتدا

و تري به خصاصة * اتمنى لها الردا

و البلاءُ الذي به * شملُ أنسي تبدّدا

إستباءُ ابنتي التي * اسرُوها لتُفتدا

فاستبِنْ محنتي و مُـ * ـدَّ الى نصرتي يدا

و اجرني من الزما * ن فقد جار و اعتدا

و اعنّـــي على فكا * ك ابنتي من يد العدا
فبـذا تنمحـى الماً * ثم عمن تمردا
و به تُقبَـلُ الانا * بةُ ممن تزهدا
و هو كفّـارةٌ لمـن * زاغ من بعد ما اهتدا
و لئن قمتُ منشدا * فلقد فهتُ مرشدا
فاقبل النُصحَ و الهدا * يةَ و اشكر لمن هدا
و اسمح الآنَ بالذي * يتسنّى لتُحمدا

قال ابو زيد فلما اتممتُ هذرمتي * و اوهمَ المسئولُ صدقَ كلمتي * اغراهُ القرمُ الى الكرم بمُواساتي * و رغّبهُ الكلفُ بحمْل الكُلَف في مُقاساتي * فرضخَ لي على الحافرةِ * و نضَحَ لي بالعدة الوافرة * فانقلبتُ الى وكري * فرحًا بُنجْح مكري * وقد حصلْتُ من صوْغ المكيدة * على سوغ الثّريدة * و وصلتُ من حوك القصيدة * الى لَوك العَصيدة * فقال الحارث بن همام فقلت له سبحان من ابدعك * فما اعظمَ خُدَعَك * فاستغربَ في الضحكِ * ثم انشد غير مُرتَبكٍ * نظم

عِش بالخداع فانتَ في * دهرٍ بنُوه كاُسْد بيشَـهْ
و ادرْ قناةَ المكر حتـ*ـى تستديرَ رحا المعيشَهْ
و صـد النُسـورَ فان تعـ*ـذّر صيدُها فاقنعْ بريشَـهْ
و اجْنِ الثمارَ فان تفُتْكَ فرضِّ نفسَـكَ بالحَشيشَـهْ
و ارِح فـؤادكَ ان نبـا * دهر من الفكر الطَيشَـهْ
فتغـايُرُ الاحـداث يو*ذنُ باستحالَةِ كل عيشَـهْ

المقامة التاسعة والاربعون
الساسانيه

حكى الحارث بن همام قال بلغني ان ابا زيد حين ناهز القبضة * وابتزه قيد الهرم النهضة * احضر ابنه * بعد ما استجاش ذهنه * وقال له يا بُنيَّ انه قد دنا ارتحالي من الفناء * واكتحالي بمرود الفناء * وانت بحمد الله وليُّ عهدي * وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي * ومثلك لا تُقرع له العصا * ولا يُنبَّه بطرق الحصا * ولكن قد ندب الى الاذكار * وجُعل صيقلا للافكار * واني اوصيك بما لم يوصِ به شيثُ الأنباط * ولا يعقوبُ الاسباط * فاحفظ وصيتي * وجانب معصيتي * واحذُ مثالي * واقفُ امثالي (†) * وانك ان استنصحت نصحي (‡) * واستصبحت بصبحي * امرع خانك (§) * وارتفع دخانك * وان تناسيت سُورتي * ونبذت مَشورتي * قلَّ رمادُ أثافيك * وزهِدَ اهلُك ورهطُك فيك * يا بُنيَّ اني جرَّبتُ حقائق الامور * وبلوت تصاريف الدهور * فرايت المرء بنشبه لا بنسبه * والفحص عن مكسبه * لا عن حسبه * وكنت سمعت ان المعايش إمارة وتجارة * وزراعة وصناعة * فمارستُ هذه الاربع * لانظرَ ايُّها اوفق وانفع * فما احمدت منها معيشة * ولا استرغدتُ فيها عيشة * اما فُرَصُ الوِلايات * وخُلَسُ الامارات * فكأضغاث الاحلام * والفيء المنتسخ بالظلام ($) * وناهيك

(†) وتذكر امثالي (‡) استنصحت بنصحي - وفى نسخة - استرشدت بنصحي (§) ان استصبحت بصبحي واستنصحت نصحي طاب معاشك وطال انتعاشك وامرع الخ * ($) فى الظلام *

غُصّة بمرارة الفطام * و اما بضائع المتجرات * فعرضة المخاطرات * و طعمة للغارات * و ما اشبهها بالطيور الطيّارات * و اما انتحال الضياع * و التصدي للازدراع * فمنهكة للاعراض * و قيود عائقة عن الارتكاض * فلما خلا ربّها من اذلال * او رُزِق روحَ بال * و اما حِرَف اولي الصناعات * فغير فاضلة عن الاقوات * و لا نافقة في جميع الاوقات * و معظمها معصوب بشبيبة الحيوة * و لم ارَ ما هو بارد المغنم * لذيذ المطعم * وفي المكسب * صافي المشرب * الا الحرفة التي وضع ساسان اساسها * ونوّع اجناسها * و اضرم في الخافقين نارها * و اوضح لبني غبراء منارها * فشهدت وقائعها معلماً * و اخترت سيماها لي ميسما * اذ كانت المتجر الذي لا يبور * و المنهل الذي لا يغور * و المصباح الذي يعشو اليه الجمهور * و يستصبح به العمي و العور * و كان اهلها اعزّ قبيل * و اسعد جيل * لا يرهقهم مسّ حيف * و لا يقلقهم سلّ سيف * و لا يخشون حمة لاسع * و لا يدينون لدانٍ و لا شاسع * و لا يرهبون من برق و رعد * و لا يحفلون بمن قام و قعد * انديتهم منزّهة * و قلوبهم مرفّهة * و طعمهم معجّلة * و اوقاتهم غرّ محجّلة * اينما سقطوا لقطوا * و حيثما انخرطوا خرطوا * لا يتخذون اوطانا * و لا يتّقون سلطانا * و لا يمتازون عما يغدو خماصا * و يروح بطانا * فقال له ابنه يا ابتِ لقد صدقت * فيما نطقت * و لكنك رتقت و ما فتقت * فبيّن لي كيف اقتطف * و من اين تؤكل الكتف * فقال يا بنيّ ان الارتكاض بابها * و النشاط جلبابها * و الفطنة مصباحها * و القحة سلاحها * فكن اجول من قطرب * و اسرى من جندب * و انشط من ظبي مقمر * و اسلط من ذئب متنمّر * و اقدم

زند جُدّك * بجِدّك * واقرَع باب رعيك * بسعيك * وجُب
كل فجّ * وخُض كل لُجّ * وانتجع كل روض * والقِ دلوك الى
كل حوض * ولا تسأم الطلب * ولا تملَّ الدأب * فقد كان مكتوبا
على عصا شيخنا ساسانَ مَن طلب * جلَب * ومَن جال *
نال * واياك والكسَل فانه عنوان النُّحوس * ولبُوس ذوي
البُؤس * ومفتاح المتْرَبة * ولقاح المتعَبة * وشيمة العجَزة الجهلة *
وشنشنة الوكَلة التُّكَلة * وما اشتار العسل * مَن اختار الكسَل *
ولا ملأ الراحة * من استوطأ الراحة * وعليك بالاقدام * ولو على
الضرغام * فان جُرأة الجنان * تُنطق اللسان * وتُطلق العنان *
وبها تُدرِك الحُظوة * وتُملَك الثَّروة * كما ان الخوَر صِنو الكسَل *
وسبب الفشَل * ومبطأةٌ للعمل * ومَخيبة للامل * ولهذا قيل
في المثَل * مَن جسَر * ايسَر * ومَن هاب * خاب * ثم ابرُزْ يا
بُنيَّ في بُكور ابي زاجر * وجرأة ابي الحارث * وحَزامة ابي
قُرّة * وختْل ابي جَعدة * وحرص ابي عُقبة * ونشاط ابي وثّاب *
ومكر ابي الحُصين * وصبر ابي ايوب * وتلطُّف ابي غزوان *
وتلوُّن ابي براقش * واخلُب بصَوغ اللسان * واخدع بسحر
البيان * وارتَد السُّوق قبل الجلَب * وامتر الضرع قبل الحلب *
وسائل الركبان قبل المنتجع * ودمِّث لجنبك قبل المضطجع *
واشحذ بصيرتك للعيافه * وانعم نظرك في القيافه * فان من صدق
توسُّمُه * طال تبسُّمُه * ومن اخطأت فراستُه * ابطأت فريستُه * وكن
يا بنيَّ خفيف الكَلّ * قليل الدلّ * راغبا عن الغَلّ * قانعا من
الوبْل بالطَّلّ * وعظِّمْ وقع الحقير * واشكر على النَّقير * ولا تقنَط
عند الرد * ولا تستبعد رشحَ الصلد * ولا تيأس من رَوح الله انه

لا ييأسُ من رَوح الله الا القومُ الكافرون * و اذا خُيِّرتَ بين دُرّة مفقودة * و درة موعودة * فمِلْ الى النقد * و فضّلِ اليومَ على الغد * فان للتأخير آفات * و للعزائم بدوات * و للعدات مُعقبات * و بينها و بين النُجْز عَقَبات * و عليك بصبر اولى العزم * و رفق ذوي الحزم * و جانب خُرْقَ المُشتَطّ * و تخلّقْ بالخلق السبْط * و قيّد الدرهم بالربط * و شُبِ البذل بالضبط * و لا تجعل يدك مغلولة الى عُنُقك و لا تبسُطها كلّ البسط * و متى نبا بك بلد * او نابك فيه كمد * فبُتَّ منه املك * و اسرح عنه جملك * فخيرُ البلاد ما حملك * و لا تستثقلنّ الرحلة * و لا تكرهنّ النُقلة * فان اعلام شريعتنا * و اشياخ عشيرتنا * اجمعوا على ان الحركة بركة * و الطراوة سُفتجة * و زروا على من زعم ان الغربة كربة * و النُقلة مُثلة * و قالوا هي تَعِلّةٌ من اقتنع بالرذيلة * و رضيَ بالحَشَف و سوء كيلة * و اذا ازمعتَ الاغتراب * و اعددت له العصا و الجراب * فتخير الرفيقَ المُسعدَ * من قبل ان تُصعد * فان الجار قبل الدار * و الرفيق * قبل الطريق * نظم

خذها اليك وصية * لم يوصها قبلي احد
غرّاء حاويةٌ خُلا * صات المعاني و الزُبَد
نقّحتُها تنقيح مَن * مَحَض النصيحةَ و اجتهد
فاعمَلْ بما مثّلتُه * عمل اللبيب اخى الرشَد
حتى يقول الناسُ هـ * ـذا الشبل من ذاك الاسد

ثم قال له يا بنيَّ قد اوصيتُ * و استقصيت * فان اقتديتَ * فواهًا لك * و ان اعتديتَ فآهًا منك * و اللهُ خليفتي عليك * و ارجو ان لا تُخلِفَ ظني فيك * فقال له ابنه يا ابت لا فُضَّ

عرشُک * و لا رُفِعَ نعشُک * فلقد قلتَ سددا * و علّمت رُشدا * و بيّنتَ لي سُودَدا * و نحلْتَ ما لم ينحل والدٌ ولدا * ولئن أُمهلتُ بعدک * و لاذُقتُ فقدَک * فلا تأدبنّ بآدابک الصالحه * و لاقتدينّ بآثارک الواضحه * حتى يقال ما اشبه الليلةَ بالبارحه * و الغاديةَ بالرائحه * فاهتزّ ابوزيد لجوابه و ابتسم * وقال من اشبه اباه فما ظلم * قال الحارث بن همام فأُخبرتُ ان بني ساسان * حين سمعوا هذه الوصايا الحسان * فضّلوها على وصايا لُقمان * و حفظوها كما تُحفظُ أمّ القرآن * حتى انهم ليرونها الى الان * اولى ما لقّنوه الصبيان * و انفعَ لهم من نحلْة العِقيان *

المقامة الخمسون البصرية

حكى الحارث بن همام قال أشعرْتُ في بعض الايام همًّا برّح بى استعارهُ * و لاح على شعاره * و كنتُ سمعت ان غِشيان مجالس الذكر * يسرو غواشي الفكر * فلم ار لاطفاء ما بى من الجَمْرة * الا قصدَ الجامع بالبصرة * و كان اذ ذاک ماٌهول المسانِد * مشفوه الموارِد * يُجتنى من رياضه ازاهيرُ الكلام * و يُسمع في ارجائه صريرُ الاقلام * فانطلقت اليه غيرَ وانٍ * و لا لاوٍ على شان * فلما وطئتُ حصاه * و استشرفت اقصاه * ترأى لي ذو اطمار بالية * فوق صخرة عالية * و قد عصَبتْ به عُصَبٌ لا يُحصى عديدُهم * و لا يُنادى وليدُهم * فابتدرتُ قصدَه * و توردت وِردَه * و رجَوْتُ ان اجدَ شفائي عنده * و لم ازَل انتقل في المراكز * و اتّخضّي الاكز و الواكز * الى ان جلست تُجاهه * و بحيثُ امنتُ اشتباهه * فاذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه * و لا لَبْسَ

يُخفيه * فتسرّي بمرآه همّي * و ارفضّت كتيبة غمّي * و حين
رآني * و بصُر بمكاني * قال يا اهل البصرة رعاكمُ الله و وقاكم *
و قوّى تُقاكم * فما اضوَع ريّاكم * و افضل مزاياكم * بلدكم اوفى
البلاد طُهرة * و ازكاها فِطْرة * و افسحُها رُقعة * و امرعها نُجعة (†) * و
اقومها قِبلة * و اوسعها دِجلة * و اكثرها نهرا و نَخْلة * و احسنها تفصيلا
و جملة * دِهليزُ البلد الحرام * و قُبالة الباب و المقام * و احد
جناحَي الدنيا * و المصر المؤسّس على التقوى * لم يتدنّس ببيوت
النيران * و لا طِيف فيه بالاوثان * و لا سُجِد على اديمه لغير الرحمٰن *
ذو المشاهد المشهوده * و المساجد المقصوده * و المعالم المشهوره *
و المقابر المزوره * و الآثار المحموده * و الخِطط المحدوده * به تلتقي
الفُلك و الركاب * و الحيتان و الضِباب * و الحادي و الملّاح * و القانص
و الفلّاح * و الناشب و الرامح * و السارح و السابح (‡) * و له آية المد
الفائض * و الجزر الغائض * و اما انتم فمن لا يختلف في خصائصهم
اثنان * و لا يُنكرها ذو شَنْآن * دهماؤكم اطوعُ رعيةٍ لسلطان * و اشكرهم
لإحسان * و زاهدكم اورع الخليقة * و احسنهم طريقة على الحقيقة *
و عالمكم علّامة كل زمان * و الحجة في كل آوان * و منكم من استنبط
علم النحو و وضعه * و الذي ابتدع ميزان الشعر و اخترعه * و ما
من فخر الا ولكم فيه اليدُ الطُولى * و القدح المعلّى * و انتم احق به
و اولى * ثم انكم اكثر اهل مصرٍ مؤذنين * و احسنهم في النسك
قوانين * و بكم اقتُدِي في التعريف * و عُرِف التسحير في الشهر
الشريف * ولكم اذا قرّتِ المضاجع * و هَجَع الهاجع * تذكار
يُوقِظ النائم * و يُؤنس القائم * و ما ابتسم ثَغرُ فجْر * و لا بزَغ نورُه

(†) بقعة ٠ (‡) والسائح ٠

في برد و لا حرّ * الّا و لتأذينكم بالاسحار * دويّ كدويّ الريح في البحار *
و بهذا عنكم صدع النقل * و اخبر النبي عليه السلام من قبل *
و بيّن ان دويكم بالاسحار * كدوي النحل في القفار * فشرفاً لكم
ببشارة المصطفى * و واهاً لمصركم و ان كان قد عفا * و لم يبق منه
الّا شفا * ثم انه خزن لسانه * و خطم بيانه * حتى حدج بالابصار *
و قرف بالاقصار * فتنفّس تنفّس من قيد لقود * او ضبثت به براثن
اسد * ثم قال اما انتم يا اهل البصرة فما منكم الا العلم المعروف *
و من له المعرفة و المعروف * و اما انا فمن عرفني فانا ذاك *
و شرّ المعارف من آذاك * و من لم يثبت عرفتي * فساصدقه
صفتي * انا الذي انجد و اتهم * و ايمن و اشأم * و اصحر و ابحر *
و ادلج و اسحر * نشأت بسروج * و ربيت على السروج * ثم ولجت
المضائق * و فتحت المغالق * و شهدت المعارك * و الذت العرائك *
و اقتدت الشوامس * و ارغمت المعاطس * و اذبت الجوامد *
و اسعت الجلامد * سلوا عني المشارق و المغارب * و المناسم
و الغوارب * و المحافل و الجحافل * و القبائل و القنابل *
و استوضحوني من نقلة الاخبار * و رواة الاسمار * و حداة الركبان *
و حذّاق الكهّان * لتعلموكم فجّ سلكت * و حجاب هتكت * و مهلكة
اقتحمت * و ملحمة الحمت * و كم الباب خدعت * و بدع
ابتدعت * و فرص اختلست * و اسد افترست * و كم محلّق
غادرته لقىً * و كامن استخرجته بالرّقى * و حجر سحرته حتى
انصدع * و استنبطت زلاله بالخدع * و لكن فرط ما فرط و الغصن
رطيب * و الفود غربيب * و برد الشباب قشيب * فاما الان و قد
استشنّ الاديم * و تأوّد التويم * و استنار الليل البهيم * فليس الا

الندم ان نفع * و ترقيع الخرق الذي قد اتّسع * و كنت رويت في الاثار المسندة * و الاخبار المعتمدة * ان لكم من الله تعالى في كل يوم نظرة * و ان سلاح الناس كلهم الحديد و سلاحكم الادعية(†)* فقصدتكم انضى الرواحل * و اطوى المراحل * حتى قمت هذا المقام فيكم * ولا منّ لي عليكم * اذ ما سعيت الا في حاجتي * ولا تعبت الا لراحتي * و لست ابغي اعطيتكم * بل استدعي ادعيتكم * و لا اسألكم اموالكم * بل استنزل سؤالكم * فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب * و الاعداد للمآب * فانه رفيع الدرجات * و مجيب الدعوات * و هو الذي يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيآت * ثم انشد * نظم

استغفر الله من ذنوب * افرطت فيهن و اعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلا * و رحت في الغيّ و اغتديت
و كم اطعت الهوى اغترارا * و احتلت و اغتلت و افتريت
و كم خلعت العذار ركضا * الى المعاصي و ما ونيت
و كم تناهيت في التخطي * الى الخطايا و ما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا * نسيا و لم آجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خير * من المساعي التي سعيت
يا رب عفوا فانت اهل * للعفو عني و ان عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء * و هو يقلب وجهه في السماء * الى ان دمعت اجفانه * و بدا رجفانه * فصاح الله اكبر بانت آمارة الاستجابة * و انجابت غشاوة الاسترابة * فجزيتم يا اهل البصرة * جزاء من هدى من الحيرة * فلم يبق في القوم

(†) الحديد * و سلاحكم الادعية والتوحيد *

الا مَن سُرَّ اسرته * و رضَخ له بميسورة * فقبِل عفو برّهم * و اقبل يغرِف في شكرهم * ثم انحدر من الصخرة * يؤم شاطئَ البصرة * و اعتقبته الى حيث تخالينا * و امِنّا التجسس و التحسس علينا * فقلت له لقد اغربتَ في هذه النوبة * فما رأيك في التوبة * فقال أُقسم بعلّام الخفيّات * و غفّار الخطيّات * ان شاني لَعُجاب * و انّ دعاء قومك لمُجاب * فقلت زِدني ايضاحا * زادك الله صلاحا * فقال و ابيك لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع * ثم انقلبت بقلب المُنيب الخاشع * فطوبى لمن صغَتْ قلوبهم اليه * و ويلٌ لمن باتوا يدعون عليه * ثم ودّعني و انطلق * و اودعني القلق * فلم ازل آعاني لاجله الفكَر * و اتشوّف الى خِبرة ما ذكَر * و كلما استنشيت خبَره من الركبان * و جوّابة البُلدان * كنت كمن حاور عَجماء * او نادى صخرةً صَمّاء * الى ان لقيت بعد تراخي الامد * و تراقي الكمَد * رَكبا قافلين من سفر * فقلت هل من مغرِّبة خبَر * فقالوا ان عندنا لخبرا اغرب من العَنقاء * و اعجب من نظر الزرقاء * فسالتهم ايضاح ما قالوا * و ان يكيلوا لي مما اكتالوا * فحكوا انهم اَلَمّوا بسروجَ * بعد ما فارقها العُلوجُ * فراوا بها ابا زيدها المعروف * قد لبس الصُّوف * و أَمّ الصفوف * و صار بها الزاهد الموصوف * فقلت ا تعنون ذا المقامات * فقالوا انه الان ذو الكرامات * فحفزني اليه النزاع (†) * و رايتها فرصة لا تُضاع * فارتحلت رِحلة المجِد * و سِرت نحوه سيرَ المُجِد * حتى حللت بمسجده * و قرارة متعبَّده * فاذا به قد نبَذ صحبة اصحابه * و انتصب في محرابه * و هو ذو عباءة مخلولة *

(†) فهيجوا نزاعي اليه فحفزني الشوق للوفادة عليه فحفزني *

و شملة موصولة * فهبته مهابة من ولج على الأسود * و الفيته ممن سيماهم في وجوههم من اثر السجود * و لما فرغ من سبحته * حياني بمسبحته * من غير ان نغم بحديث * ولا استخبرني عن قديم و لا حديث * ثم اقبل على اوراده * و تركني اعجب من اجتهاده * و اغبط من يهدي الله من عباده * و لم يزل في قنوت و خشوع * و سجود و ركوع * و اخبات و خضوع * الى ان اكمل اقامة الخمس * و صار اليوم امس * فحينئذ انكفأ بي الى بيته * و اسهمني في قرصه و زيته * ثم نهض الى مصلاه * و تخلى بمناجاة مولاه * حتى اذا التمع الفجر * و حق للمتهجد الاجر * عقب تهجده بالتسبيح * ثم اضطجع ضجعة المستريح * و جعل يرجع بصوت فصيح * نظم

خلِّ ادّكار الاربُع * و المعهد المرتبَع * و الظاعن المودَّع
و عدِّ عنه ودع

و اندب زمانا سلفا * سوّدتَ فيه الصحفا * و لم تزل معتكفا
على القبيح الشنع

كم ليلة اودعتها * مآثما ابدعتها * لشهوة اطعتها
في مرقد و مضجع

و كم خطى حثثتها * في خزية احدثتها * و توبة نكثتها
لملعب و مرتع

و كم تجرأتَ على * رب السموات العلى * و لم تراقبه و لا
صدقت فيما تدعي

و كم غمطت برّه * و كم امنت مكره * و كم نبذت امره
نبذ الحذا المرقّع

وكم ركضت في اللعب * وفُهت عمدًا بالكذب * و لم تُراع ما يجب
من عهده المتَّبع

فَالْبسْ شعار النَدَم * واسكب شآبيبَ الدم * قبل زوال القدم
و قبل سوء المَصْرع

واخضع خُضوع المعترف * و لُذْ ملاذ المقترف * واعصِ هواك وانحرف
عنه انحراف المُقلع

اِلام تسهو و تني * و مُعظَم العمر فني * فيما يضُرّ المقتني
و لستَ بالمرتدِع

اما ترى الشيب وخط * وخطَّ في الراس خُطط * ومن يلُح وخط الشمَط
بفوده فقد نُعي

ويحك يا نفس احرصي * على ارتياد المخلص * و طاوعي و اخلِصي
واستمعي النصح وعي

و اعتبري بمن مضى * من القرون و انقضى * واخشَيْ مفاجاة القضا
وحاذِري ان تخدعي

و انتهِجي سُبْل الهُدى * وادَّكري وشْكَ الردى * وان مثواكِ غدا
في قعر لحد بَلقع

آهًا له بيت البلا * و المنزل القَفْر الخلا * و مورد السفر الاُولى
و اللاحق المتبع

بيتٌ يرى من اُودعه * قد ضمَّه و استودعه * بعد الفضاء و السعه
قيدُ ثلاث اذرع

لا فرق ان يحُلَّه * داهيةٌ او ابله * او مُعسر او من له
مُلك كملك تُبَّع

و بعده العرض الذي * يحوي الحيي والبذي * والمبتدي والمحتذي
ومن رعى او من رعي

فيا مفازَ المتقي * و ربحَ عبدٍ قد وُقي * سوءَ الحساب المُوبِق
و هول يوم الفزِع

و يا خسارَ من بغى * و من تعدى و طغى * وشبَّ نيرانِ الوغى
لمطعم او مطمع

يا من عليه المُتَّكَل * قد زاد ما بي من وجل * لما اجترحتُ من زلل
في عمري المضيَّع

فاغفر لعبد مُجترم * و ارحم بُكاه المنسجم * فانت اولى مَن رحِم
و خير مدعوٍّ دُعي

قال فلم يزل يُرددها بصوت رقيق * و يَصلها بزفير و شهيق * حتى بكيت لبكاء عينيه * كما كنت من قبلُ ابكي عليه * ثم برز الى مسجده * بوضوء تهجده * فانطلقت ردفه * و صليت مع من صلى خلفه * و لما انفضَّ من حضَر * و تفرقوا شغَر بغَر * اخذ يُهيْنِم بدرسه * و يَسبك يومه في قالب امسه * و في ضمن ذلك يُرِنُّ ارنانَ الرَّقوب * و يبكي و لا بكاء يعقوبَ * حتى استبنت انه قد لحق بالاَفراد * و اُشرب قلبه هوى الانفراد * فاخطرت بقلبي عزمة الارتحال * و تخليته و التخلي بتلك الحال * فكانه تفرَّس ما نويت * او كُوشف بما اخفيت * فزفر زفرة الاوَّاه * ثم قرا فاذا عزمت فتوكل على الله * فاستجلت عند ذلك بصدق المحدثين * و ايقنت ان في الاُمّة محدَّثين * ثم دنوت اليه كما يدنوا المصافح * و قلت اوصني ايها العبد الصالح * فقال اجعل الموت نصب عينيك * و هذا فراق بيني و بينك * فودَّعته و عبراتي يتحدَّرن

من المآقي * وزفراتي يتصعّدن من التراقي * وكانت هذه خاتمة التلاقي *

قال القاسم بن علي * هذا آخر المقامات التي انشأتها بالاغترار * وامليتها بلسان الاضطرار * وقد أُلجئت الى ان ارصدتها للاستعراض * وناديت عليها في سوق الاعتراض * هذا مع معرفتي بانها من سَقط المتاع * ومما يستوجب ان يُباع ولا يبتاع * ولو غشيَني نور التوفيق * ونظرت لنفسي نظر الشفيق * لسترت عُواري الذي لم يزل مستورا * ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا * وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها من اباطيل اللغو واضاليل اللهو * واسترشده الى ما يَعصم من السهو * ويحظى (†) بالعفو * انه هو اهل التقوى واهل المغفرة * ووليّ الخيرات في الدنيا والاخرة *

قد تمت مقامات الحريري * بعون الله الغني *

(†) ويخطي بالعفو *

Kasim ibn'Ali, called al-Hariri

THE

MAQÁMAT OF HARIRI.

FOR THE

DEGREE OF HONOR EXAMINATION.

IN

ARABIC,

FOR

OFFICERS IN THE MILITARY AND CIVIL SERVICES,

UNDER THE SUPERINTENDENCE

OF

MAJOR H. S. JARRETT.

Secy., Board of Examiners.

Published by Authority.

PRINTED BY MAWLVI KABIR-UDDIN AHMAD, AT THE URDOO GUIDE PRESS.

CALCUTTA,

1882.